

في القرن الثامن عشر

رسالة تقدم بها

صبري فالح الحمدي

إلى مجلس كلية التربية في الجامعة المستنصرية

كجزء من متطلبات درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ

بإشراف

الأستاذ الدكتور طارق نافع الحمداني

كرم شعبان

مؤسسة
المختار
للنشر والتوزيع


أشراف الحجاز
في القرن الثامن عشر

اسم الكتاب : أشراف الحجاز في القرن الثامن عشر
اسم المؤلف : صبري فالح الحمدي

الطبعة الأولى
1430 هـ - 2009 م

رقم الإيداع: 2008 / 22981
الترقيم الدولى: 8 - 152 - 382 - 977

مؤسسة المختار
للنشر والتوزيع
الإدارة : 6 شارع عبد الحكيم الرفاعي - مدينة نصر - القاهرة
تليفون: 22713202 - 22713945 - فاكس: 22713202
المكتبة: 33 شارع الإمام محمد عبده - خلف الجامع الأزهر - القاهرة
تليفون: 25105891
E-mail: mokhtar_est@hotmail.com

أشراف الحجاز
في القرن الثامن عشر

رسالة تقدم بها

صبري فالح الحمدي

إلى مجلس كلية التربية في الجامعة المستنصرية
كجزء من متطلبات درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ

بإشراف

الأستاذ الدكتور طارق نافع الحمداني

مؤسسة المختار
للنشر والتوزيع - القاهرة

شكر وتقدير

لا يسع الباحث إلا أن يتقدم بوافر الامتنان والتقدير إلى الاستاذ الدكتور طارق الحمدانى، المشرف على الرسالة، الذى لم يأل جهدا فى تقديم المشورة والمساعدة اللازمة، وكان لروحه العلمية، ومتابعته الجادة لمراحل البحث، الأثر الأكبر فى إخراج هذه الدراسة المتواضعة.

كما أن واجب الوفاء يدعونى أن أسجل شكرى وتقديرى إلى أساتذتى فى السنة التحضيرية، كما أقدم وافر الامتنان لاساتذتى الدكتور حسين الداقوقى الذى تجشم عناء ترجمة النصوص العثمانية، وكذلك الدكتور صادق الحلو الذى تولى مشكورا ترجمة النصوص الفرنسية، وأشكر أيضا الاستاذ الفاضل سالم عيدان الذى أشرف على سلامة لغة الرسالة.

ويشكر الباحث أيضا جميع الإخوة والأخوات العاملين فى المكتبة المركزية - جامعة بغداد - ومكتبة الجامعة المستنصرية والمكتبة الوطنية، ومكتبة المتحف العراقى ووزارة الأوقاف، ودار صدام للمخطوطات، ومكتبة المجمع العلمى العراقى، ومركز التوثيق الإعلامى فى وزارة الثقافة والإعلام (بغداد)، ومكتبة مؤسسة الموسوعة العربية، ومركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة.

الباحث

المقدمة

يشكل هذا البحث دراسة تاريخية، لأوضاع الحجاز خلال القرن الثامن عشر، الذى يعد من الحقب المهمة فى تاريخ الجزيرة العربية، نظرًا لما يتمتع به الحجاز من مكانة دينية متميزة لدى العرب والمسلمين، ولكونه اتسم بتنامى دور الأشراف السياسى مع نهاية القرن المذكور.

ويبدو أن الخوض فى مثل هذه المواضيع، والتى تظهر لأول وهلة غامضة، يحمل فى طياته نكهة خاصة تستمد قوتها من المتابعة الجادة، فى الكشف عن جذور الأحداث التى شهدها الحجاز، ومحاولة استقصائها وولوج معالمها، وصولا إلى الحقيقة التاريخية المنشودة، التى تساهم فى خدمة تاريخ المنطقة. وتأتى أهمية البحث كونه يتناول دراسة مرحلة هامة من تاريخ الحجاز، لم تبحث من قبل ضمن دراسة أكاديمية وهى مزدحمة بأحداث كثيرة ومتداخلة، مما جعلها بحاجة إلى تأمل ودراسة، ومن المعلوم أن الدراسات الحديثة التى اهتمت بتاريخ الحجاز، تناولت بحث القرن التاسع عشر والسنوات اللاحقة التى شهدت – كما هو معروف – قيام الدولة السعودية إذ أشبعت أحداثها بدراسات مستفيضة، وذلك لظروف كثيرة لسنا بصددها، لذلك بات من الضرورى القيام بمحاولة متواضعة، لتسليط الضوء على تاريخ الحجاز خلال القرن الثامن عشر،

والتى ستظل بحاجة إلى مزيد من الجهود الصادقة والحثيثة، لكشف جوانب من تاريخ هذا الجزء من الوطن العربي.

أما اختيارى لهذا الموضوع فنابع من قناعتى لأهمية دور الحجاز العربى والإسلامى، إذ تواصل توافد الحجاج إلى بيت الله الحرام، لأداء فريضة الحج من كل صوب، كما أصبح لشريف مكة دور بارز فى الأحداث المحلية والعالمية، فى خضم التنافس العثمانى الأوروبي للسيطرة على المنافسة أواخر القرن الثامن عشر.

ونظرا لكثرة أحداث هذه الدارسة، وتوارد معلومات متواترة بصددها، وخلال مدة قصيرة نسبيا، فقد ارتأيت تقسيم البحث إلى خمسة فصول مع مقدمة وخاتمة، تسهيلا لمفردات البحث واستيعابا لموضوعاته، وكل فصل يتناول موضوعا قائما بذاته، ولكنه يرتبط مع غيره من الأحداث، ليشكل منها قوام البحث وهيكله والإطار العام له.

تناول الفصل الأول فى قسمه الأول جغرافية الحجاز ومدنه وسكانه، وتم فيه إبراز أهمية موقعه الجغرافى، كونه يمثل مركزا مهما لطرق التجارة بين الشام واليمن وتصاعد صلات الحجاز المختلفة بمصر والساحل الغربى للبحر الأحمر (سواكن ومصوع) وغيرها، كما جرى الحديث عن قبائل الحجاز وسكانه، موضحا توزيعها الجغرافى ودورها السياسى فى الأحداث المحلية. واشتمل القسم الثانى على دراسة أوضاع الحجاز السياسية، منذ تبعيته للسيادة العثمانية وحتى عام ١٧٠٠، وتبيان العلاقة بين أشراف الحجاز وكل من السلاطين العثمانيين وولاتهم فى الشام ومصر ومدينة جدة. إذ شهدت هذه الفترة محاولات جادة بذلها الأشراف لتأكيد نفوذهم عن السلطة العثمانية، رغم اشتداد الخلافات فيما بينهم على الإمارة، فى وقت ظلوا فيه يبذلون الجهود الحثيثة، لبسط سيطرتهم على مدن الحجاز وقبائله.

أما الفصل الثانى فقد تضمن الجزء الأول منه عرضا لنظام الشرافة، وجذوره التاريخية وماهيته وأبرز سماته، فيما احتوى الجزء الثانى على عرض التطور التاريخى لنظام الشرافة خلال القرن الثامن عشر وتبيان الأمور التى صاغت بل تحكمت فى علاقات الأشراف بالسلطة العثمانية، مشيرا إلى أبرز التطورات التى طرأت على نظام حكمهم، وتمتع أمراء مكة بمكانة طيبة عربيا وإسلاميا ودوليا.

وكان مدار الفصل الثالث فى جانبه الأول حول سياسة الأشراف الداخلية، خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر، إذ شغل التنازع فيما بينهم للإستئثار بالحكم، حيزا كبيرا من تاريخهم السياسى طيلة هذه المدة، ورغبة كل منهم الاحتفاظ بالإمارة لأولاده، مما أثار حفيظة الآخرين من أسرته وأقاربه، على أنهم بالمقابل أكدوا حضورهم السياسى فى خوضهم معارك عدة ضد خصومهم المحليين. وتم الحديث فى الجانب الثانى عن علاقات الأشراف بالسلطة العثمانية وولاتها فى مصر والشام وجدة، التى اتسمت بالتعاون تارة وبالعداوة تارة أخرى، كنتيجة لرغبة كل طرف، فرض سياساته وتحقيق أهدافه.

وناقش الفصل الرابع فى شطره الأول سياسة الأشراف الداخلية خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر، واستمرار التصارع الأسرى بين آل زيد وآل بركات، للاستحواذ على السلطة، الأمر الذى شجع القوى المجاورة على التدخل فى تنصيب أو عزل هذا الشريف أو ذاك، إلا أن ذلك لم يقف حائلا دون منازلة الأخيرين لمعارضيهم من القبائل الأخرى وبخاصة قبيلة حرب، التى أبدت مواقف رافضة لسلطة شريف مكة. وفى الشطر الثانى أولت الدراسة اهتماما بعلاقة الأشراف بالدولة العثمانية، ومراكز قوتها ممثلا بولاة مصر والشام - أمراء الحاج فيهما - فضلا عن والى جدة، وتدخل الآخرين وفى ظل ظروف معينة بشؤون الحجاز الداخلية، فى وقت تزايد فيه اهتمام استانبول بالحرمين

الشريفين، للوقوف فى وجه مطامع القوى الأوربية، التى أولت المنطقة عناية خاصة فى النصف الثانى من القرن المذكور.

واختص الفصل الخامس فى قسمه الأول على علاقات الحجاز بالقوى العربية كالعراق واليمن ونجد والمغرب، حيث أخذ الصراع بين أمراء مكة والوهابيين جانبا كبيرا من هذا الفصل، فيما تنامت علاقات الأشراف بالعراق دينيا وثقافيا وسياسيا، وتقوت صلات الحجاز بالمغرب، وكذلك اليمن حتى بلغت ذروتها إبان الاحتلال الفرنسى لمصر عام ١٧٩٨. وجرى فى القسم الثانى استعراض علاقة القوى الأجنبية وفى مقدمتها شركة الهند الشرقية الإنكليزية بالحجاز، التى كانت فى بدايتها ذات طبيعة تجارية، تحولت بمرور الوقت إلى علاقات سياسية، فضلا عن الإشارة لمحاولات فرنسا، الولوج إلى المنطقة بوسائل مختلفة، فى خضم اشتداد تنافسها مع بريطانيا، للسيطرة على الطريق المؤدى إلى مناطق نفوذها فى الهند نهاية القرن الثامن عشر، كما استعرض الفصل العلاقة بين الحجاز وكل من فارس والشرق بشيء من التفصيل.

واجه البحث مصاعب عدة، كان فى مقدمتها قلة المصادر التى تناولت موضوع الرسالة، مما دفع الباحث إلى التحرى عن النصوص التاريخية من مصادر أخرى، ليست سهلة المنال كالمخطوطات والوثائق وكتب التراجم.

أما مصادر البحث التى اعتمدت عليها، فقد تميزت بتعدد نوعياتها وتباين اهتماماتها، نظرا لاختلاف وجهات نظر كتابها، كما أنها ضمت القديم والحديث والمعاصر، بالنسبة للفترة الزمنية لموضوع البحث، لذا توجب الحذر والدقة فى تناولها، ومحاولة معالجتها بروح متأنية من خلال تمحيص النصوص ومقارنتها، بغية الوصول إلى النتائج المرجوة واستخلاص الحقائق التاريخية بشأنها.

استقى البحث معلوماته من مصادر متنوعة، تحتل المخطوطات مكان

الصدارة فيها، على أساس أن كتاب الأخيرة قد عاصروا تلك الأحداث التى تناولها البحث، أو أنهم عاشوا فى فترات تلى تلك الأحداث مباشرة، ويأتى فى مقدمتها مخطوط (تنضيد العقود السنية بتمهيد الدولة الحسنية) لمؤلفه المؤرخ الحجازى رضى الدين بن محمد الموسوى العالمى المتوفى عام ١١٦٨هـ / ١٧٥٥ م، والمتكون من جزئين، إذ انتهى به إلى أحداث عام ١١٦٢هـ / ١٧٤٩م، الذى احتوى تفصيلات مطولة، دعمت الرسالة بمعلومات قيمة عن الحجاز فى النصف الأول من القرن الثامن عشر، وأفادت الباحث فى محاولاته تقصى الأحداث التاريخية واستقرائها ومعرفة الظروف التى أحاطت بها، وأسهمت المخطوطات النجدية لمؤلفها (مقبل الذكير) بتزويد الرسالة، بتفصيلات عن العلاقات النجدية الحجازية خلال النصف الثانى من القرن المذكور، وإن كانت تعبر عن وجهة نظر الحركة الوهابية. وهناك الكثير من المخطوطات المتنوعة التى تناولت أحداثا حجازية وعراقية ومغربية أفادت الرسالة.

وكان لابد من الرجوع إلى بعض الوثائق غير المنشورة، كوثائق الأرشيف العثمانى المعربة فى استانبول، والمصورة فى مركز التوثيق الإعلامى لدول الخليج العربى بوزارة الثقافة والإعلام فى بغداد، والوثائق المعربة عن أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، والموجودة فى مركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة، والتى دعمت الرسالة بحقائق عن توجهات الدولة العثمانية تجاه الحجاز من خلال الأوامر التى كان يصدرها سلاطين آل عثمان، إلى ولاة مصر والشام وجدة وكذلك أشراف مكة، والتى تناولت موضوعات شتى، وكانت تنظر إلى الأحداث من وجهة النظر الرسمية العثمانية.

أفاد البحث أيضا من كتب التراجم والكتب المتخصصة بتاريخ مكة، لتغطية موضوعاته بالقرنين السادس عشر والسابع عشر، وأبرزها "كتاب بن معصوم المدنى" (سلافة العصر)، وكتاب "عبد الملك العصامى المكى" المتوفى

عام ١١١١هـ / ١٦٩٩م المعروف بـ "(سمط النجوم العوالى)، ولا سيما الجزء الرابع منه، وما أورده الأزرقى فى كتابه أخبار مكة.

وبغية تنويع المصادر والتعرف على أكثر من وجهة نظر واحدة، اعتمد البحث على المصادر الحجازية الأولية، منها مؤلفات المؤرخ "أحمد زينى دحلان" (ت ١٨٨٦م)، وفى مقدمتها (خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام) الذى حوى معلومات مهمة عن تاريخ الحجاز، أعانت الباحث فى تسليط الضوء على الكثير من الأحداث وبخاصة فى الفصول – الثانى والثالث والرابع – فضلاً عن مؤلفاته الأخرى (الفتوحات الإسلامية) و(تاريخ الدول الإسلامية)/. كما اعتمدت الرسالة على مؤلفات أخرى، وأبرزها مؤلف الدكتور الصواف (العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز) الذى أفاد البحث بمعلومات قيمة، كونه استند على مصادر وثائقية جعلته ذا أهمية خاصة، كما انفرد كتاب أحمد السباعى (تاريخ مكة) بدراسته أوضاع الحجاز الداخلية والخارجية بشكل مسهب، فضلا عن البحوث والدراسات المنشورة فى كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية فى جزئه الثانى، وما أورده المؤرخان النجديان "ابن بشر" و"ابن غنام" فى كتابيهما (تاريخ نجد) و(روضة الأفكار) من ذكر حوادث تناولت العلاقة بين الوهابيين وأشراف الحجاز فى الفصل الخامس، وكتاب المؤرخ اليمنى "لطف الله بن جحاف" (نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر) التى أعانت الباحث فى التعرف على التوجه الفرنسى نحو الحجاز أواخر القرن الثامن عشر، فضلاً عن الكتب التى درست تاريخ العراق واليمن وفارس والجزيرة العربية والمغرب بالمرحلة ذاتها، زوَّدت الرسالة بحقائق عن علاقة الأخيرين بالحجاز، والتى ذكرت بالفصل الخامس، ما أورده المؤرخون العرب من بحوث ودراسات عن تاريخ المنطقة، وأبرزهم الدكتور "عبد الفتاح أبو علية" والدكتور "عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم" و"سيد رجب حراز"

وغيرهم. أما الكتب المعربة فأهمها كتاب (أمراء مكة فى العهد العثمانى) باللغة التركية، لمؤلفه "إسماعيل جارشلى"، والذى ترجمه إلى العربية الدكتور "خليل على مراد"، وقد أمدَّ الرسالة بحقائق تاريخية مكنتها من تجاوز الكثير من الصعوبات، وكتاب المستشرق الروسى (أداموف) المعروف (ولاة البصرة) الذى ترجمه الدكتور "هاشم التكريتى" إلى اللغة العربية وأعطانا صورة عن الرفض العربى للوجود العثمانى بالحجاز.

أما المصادر العثمانية فكانت معلوماتها غنية فى تغطية فصول الرسالة وهى تمثل تصورات وآراء السلطة العثمانية تجاه الحجاز، منها ما دونه المؤرخ "أحمد جودت" فى كتابيه (تاريخ جودت) و(وقائع دولت عليَّة)، وكتاب (مرآة الحرمين) لمؤلفه "أيوب صبرى" وكلاهما تحدثا عن الوقائع التاريخية خلال القرن الثامن عشر، وما أورده المؤرخ سلحدار فند قليلى" فى كتابه (سلحدار تاريخى)، ورحلة أولياء جلبى، الذين عُدّا مصدرين رئيسيَّيْن أفادا البحث فى الإحاطة ببعض الوقائع التاريخية والمعلومات الجغرافية الخاصة بالمنطقة بالقرن السابع عشر والتى تضمنها الفصل الأول.

أما الكتب الأجنبية فكثيرة، وجاء كتاب: دى غورى (DE GAURY) حكام مكة (RULERS OF MECCA) فى مقدمتها، فقد غطت نصوصه معظم فصول الرسالة وبخاصة فى توضيح نزاعات الأشراف الداخلية وعلاقتهم بالعثمانيين، والتى اختصها الفصلان الثالث والرابع، وشكلت الإشارات التى أوردها الرحالة العرب والأجانب، فى أثناء زياراتهم لمدن الحجاز بالقرنين السابع عشر والثامن عشر أهمية خاصة، فى رفد البحث بالكثير من المعلومات التى استكمل بها الباحث دراسته التاريخية للمنطقة، منهم على سبيل المثال لا الحصر: الرحالة المغربى "عبد الله بن محمد العياشى"، والرحالة الشامى "عبد الغنى النابلسى" اللذين زارا المنطقة واعطيا وصفا لتجارة الحجاز وسكانه فى النصف الثانى من

القرن السابع عشر، فضلا عن الرحالة الأوربيين من الإنكليز، ومنهم "جوزيف بيتس" (JOSEPH PITTS) الذى وصل مكة بين (١٠٩٧هـ / ١٦٨٥م – ١٠٩٨هـ / ١٦٨٦م)، وزود الرسالة بمعلومات قيمة عن أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية فى تلك الفترة المبكرة من تاريخها، وما أورده الرحالتان أوفنكتون (OVINGTON) ووليم دانيال (WILLIAM DANIEL) اللذين زارا جدة أواخر عام ١١١١هـ / ١٦٩٩م وبداية عام ١١١٢هـ / ١٧٠٠م، وكذلك الرحالة الفرنسى شارل بونسيه (CHARLES PONCET) الذى حل فى جدة أواخر العام ١١١٢هـ / ١٧٠٠م، من أمور مهمة ساعدت الباحث على تحليل طبيعة العلاقة بين أشراف الحجاز والدولة العثمانية فى الفصلين الثانى والثالث من الرسالة.

وأفاد البحث أيضا من كتب الرحالة الأوربيين الذين وفدوا الحجاز فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، وأبرزها كتاب (رحلات فى الجزيرة العربية والأقطار الأخرى) (TRAVELS THROUGH ARABIA AND OTHER COUNTRIES) للرحالة الدانماركى نيبور (NIEBOUHR)، الذى زود الرسالة بمعلومات مفيدة عن تجارة الحجاز وسكانه عام ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م، وعلاقة أشرافه بالدولة العثمانية، غطت جوانب من الفصلين الثانى والرابع خاصة، فضلا عن رحالة بريطانيين كـ"بروس" (BRUCE) الذى جاء الحجاز عام ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م، وكابر (CAPPER) عام ١١٨٩هـ / ١٧٧٥ م)، وبارسونز (PARSONS) عام ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م ـ ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م) وغيرهم وفدوا المنطقة بتكليف من شركة الهند الشرقية الإنكليزية، لتحقيق منافع اقتصادية وسياسية لها بالحجاز، فزودوا البحث بإشارات نافعة ساعدته على توضيح طبيعة التنافس العثمانى الأوروبى على المنطقة، وتصاعد التنافس البريطانى الفرنسى الذى أوضحته الرسالة بالفصل الخامس.

كما لا يفوتنى أن أذكر بأن الدوريات (العربية والأجنبية) كانت عاملا مساعدا ومكملا فى ربط الأحداث ببعضها، كما أمدتنا بالكثير من المعلومات القيمة والاستنتاجات النافعة لمادة البحث، ومن ثم دعمته بحقائق جديدة، منها على سبيل المثال لا الحصر، المقالات التى نشرها الأستاذ "حمد الجاسر" فى مجلة (العرب) السعودية وغيرها، فضلا عن مقالة الكاتب أبير (ABIR) الانتفاضة العربية لأمير مكة غالب (THE ARAB REBELLION) المنشورة فى مجلة دراسات الشرق الأوسط البريطانية.

أخيرا أرجو أن أكون قد أسهمت بشكل متواضع، فى دراسة تاريخ الحجاز خلال القرن الثامن عشر.

الفصل الأول

الحجاز قبيل القرن الثامن عشر

١. جغرافية الحجاز ومدنه

أ. الحجاز وأهميته الجغرافية

ب. مدن الحجاز وسكانه

٢. أوضاع الحجاز السياسية حتى مطلع القرن الثامن عشر

أ. الحجاز تحت السيطرة العثمانية

ب. وضع الأشراف فى الحجاز

١. جغرافية الحجاز ومدنه :

أ. الحجاز وأهميته الجغرافية

ليس هناك تحديد متفق عليه لمنطقة الحجاز، لأن جهة البحر الأحمر من جبل السراة تسمى باسم الحجاز، وحينما تمتد الجبال إلى اليمن تعرف المنطقة بتهامة الحجاز[١]. في حين يرى آخرون أن الحجاز هو الجبل الحاجز بين البلاد العالية لنجد وبين ساحل البحر الأحمر المنخفض[٢].

أما لفظ الحجاز فيطلق في الخطط عند العرب على جبال السراة التي تفصل منطقة نجد المرتفعة عن السواحل المنبسطة (تهامة)[٣]. إلا أن حدود الحجاز غير واضحة، بيد أن البلد انيين العرب ادركوا الأسس الجغرافية لتحديده، فاعتبروه الحد الفاصل بين تهامة وهي السهول الممتدة على ساحل البحر الأحمر وبين نجد وهي الهضبة التي تنحدر تدريجيا من الغرب إلى الشرق[٤]. أما الذين كتبوا عن الحجاز في العصر الحديث، فكان معظمهم يذكرون ولاية الحجاز ومركزها

---

(١) شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، المجلد الثالث، استانبول (١٣٠٨)، ص١٣٢٩.

(٢) مصطفى مراد الدباغ، جزيرة العرب موطن العرب ومهد الإسلام، جـ١، منشورات دار الطليعة، بيروت، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ص٦٥.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، مادة الحجاز، نقلها إلى اللغة العربية محمد ثابت افندى وآخرون، المجلد السابع، تهران، ١٩٣٣، ص٣١١.

(٤) انظر د. صالح أحمد العلي، تحديد الحجاز عند المتقدمين، مجلة العرب، جـ١، س٣، الرياض، دار اليمامة، للبحث والترجمة والنشر، رجب ١٣٨٨هـ/ تشرين الأول ١٩٦٨م، ص٩.

مكة، ثم يشيرون إلى أشهر مدنها كالمدينة المنورة والطائف وجدة وينبع وغيرها[١].

يقع الحجاز فى الناحية الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية، ويمتد من معان شمالا مارا برأس خليج العقبة إلى موقع بين الليث والقنفذة على الساحل الشرقى للبحر الأحمر جنوبا، يحده من الغرب البحر الأحمر ومن الشرق إقليم نجد[٢]. أما مناخه فهو حار رطب فى سهول تهامة، ومعتدل فى الجبال ولاسيما فى جبال الطائف صيفا، أما شتاؤه فبارد نسبيا فى الجبال ومعتدل فى السهول[٣].

أما موارد الحجاز الاقتصادية فشحيحة، وأهمها الزراعة التى يمارسها سكان المدن بصورة محدودة فى الواحات المنتشرة، وهم يؤلفون ثلث السكان، وأما الثلثان الآخران فقبائل متفرقة تعيش عيشة البداوة[٤]. لذا اعتمد الحجاز فى تلبية معظم حاجاته الأساسية، على ما يدره موسم الحج من عوائد اقتصادية، وعلى ما يتلقاه من عون مالى، ومساعدات متنوعة من الولايات العربية والبلدان الإسلامية.

إلا أن موقع الحجاز الهام على الساحل الشرقى للبحر الأحمر، واتصاله ببلاد الشام شمالا واليمن جنوبا وبمصر برا وبحرا، أدى إلى تزايد دوره التجارى

(١) عمر رضا كحالة، جغرافية شبه جزيرة العرب، الطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٤، ص١٢١.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر: كحالة، المصدر السابق ص ١٠٨ - ١١٣.

- NAVAL INTELLIGENCE DIVISION, WESTERN ARABIA AND THE RED - SEA, OXFORD, 1946, P. 37.

(٣) عبد المنعم الغلامى، جغرافية شبه جزيرة العرب، دار منشورات البصرى، بغداد، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م، ص١٢.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر د. فائق بكر الصواف، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز ما بين (١٢٩٣ - ١٣٣٤هـ) - (١٨٧٦ - ١٩١٦م) مطابع سجل العرب، مكة المكرمة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ص ٣٣ - ٣٤.

داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، خلال الحقب التاريخية المختلفة، فقد سارت القوافل التجارية منذ أقدم العصور، من اليمن عبر أراضيه حتى وصلت الشام، فى وقت وسع فيه الحجازيون دائرة علاقاتهم الاقتصادية، مع مصر والشام والعراق واليمن والحبشة، فضلا عن ذلك فإن المراكب البحرية، كانت تأخذ طريقها إلى مصر واليمن عبر ثغور الحجاز المطلة على البحر الأحمر، التى اشتهرت بكونها مرافئ معروفة، كانت تستقبل سفنا تجارية من الحبشة والهند والصين[1].

أما أهمية الحجاز التاريخية والروحية لدى المسلمين، فتعود لوجود بيت الله الحرام فى مكة المكرمة، فضلا عن كونه مهبط الوحى ومهد الإسلام، وفيه مثوى النبى محمد (ﷺ)، وآل بيته وصحبه الكرام، الذى يؤمه المسلمون من كل مكان لأداء فريضة الحج.

ب - مدن الحجاز وسكانه:

يمكننا أن نشير إلى أبرز مدن الحجاز وحواضره وهى:

مكة المكرمة:

المدينة المقدسة المشهورة التى تقع على بعد حوالى (٧٥) كم من ميناء جدة، الذى يطل على البحر الأحمر، فى بقعة منبسطة تحيطها سلاسل جبلية، أبرزها جبل أبى قبيس، ويعتمد سكانها على مياه العيون والآبار، وفيها وادى فاطمة كثير الخيرات[2].

---

(١) انظر إبراهيم بن حمود المشيقح، تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال "الدر الكمين" لابن فهد، القصيم، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م، ص٣١.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر على جواد، ممالك عثمانية، نك تاريخ وجغرافيا لغاتى، استانبول، ١٣١٣هـ، ص٧٧٤.

تستمد مكة أهميتها الدينية من وجود الكعبة المشرفة وسط المسجد الحرام، وأحيطت بالأماكن التى يؤدى الحجاج مناسكهم فيها، مثل عرفات والصفا والمروة والمزدلفة[١]، فضلا عن دورها التجارى، إذ تردها أنواع البضائع من مختلف البلدان، كالشام ومصر والهند وفارس، وتجارتها مربحة لأن الحجيج يدفعون أسعارا أعلى مما يدفعه سكان المناطق القريبة[٢].

تبوأت مكة مكانة طيبة خلال الربع الأخير من القرن السابع عشر، فقد وصلت عام ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م إلى الحرمين صدقة من ملك الهند قدرها مائة ألف روبية[٣]، أربعون ألف للشريف (سعيد بن بركان)، وستون ألفا لمكة والمدينة، ردا على هدية كان قد بعثها الشريف بركات بن محمد إليها[٤]، وحين زارها الرحالة الإنكليزى جوزيف بيتس[٥] (JOSEPH PITTS) خلال عامى (١٠٩٧هـ) / ١٦٨٥م - (١٠٩٨هـ / ١٦٨٦م) أكد كثرة الحجاج القادمين إلى مكة من الدولة العثمانية وأواسط آسيا وشرق الهند وأفريقيا

---

(١) عبد العزيز صبرى بك، تذكار الحجاز، المطبعة السلفية بمصر، ١٣٤٢هـ، ١٥٠. الصواف، المصدر السابق، ص ص ٣٤ - ٣٥.

(٢) - ADMIRALTY WAR STAFF INTELLIGENCE DIVISION AHAND BOOK OF ARABIA, MAY 1916, VOL. 1, P. 101.

(٣) الروبية، عملة هندية تساوى بالنقود العثمانية [القروش] ٧ـ ٧.٢٥ .

(٤) انظر عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامى المكى (١٠٤٩ - ١١١١)، سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى، جـ٤، المطبعة السلفية (د. ت)، ص٥٤٠.

(٥) كان جوزيف بيتس قد وقع أسيرا فى أيدى البحارة الجزائريين عام ١٦٧٨، وبعد أن عاش سنوات فى الأسر، أخذه آسره الجزائرى معه إلى مكة والمدينة، وكان يجيد اللغة العربية ويتقن التعاليم الإسلامية، مما سهل عليه الخوض فى المجتمع الإسلامي. انظر د. حسين أمين، نظرة بعض الرحالة المسلمين وبعض الرحالة الغربيين عند زيارتهم لمنطقة الحجاز، فى كتاب "مصادر تاريخ الجزيرة العربية" الكتاب الأول، جـ٢، الرياض، مطبعة جامعة الرياض، ١٣هـ / ١٩٧٩ م، ص٣٩٠.

ومصر[1]. لذلك كانت مكة وما تزال نقطة التقاء ومركز تجمع للمسلمين من مختلف بقاع العالم[2].

المدينة المنورة:

عاصمة المسلمين الأولى حيث اتخذها الرسول (ﷺ) وكذلك الخلفاء الراشدون، وفيها أول مسجد بناه (ﷺ) عند وصوله إليها قادما من مكة، لإدارة دولته الفتية. وتقع شمال مكة بنحو (٥٠٠) كلم فى أرض منبسطة واسعة، وهى محاطة بالمزارع من أغلب جهاتها، فيها عين الزرقاء وماؤها حلو تنبع من قبا القريبة[3].

ترتب على موقعها الجغرافى، أن أصبحت مركزا للقوافل التجارية بين بلاد الشام واليمن، ودواخل شبه الجزيرة العربية، ومارس سكانها أنشطة اقتصادية مختلفة، الأمر الذى ترك آثاره الإيجابية على وضعهم المعاشى، وعبر عن هذا الرحالة المغربى العياشي[4] عام ١٠٧٤هـ /

(١) - JOSEPH PITTS; AN ACCOUNT OF HIS JOURNEY FROM ALGERIA TO MECCA AND MEDINA AND BACK IN "THE RED SEA AND ADJACENT COUNTRIES AT THE CLOSE OF THE SEVENTENTH CENTURY AS DESCRIBED" ..., EDITED BY SIR WILLIAM FOSTER CI.E.PRINTED FOR THE HARLUYT SOCIETY, LONDON, 1949,P. 46.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر حمد الجاسر، أشهر رحلات الحج (١) ملخص رحلتى "ابن عبد السلام الدرعى" المتوفى سنة ١٢٣٩، منشورات دار الرفاعى للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص١١.

(٣) الغلامى، المصدر السابق، ص١٦. انظر أيضا الصواف، المصدر السابق، ص٣٧.

(٤) عبد الله بن محمد العياشى، رحالة مغربى قام برحلة إلى الحج سنة ١٠٧٢هـ، (١٦٦١م) وكتب مشاهداته وانطباعاته عن مدن الحجاز، التى تعد وصفا شاملا لها فى القرن (١١هـ - ١٧م). انظر الجاسر، فى رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج، مجلة العرب، جـ١ و٢، س ١٢، رجب وشعبان ١٣٩٧هـ/ حزيران وآب ١٩٧٧م)، ص١٠٢.

١٦٦٣م، إذ قال: إن أهل المدينة المنورة هم (أهل رفاهية وتوسع فى المعيشة)[1].

تزايدت مكانة المدينة المنورة، خلال العقد الأخير من القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى، إذ أشار الرحالة عبد الغنى النابلسي[2]، الذى زار الحجاز خلال هذا القرن، نقلا عن رواة محليين، إلى قدوم قافلة من حجاج البصرة إليها عام ١١٠١هـ / ١٦٨٩م[3]. كما أعطى وصفا للمدينة المنورة التى وصلها عام ١١٠٥هـ / ١٦٩٣م، مشيرا إلى (كثرة البيوت والقصور والحوانيت والمساجد فيها) مؤكدا كثرة الزائرين من الحجيج إليها[4].

الطائف:

تقع شرقى مكة المكرمة، ونظرا لتوسطها فى بلاد العرب وأرضها الزراعية واعتدال مناخها، فقد كانت بمثابة مصيف مكة وسلة فواكهها وحبوبها[5]، إذ يجلب منها إلى مكة الفواكه النفيسة وأنواع من الحبوب كالشعير واليمن والعسل

(١) عبد الله بن محمد العياشى، مقتطفات من رحلة العياشى، منشورات دار الرفاعى للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص١٤٩.

(٢) عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى، ولد بدمشق ثم زار مصر والشام والعراق، جاء المدينة المنورة قادما من مصر، فى رحلة استغرقت (٥٤)يوما، ومكث فيها (٩٥) يوما، انظر محمد خليل المرادى، سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر، مج٣، مكتبة المثنى، بغداد، محرم الحرام سنة ١٣٠١، ص ٣٠ – ٣١. انظر أيضا المدينة المنورة فى مطلع القرن الثانى عشر كما يصفها النابلسى فى رحلته، مجلة العرب، جـ١، س١، رجب ١٣٨٦هـ / تشرين الأول، ١٩٦٦م، ص ١٤٣ - ١٤٦.

(٣) المصدر نفسه، جـ ١١، س ١، جمادى الأولى سنة ١٣٨٧هـ / آب ١٩٦٧، ص ١٠٤١.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر المصدر نفسه، جـ٣ س١، رمضان، ١٣٨٦ هـ/ كانون الأول ١٩٩٦، ص٢٣٠.

(٥) انظر عبد القدوس الأنصارى، "الطائف تاريخا وحضارة مصادر ثراء وآثارا وأعلاما وعلماء وشعراء"، مطبوعات نادى الطائف الأدبى، جدة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ٤-٥.

واللوز وغيرها، حتى أصبحت أحد أبواب الحجاز الاقتصادية التجارية[١]، وأشار الرحالة المغربى العياشى خلال زيارته لها عام ١٠٧٣هـ / ١٦٦٢م، إلى كثرة أسواقها[٢]، وأما سكانها فأغلبهم عرب من قبائل ثقيف وعتيبة وهذيل[٣].

جدة:

تقع جدة على بعد (٧٥) كم غرب مكة، فى منطقة صحراوية، إلا أن موقعها الجغرافى فى منتصف الساحل الشرقى للبحر الأحمر، قد جعل منها البوابة البحرية لمكة والجزيرة العربية مع العالم الخارجي[٤]، وقد ذكر ذلك الرحالون الذين زاروا هذه المدينة، منذ النصف الثانى من القرن السابع عشر. فالرحالة المغربى العياشى الذى زار الحجاز عام ١٠٧٣هـ / ١٦٦٢م، وصف جدة (بأنها مدينة كبيرة ممتدة على الساحل فى مرساها سفن متنوعة الأحجام، أسواقها مكتظة بالمجالس والمقاهى، يبالغ سكانها فى تنظيفها ورشها بالماء)[٥]. وحين وصلها الرحالة الإنكليزى أوفنكتون (OVINGTONS) الذى كلف وآخرون من قبل شركة الهند الشرقية الإنكليزية لجمع المعلومات عن موانئ البحر الأحمر وأهميتها – بين عامى (١١٠٢هـ) / ١٦٩٠م – (١١٠٥هـ) / ١٦٩٣م) عدها ميناء رئيسا للتجارة القادمة من الهند وبلاد فارس وبقية مناطق الجزيرة العربية والساحل الغربى للبحر الأحمر[٦].

---

(١) العباس بن على العاملى الموسوى المكى، "نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس"، جـ٢، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، ص٣٨٥.

(٢) العياشى، مقتطفات، ص١٠١.

(٣) شكيب أرسلان، "الارتسامات اللطاف فى خاطر الحاج إلى أقدس مطاف"، مطبعة المنار، بمصر، ١٣٠٥، ص٢٣١.

(٤) على بن حسين السليمان، ميناء جدة فى القرن التاسع، مجلة العرب، جـ١٢، س٦، جمادى الآخرة، ١٣٩٢هـ/ آب ١٩٧٢م، ص٩٣٦.

(٥) العياشى، مقتطفات، ص ص ١٠٠ - ١٠١.

(٦) - OVINGTONS; NOTES ON THE RED SEA PORTS, IN' THE RED SEA ..." ,OP. CIT ,P. 173, 179.

لـم تقتصـر أهميـة جـدة خـلال القـرن الثامـن عشـر عـلى رسـو السفـن المختلفـة فـى مينائها، بل تعداه إلى نقل البضائع القادمة عبرها من جاوة وسنغافـورة والهنـد إلـى مصـر[١]، وعـلى ذلك توافـرت فيهـا فـرص كثـيرة للعمـل فسكنتها جماعات من الفـرس والهنـود، فضـلا عـن سكانهـا العـرب وأفاد الرحالـة الدانماركـى نيبـور[٢] (NIEBOUHR) فـى أثنـاء زيارتـه لها عـام (١١٧٦هـ) / ١٧٦٢م بقوله: (إنه على الرغم من أن تجارة جدة كانت على جانب كبير من الأهمية إلا أن هذه المدينة لا تعدو أن تكون أكثر من سوق كبير بين مصر وبلاد الهند)[٣].

أصبحت جدة محطا لارتياد الرحالة الأوربيين أواخر القرن الثامن عشر، حيث وصلها الرحالة الفرنسى "فولنى" صحبة قافلة الحج المصرى – بطريقة إلى الشام فى أثناء رحلته إلى الشرق التى استغرقت بين (١١٩٨هـ) / ١٧٨٣م – (١٢٠٠هـ) / ١٧٨٥م[٤] – موضحا بالوقت نفسه أن المدينة المذكورة كانت تعد مركزا مهما لتجارة البحر الأحمر[٥].

---

(١) انظر عبد القدوس الأنصارى، موسوعة تاريخ مدينة جدة، مج١، مطابع الروضة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص٢٧٦.

(٢) يعد كارستن نيبور من الرحالة المنصفين الذين كتبوا عن الجزيرة العربية من الغربيين، لذلك اشتهر كتابه كثيرا. انظر د. محمد محمود الصياد، الرحالة الأجانب فى القرن التاسع عشر، مجلة الدارة، ع ٣، س ٣، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، شوال، ١٣٩٧هـ / أيلول ١٩٧٧م، ص ص ١٢٢ – ١٢٣.

(٣) M. C, NIEBOUHR; TRAVELS THROUGH ARABIA AND OTHER COUNTRIES IN THE EAST, VOL. 1, EDINBURGH, 1792, P. 235.

(٤) أورد ذلك المترجم فى مقدمة كتاب الرحالة المذكور.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر س. ف. فولنى، ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام، نقلها إلى العربية أدوار البستانى، جـ١، منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، بيروت، ١٩٤٩، ص ١٣٥ – ١٣٦.

ينبع البحر:

تنقسم ينبع إلى قسمين: الأول ينبع البحر التى تقع غربى المدينة على بعد (٢١) كلم منها، أما الثانى ينبع النخل التى هى قرية قريبة من ينبع البحر تقع فى واحة نخيل ذات مياه كثيرة(١). إلا أن المؤرخين المسلمين اعتادوا على إطلاق تسمية ينبع وهم يريدون بها ينبع النخل، لأن ينبع البحر كانت قليلة الشهرة حتى أيام المماليك، حينما اتخذت ميناء للمدينة المنورة(٢).

يعد ينبع البحر ثانى ميناء بعد جدة، إذ اشتغل أهله بالتجارة منذ سنين طويلة، واحتفظوا بصلات وثيقة مع عرب ينبع بهدف تحقيق مصالحها المشتركة(٣). وحين مر بها الرحالة البريطانى جيمس كابر (james capper) الذى أوفدته شركة الهند الشرقية لتفقد مصالحها على سواحل البحر الأحمر عام (١٧٧٤ - ١٧٧٥)، وصفها بالقول أنها كانت تمثل (مكانا لتجارة كبيرة لا يبعد كثيرا عن المدينة)(٤).

ومعلوم أنه توجد هناك عدة مدن وقرى متناثرة على ساحل البحر الأحمر تابعة إلى الحجاز، منها: رابغ ومستورة والوجه والمويلح، تعتمد على التجارة وصيد الأسماك والزراعة(٥).

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر الغلامى، المصدر السابق، ص٢٠.

(٢) السليمان، الموانئ التجارية فى الحجاز "بلاد ينبع"، مجلة العرب، جـ٣، س٧، رمضان ١٣٩٢ هـ / تشرين الأول ١٩٧٢م، ص ١٨٨.

(٣) انظر أيوب صبرى، مرآة الحرمين، أيكنجى جلد، استانبول، ١٣٠٣، ص ١٣٣. انظر أيضا سامى، المصدر السابق، ص ١٣٣١.

(٤) - JAMES CAPPER; OBSERVATION ON THE PASSAGE TO INDIA THROUGH EGYPT AND ACROSS THE GREAT DESERT, IN 1778 - 1779 LONDON, 1783, P. 8.

(٥) الصواف، المصدر السابق، ص ٣٨.

أما سكان الحجاز فبدو من الأعراب، وفيهم من غير العرب ولاسيما بمراكز المدن خاصة جدة ذات الطبيعة التجارية، ولا يعد الحجاز قطرا زراعيا قادرا على توفير الحاجات الأساسية لسكانه، الأمر الذى دفعهم للاشتغال بالتجارة والإفادة من حجاج الأماكن المقدسة[١].

من أبرز أسر الحجاز الأشراف وهم من سلالة السبطين الحسن والحسين (عليهما السلام)، وتولت إمارة مكة والمناطق التابعة لها[٢]. أما أبرز قبائله فقبيلة حرب المعروفة بشدة بأسها وتأثيرها فى الأحداث السياسية، وهى تتحكم فى المنطقة ما بين الحرمين الشريفين[٣]، وأخذت على عاتقها توفير بعض الخدمات لحجاج بيت الله الحرام، فضلا عن قيامها بنقل الأرزاق المرسلة من مصر إلى المدينة المنورة عبر ميناء ينبع، لتوزيعها على فقراء المدينة المنورة، نظير تخصيص الدولة العثمانية لها (صرة) عرفت بـ (صرة العربان)، وكميات من الحبوب توزع سنويا، وقد يحجب أمير مكة المكرمة (الصرة) عنها، أو يعطيها أقل مما تستحق وعند ذاك تقوم بمهاجمة قوافل الحجاج وسلب أموالهم وأمتعتهم. وهناك قبيلة عنزة وأبرز فروعها قبيلة: أولاد على القاطنة بين منطقتى الزرقاء وقلعة خيْبر على طريق الحج[٤].

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر دائرة المعارف الإسلامية، مادة الحجاز، المصدر السابق، ص٣١٣. انظر أيضا الدباغ، المصدر السابق، ص ٦٦.

(٢) د. عبد الله الحامد، الحياة الاجتماعية فى جزيرة العرب، مجلة العرب، جـ ٣ و٤، س ١٤، شوال سنة ١٣هـ/ أيلول ١٧م، ص ١٩٦.

(٣) كانت ديار قبيلة حرب الأصلية فى اليمن حول صعدة، إلا أنه حدثت حروب طاحنة بينها وبين بنى عم لهم: الربيعة بن سعد، فجلت بنو حرب عام (١٣١هـ) إلى الحجاز، وهناك تمكنت من فرض نفوذها بعد تغلبها على قبائل عنزة ومزين وبنى الحارث، وبنى مالك من سليم، حينذاك أسندت قريش إليها تأمين وحماية المنطقة الممتدة بين مكة، والمدينة. انظر عاتق بن غيث البلادى، نسب حرب، مكتبة دار البيان، دمشق، ط ١، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م، ص ٣٣.

(٤) إسماعيل حقى أوزون جارشلى، أمراء مكة فى العهد العثمانى، ترجمه إلى اللغة العربية، د. خليل على مراد، مركز دراسات الخليج العربى، جامعة البصرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص ٦٠ و٨٢.

وهناك قبيلة هذيل التى كانت منازلها حول مكة وخاصة على الطريق إلى الطائف، وترتبط هذه القبيلة بصلة قربى مع أشراف مكة، إلا أنها غالبا ما خلقت المتاعب للحجاج فى طريقهم إلى عرفات(١). وهناك قبيلة عتيبة التى استقرت غرب السلسلة الجبلية فى أطراف الطائف، وكانت لها مواقف متباينة إزاء سياسات الأشراف، فضلا عن غزواتها للمناطق المجاورة(٢). كما كان لقبيلة ثقيف منازل ما بين مكة والطائف، وتنقسم بدورها إلى بطون عديدة(٣). ووجدت قبائل: المطير وسبيع فى مناطق الحدود بين الحجاز ونجد، فضلا عن قبيلة البقوم شرق الطائف فى تربة، وزهران اليوم جنوب الطائف، وجهينة بن زيد فى وادى ينبع(٤)، وبنى سليم ومنازلها بين مكة والمدينة، فضلا عن قبائل أخرى(٥).

٢ - أوضاع الحجاز السياسية حتى مطلع القرن الثامن عشر

أ. الحجاز تحت السيطرة العثمانية

توجهت أنظار العثمانيين نحو الحجاز لأسباب دينية وسياسية بالغة الأهمية، فى وقت غدت فيه الدولة العثمانية، تشكل القوة الإسلامية الكبرى حينذاك،

---

(1) - DAVID GEORGE HOGARTH; HEJAZ BEFORE WORLD WAR 1, NEW YORK, 1979, P. 43.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر رضى الدين بن محمد بن على بن حيدر نجم الدين الموسوى العاملى، "تنضيد العقود السنية بتمهيد الدولة الحسنية"، مخطوط فى دار صدام للمخطوطات، تحت رقم (٦٢٩٠)، جـ ١، الورقة ١٦٤. وجدير بالذكر أن هذا المخطوط زودنا بمعلومات قيمة عن الحجاز غطت معظم فصول الرسالة.

(٣) كحالة، معجم قبائل العرب القديمة، جـ٢، المكتبة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٩م / ١٣٦٨هـ ص ١٤٧ و٧٥٢، الحامد، المصدر السابق، ص١٩٦.

(٤) البلادى، معجم قبائل الحجاز، جـ١، دار مكة للنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، الصفحات ٣٩ - ٤٠، ٩٠، و ١٨٦.

(٥) المصدر نفسه، جـ ٢، ص ٢١٦.

ورغبة السلطان العثمانى فى حمل لقب خادم الحرمين الشريفين، لكونه يمثل الوريث الشرعى، للسلطان المملوكى فى السيادة على المنطقة[1].

وقد سارع شريف مكة "بركات بن محمد" (٩١٨هـ / ١٥١٢م – ٩٣١هـ / ١٥٢٤م)، إلى إعلان تبعيته للسيادة العثمانية رسميا، باعثا ابنه أبو نمى إلى القاهرة، حاملا معه مفاتيح مكة وهدايا ثمينة[2]، فاستقبله السلطان سليم الأول وبالغ فى إكرامه، موعزا بصرف الفى دينار توزع على أهالى الحرمين الشريفين[3].

أصبح الحجاز ولاية عثمانية مكونة من ثلاثة سناجق[4]، وهى مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة، يتولى حكمها شريف مكة[5]، وتعين الدولة العثمانية واليا من قبلها على جدة، يرتبط بوالى مصر العثماني[6]. وفى الوقت نفسه كان للشريف

---

(١) د. عبد الفتاح حسن أبو عليه، العثمانيون وبنو خالد فى الإحساء، دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٦، ص ٣٤١ - ٣٤٢.

(٢) - UZUNCARSLI, ISMAILIHAKKI; OSMANILITCRINL, TURK TARIH KURUMU BASIMEVI – 11. CILT ANKARA, 1949, P. 416.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر محمد افندى، صولاق زاده تاريخى، باب عالى خوارنده [محمود بك]، استانبول، ١٢٩٧، ص ٤١٠، ساطع الحصرى، البلاد العربية والدولة العثمانية، معهد الدراسات العربية العالى، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٢٤.

(٤) السناجق جمع [سنجق] وهى كلمة تركية معناها العلم أو اللواء، وقد أصبحت تطلق على القسم من الولاية الكبيرة، أما السنجق بيك فهو الحاكم على هذا الجزء من الولاية. انظر محمد أديب غالب، من أخبار الحجاز ونجد فى تاريخ الجبرتى، دار اليمامة، ط ١، ١٩٧٥، ص ٤٣.

(٥) انظر فائق صبرى، عثمانلى جغرافياى اقتصاديسى، جـ ٢، در سعادت، قناعت مطبعة سى، ١٣٣٠ [١٩١١] ص ١٤٧. انظر أيضا متجار زاد وإبراهيم حلمى، "الأحوال الجغرافية والإحصائية للدولة العلية العثمانية"، ممالك عثمانية، جب أطلاس، استانبول، ١٣٢٣هـ [١٩٠٧ – ١٩٠٨م] د. ص.

(٦) أنشأ السلطان سليم الأول سنجقية عثمانية فى جدة أطلق عليها العثمانيون اسم (ولاية الحبش) وعين عليها حاكما عثمانيا. انظر د. عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربى (١٥١٦ – ١٩١٦)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٤، ص٩٧.

وكيل له فى إدارة جدة، مما ترك نتائجه السلبية على وحدة الحجاز، لانقسام السلطة بين حاكمين، يحاول كل منهما عرقلة مساعى الآخر لأجل تحقيق مآربه الخاصة[١]. إذ كان الباشا العثمانى يتدخل فى أمر تعيين أمراء مكة أو عزلهم، على الرغم من أنه كان يقدم أحيانا دعما لهم لأجل تثبيت سلطتهم السياسية[٢].

وقد انفرد الحجاز بامتيازات لم تتمتع بها الولايات العثمانية الأخرى، منها الإعفاء عن تقديم أى مال للخزينة السلطانية، بل ترسل (الصرة) [٣] كل عام إليه، من مصر والولايات الأخرى، فضلا عن تمتع سكانه بالإعفاء من الضرائب، ما عدا ما يفرضه الإشراف على الأغنام والماشية وما يقررونه على الحجاج وقوافلهم[٤].

كان من نتائج دخول الحجاز تحت السيادة العثمانية وضم الأماكن المقدسة، أن تقوى مركز هذه الدولة كدولة إسلامية[٥]، وعد ذلك خطوة جادة لمد النفوذ

(١) د. صلاح أحمد هريدى على، الحجازيون وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية فى مدينة الإسكندرية فى العصر العثمانى، دراسة وثائقية من سجلات المحكمة الشرعية بالشهر العقارى [٩٢٣ - ١٢١٣هـ / ١٥١٧ - ١٧٩٨م]، مجلة المؤرخ العربى، ع ٣٣، س ١٣، بغداد، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٢٧٦ الأنصارى، موسوعة، ص ٩١ - ٩٢.

(٢) HOGARTH; OP. CIT, PP. 88 – 89 -.

(٣) الصرة: هى بعض المبالغ المستحصلة من أوقاف الحرمين أو مصادر أخرى، لأجل توزيعها على أهل الحرمين الشريفين، وكانت ترفق بدفتر فيه قائمة بأسماء كل من يجب أن توزع عليه، فإذا ما وصلت المبالغ والدفتر وتم التوزيع، يرسل أمير مكة وقاضى الحرم وشيخ الحرم رسالة يشكرون بها السلطان. انظر د. خليل ساحلى أوغلى، مخطوطات عن الجزيرة العربية فى مكتبة جامعة استانبول، مجلة الدارة، ع ٣، س ٣، شوال ١٣٩٧هـ / أيلول ١٩٧٧م، ص ١٤٢.

(٤) د. ليلى الصباغ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، مطبعة بن حيان، دمشق، ١٤٠١ - ١٤٠٢هـ / ١٩٨١ - ١٩٨٢م، ص ١٤٠ - ١٤١.

(٥) د. محمد صالح منسى، حركة اليقظة العربية فى الشرق الآسيوى (دراسات فى تاريخ الشرق العربى الحديث - (ـ)، دار الاتحاد العربى للطباعة، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٢٨.

العثمانى على جميع الساحل الغربى من شبه الجزيرة العربية[1]، كما وقع على كاهلها واجب حماية البحر الأحمر، باعتباره بحيرة إسلامية من الغزو البرتغالى، الذى يروم تدنيس الأراضى المقدسة فى الحجاز[2]، فمنعت السفن البرتغالية والمسيحية من ارتياده شمال ميناء مخا اليمنى، خشية أن تصيب الدول الأوربية نجاحا ـ على غرار ما حققته باستيلائها على الهند، وغيرها من الأقاليم الواقعة فيما وراء البحار ـ وظل هذا الخطر ساريا حتى القرن الثامن عشر، حيث ضعفت الدولة العثمانية ودبت فيها حالة الإنفصال[3]. فيما أوعزت إلى مصطفى باشا ـ واليها على جدة ـ ، بالتشاور مع شريف مكة، بشأن تحصين جدة وحمايتها من الخطر البرتغالي[4].

ولم يقتصر دور الدولة العثمانية على تأمين سلامة الحجاج، وتسهيل سفرهم وحمايتهم من اعتداءات البدو، وذلك ببناء سلسلة من القلاع على طول طريق الحاج، وإنشاء بركة أو أكثر لخزن الماء إلى جانبها، ليتسنى للحجاج أن ينزلوا عندها فى مراحل سفرهم، فيأخذوا قسطا من الراحة ويتزودوا بالماء، بل تجاوزه إلى الهبات والمساعدات المالية المرصودة للحرمين الشريفين والواجب تقديمها للسكان، وإلى جانب ذلك فقد كان يرد إلى الحجاز من الأموال المصرية وغيرها

---

(١) أبو عليه، دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، دار المريخ الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م. ص ٣٤١.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، النشاط التجارى فى البحر الأحمر فى العصر الحديث، مجلة الدارة، ع ٢، س ٦، ربيع الأول، ١٤٠١ هـ ـ كانون الثانى ١٩٨١م، ص ٩٤.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر د. عبد العزيز محمد الشناوى، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، جـ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٦٩٩.

(٤) أحمد جودت، تاريخ جودت، جـ٣، استانبول، ١٢٨٠، ص ٦١ – ٦٢. انظر أيضا نفس المؤلف، وقائع دولت عليَّة من سنة ١١٨٨ إلى سنة ١١٩٦، الجلد الثالث، استانبول (١٢٧٨)، ص ٦١.

سنويا، إذ تتولى المراكب نقل كميات من الرز والذرة تسمى (غلال الحرمين) من ميناء القصير المصرى، الذى أصبح أشبه ما يكون بمستودع لسكان السواحل الحجازية[١].

وقد تعاظم النفوذ السياسى لوالى جدة العثمانى فى هذه الحقبة، والذى شمل الساحل الغربى للبحر الأحمر من مصوع حتى سواكن، مما يشير إلى تنامى دور الحجاز السياسى فى المنطقة[٢]. وفى هذا الوقت توثقت علاقة أمير مكة بالقوى المجاورة، حتى أن حضرة الوزير باليمن جاء من ميناء مخا، وبصحبته ستة عشر مركبا عام ٩٧٩هـ / ١٥٧١م، واستقبله حينئذ شريف مكة حسن بن أبى نمي[٣].

من جانب آخر لم يتردد الأشراف من تقديم العون اللازم، بهدف تسهيل بسط النفوذ العثمانى فى المناطق المجاورة، منها دعمهم للعثمانيين فى جهدهم العسكرى عام ١٠٣٧هـ / ١٦٢٧م، الرامى إلى إخضاع مناطق يمنية أعلنت رفضها للوجود العثمانى على ساحل البحر الأحمر[٤]، مقابل إقدام استانبول من جانبها عام ١٠٤١هـ / ١٦٣١م على تقاسم دخل الحجاز المتأتى من مواسم

---

(١) M. ABIR; THE ARAB REBELLION OF AMIR CHALIB OF MECCA 1788 - 1813 MIDDLE EASTERN STUDIES, VOL. 2., LAY, 1916, P. 186.

(٢) أحمد إبراهيم ذياب، العلاقة بين جدة وسواكن التى كانت تابعة لولاية جدة فى فترة الحكم العثمانى، فى كتاب "مصادر" الكتاب الأول، جـ٢، ص ٢٠٧.

(٣) C. R. BOXER; PORTUGUESE CONQUEST AND COMMERCEIN SOUTHERN ASIA, 1500 – 1750, LONDON, 1985, P. 118.

قطب الدين، محمد بن أحمد النهروانى المكى "البرق اليمانى فى الفتح العثمانى" شركة دار التنوير للطباعة والنشر، ط ٢، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ٤٤٤ – ٤٤٥.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر القاضى عبد الله بن عبد الكريم الجرافى اليمنى، المقتطف من تاريخ اليمن، دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٦٣ - ١٦٤.

الحج والمكوس مع الأشراف، نظير قيامها بشئون الحج وعمارة الحرمين، تحت ضغوط متزايدة من الشريف زيد بن محسن أمير مكة[١].

فى الوقت نفسه تزايدت الإعانات المالية والمواد الغذائية الواردة إلى الحجاز من الأراضى المصرية، والمكونة من أوقاف تم حبسها على الحرمين الشريفين[٢]. وأشارت الوثائق العثمانية لعامى (١١٠٢ - ١١٠٣هـ / ١٦٩٠ - ١٦٩١م)، إلى حرص السلطان على توزيع تلك الإعانات على مستحقيها، مع اهتمام خاص بأرزاق الشرفاء[٣]، وضرورة العناية التامة بالحجاج وإسكانهم المكان المناسب لهم[٤].

على أن الدولة العثمانية لم تترك أشراف الحجاز وحدهم، فى إدارة دفة الحكم بالبلاد، فعلى الرغم من إقدام الشريف سعد بن زيد عام ١١٠٦هـ / ١٦٩٤م على مهاجمة قبيلة حرب متجاهلا تحذيرات استانبول له بالامتناع عن ذلك، إلا أن السلطان العثمانى أرسل حملة عسكرية بقيادة إسماعيل باشا - أمير الحاج

(١) د. مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م، ص ٤٤.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر د. جزاء قاهر، حول دفتر وقف مصرى جديد يتناول مصادر دخل متأتية من المحاصيل الزراعية لسكان مكة والمدينة، المجلة التاريخية المغربية، ع ٣٩ - ٤٠، س ١٢، كانون الأول ١٩٨٥، ص ٦١٢ - ٦١٣.

(٣) انظر وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، مركز التوثيق الإعلامى لدول الخليج العربى، الوثائق الأرشيفية المصرية من العهد العثمانى بتركيا، مج ١، ع ٤، أرقام البحث ٣٧٦٦ و٣٧٦٧، دفتر نامة همايون ٥، تاريخ الوثيقتين، أوائل رجب ١١٠٢ و ١١٠٣، الصفحات [١١٣ - ١١٦] و ١٤١ - ١٤٥. محل وجودها، الأرشيف العثمانى باستانبول. وسيشار لها لاحقا بالمختصر و.ع [و. أ. م. ت. أ].

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر الوثائق العثمانية المعربة عن أرشيف رئاسة الوزراء، استانبول، رقم الملف (٨٢) الموجودة فى مركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة، رقم البحث ١٨٦٤، دفتر ٩٩، الصفحة ١١٩، تاريخ الوثيقة: أواسط جمادى الآخرة ١١٠١، وسيشار لها لاحقا بالمختصر و.ع (م. د. خ. ع).

الشامى – مع جنود مصريين إلى الحجاز، تولت عزل أمير مكة ونصبت محله الشريف عبد الله بن هاشم[1].

وفى ضوء ذلك نرى أن الأماكن المقدسة أخذت تحتل أهمية كبيرة فى سياسات الدولة العثمانية، التى ما انفكت تظهر تمسكها بهذه الأماكن، مع بقاء سيطرة الأشراف على مقدراتها.

ب - وضع الأشراف فى الحجاز:

خضع الحجاز لسلطة الأشراف منذ القرن الرابع الهجرى (منتصف القرن العاشر الميلادى، وأول من صار شريفا على مكة هو الشريف أبو محمد جعفر الموسوى، بعد قتله حاكمها المعين من قبل العزيز بالله الفاطمي. وقد تمكن الشريف قتادة بن إدريس المقيم فى جهات ينبع عام ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م، من الاستيلاء على مكة موطدا بذلك مركزه وأسرته، ومكونا إمارة ظلت قائمة حتى تأسيس الدولة السعودية[2].

عزم السلطان العثمانى سليم الأول عقب استيلائه على مصر عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م، أن يجهز حملة عسكرية لاحتلال الحجاز، إلا أنه عدل عن ذلك، وأرسل خلعتين ثمينتين، دليلا على حسن نواياه تجاه شريف مكة "بركات بن محمد"[3]، مما كان حافزا فى دفع الأخير إلى إيفاد ابنه أبو نمى إلى القاهرة لمقابلة

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر سلحدار فندقليلى محمد، سلحدار تاريخى، أيكنجى جلد، (١٠٩٥ – ١١٠٦)، استانبول، ١٩٢٨، ص ٧٨٢ – ٧٨٥.

(٢) انظر على صدر الدين بن أحمد نظام الدين بن محمد معصوم المدنى، رحلة ابن معصوم المدنى أو سلوة الغريب وأسوة الأديب، تحقيق د. شاكر هادى، مجلة المورد، مج ٨، ع٢، بغداد ١٩٧٩، ص ١٧١. انظر أيضا درويش، المصدر السابق، ص ٤٣.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر أحمد زينى دحلان، الفتوحات الإسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية، جـ٢، مؤسسة الخليج وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م، ص ١٤٣ – ١٤٤.

السلطان العثمانى، وهو أمر أثمر عن إقراره وآبنه على إمارة مكة، حيث استمر شريكا لأبيه فى الحكم حتى وفاته عام ٩٣١هـ / ١٥٢٤م. وبعدها انفرد أبو نمى بالسلطة[١]، حيث بسط نفوذه على مدن الحجاز وقبائله[٢].

وعلى الرغم من محاولات العثمانيين الحد من سلطة الاشراف بوسائل غير مباشرة، عن طريق نشر عساكرهم فى مراكز المدن وتدخل والى جدة فى شؤون البلاد[٣]، إلا أن الأشراف الأقوياء كانوا يتجاهلون كل ذلك، وأبرزهم الشريف أبو نمى بن بركات (٩٣١هـ / ١٥٢٤م - ٩٩٢هـ / ١٥٨٤م) الذى حقق نجاحا ملحوظا فى إفشاله محاولة البرتغاليين، احتلال ميناء جدة حوالى عام ٩٤٨ هـ / ١٥٤١م، وقد منحه السلطان العثمانى سليمان ابن سليم الأول (٩٢٧هـ) / ١٥٢٠م - (٩٧٤هـ) / ١٥٦٦م) مقابل ذلك نصف إيرادات جدة مع هدايا أخرى[٤]. وفى الوقت نفسه توطد حكم الأشراف على المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية، بعد قيامهم بعدة غارات ناجحة عليها، لإخماد المعارضة فيها أو لكسب المال أحيانا[٥].

---

(١) جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين ابن طهيرة القرشي "الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وأبناء البيت الشريف" مكتبة الثقافة، مكة المكرمة، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م، ص ٣٢٤.

(٢) انظر أحمد راسم، رسملى وخريطة لى عثمانلى تاريخى، جـ١، استانبول [١٣٢٨ - ١٣٣٠]، ص ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٣) RANDALL BAKER; KINGHUSAIN AND THE KINGDOM OF HEJAZ, THE OLEANDER PRESS, NEW YORK, U. S. A, P. 2. -
الصباغ، المصدر السابق، ١٤٢.

(٤) عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى (١١٥٨ - ١٢٣٢هـ) (١٧٤٥ - ١٨١٨م)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١٢٣. انظر أيضا الأنصارى، موسوعة، ص ٨٩. انظر أيضا HOGARTH, OP. CIT, P. 94. -

(٥) د. سيد رجب حراز: "الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب" [١٨٤٠ - ١٩٠٩]، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٠٢.

حظي الحجاز فى عهد ابنه الشريف حسن (٩٦١هـ/ ١٥٥٣م - ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م) بمكانة مرموقة واستقل بالسلطة فى الحجاز[١]، إذ وسع نفوذ الأشراف باستيلائه على عدة مدن وحصون تقع شرقى نجد[٢]، فيما واصل ابنه الشريف أبو طالب (١٠١٠هـ/ ١٦٠١م - ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م) السياسة نفسها، والذى حقق انتصارا عسكريا على بعض مناطق نجد الذى تسكنه قبائل شمر[٣].

ترك نظام المشاركة[٤] فى الحكم الذى اتبعه أشراف الحجاز، آثارا سلبية على أوضاعهم السياسية، ومهد الطريق لزيادة التدخل العثمانى فى شؤونهم الداخلية، فحين تولى الشريف إدريس بن الحسن إمارة مكة عام ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م، بعد وفاة أخيه الشريف أبى طالب، أشرك معه بالحكم أخاه فهيد، وابن أخيه الشريف محسن بن الحسين، إلا أن الخلافات سرعان ما نشبت بين الأخيرين، وصولا إلى الصدام العسكرى بين الشريف إدريس والشريف محسن، مما اضطر كبار الأشراف إلى تنصيب الشريف محسن أميرا على مكة وعزل إدريس

(١) نجم الدين محمد بن محمد الغزى الدمشقى، ٩٧٧ - ١٠٦١هـ/ ١٥٧٠ - ١٦٥١م "لطف السحر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادى عشر" حققه محمود الشيخ، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومى، ١٩٨١، ص ٦٦٤.

(٢) عبد الرحيم، الدولة، ص ١٢٥.

(٣) بن معصوم المدنى "سلافة العصر فى محاسن الشعراء بكل مصر" مطابع على بر على، الدوحة، ١٣٨٢هـ، ص ٧٧.

(٤) إن أول إشارة صريحة لهذا النظام وردت خلال إمارة الشريف أبى سعد الحسن بن على بن قتادة، الذى اشرك معه بالحكم ابنه محمد وعمره آنذاك سبعة عشر عاما، بسبب أن عمه راجح بن قتادة المطالب بالإمارة لنفسه، استنجد بأخواله بنى الحسين حكام المدينة، فأمدوه بقوة عسكرية، فلما علم محمد بذلك وكان فى ينبع تحرك برفقة عساكر مؤيدة له، وحقق نصرا على القوة المهاجمة قبل دخولها مكة، الأمر الذى دفع والده أن يشركه معه بالحكم أواخر النصف الأول من القرن (٧هـ - ١٣م). انظر د. أحمد بن عمر الزيلعى، نظام المشاركة فى الحكم لدى أشراف مكة (٦٤٧ - ٩٢٣هـ/ ١٢٤٩ - ١٥١٧م) مجلة الدارة، ع ٣، س ١٤، ربيع الآخر - جمادى الأولى - جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ/ تشرين الثانى - كانون الأول ١٩٨٩م، ص ٦٣.

منها[١]. وتدخلت الدولة العثمانية فى حالات كثيرة مستغلة تلك الأوضاع غير المستقرة، وأسفر تدخلها العسكرى عام ١٠٤٠هـ / ١٦٣٠م، عن قتل الشريف محمد بن عبد الله بن حسن بن نمى من ذوى بركات، الذى أشرك معه بالحكم ابن أخيه الشريف زيد بن محسن من ذوى زيد، وعينت محله الشريف نامى بن عبد المطلب[٢] الذى سرعان ما عزل بالشريف زيد بن محسن المدعوم من قبل العساكر المصرية[٣].

سار أشراف الحجاز على ما ورثوه عن أجدادهم فى الاهتمام بالحرمين الشريفين بالتنسيق مع الدولة العثمانية، فحين تعرضت مكة بحدود عام ١٠٤٠ هـ / ١٦٣٠م، إلى سقوط مطر عظيم جارفا البيوت والدكاكين، وقد سارع الشريف حينذاك مسعود بن إدريس إلى المساهمة بنفسه فى الحفاظ على ممتلكات الكعبة، ومن ثم وضعها فى مكان آمن[٤].

أخذ النفوذ السياسى لأشراف الحجاز بالانتعاش لعوامل أبرزها إنحسار النفوذ العثمانى عن اليمن عام ١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م، وانسحاب الأساطيل العثمانية من البحار الشرقية، وفتح الأشراف ميناء جدة للتجارة الأوربية منذ أواخر القرن السابع عشر[٥]. وبلغ ذلك قمته فى عهد الشريف زيد بن محسن (١٠٤١هـ / ١٦٣١م - ١٠٧٧هـ / ١٦٦٦م) الذى عرف بحسن السيرة

(١) محمد أمين بن فضل الله بن عبد الله الدمشقى المحبى "خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر" [١٠٦١ - ١١١١]، جـ١، القاهرة، ١٢٨٤، ص ٣٩٠ - ٣٩٣، أنظر أيضا الموسوى العاملى، المصدر السابق الورقات ٦٦ - ٧١.

(٢) الجاسر، فوائد الارتحال ونتائج السفر فى أخبار القرن الحادى عشر، مجلة العرب، جـ١ و٢، ص: ٩، رجب وشعبان ١٣٩٤هـ / آب وأيلول ١٩٧٤، ص ١٢١ - ١٢٢.

(٣) العصامى المكى، المصدر السابق ص ٤٣٨ - ٤٤٠.

(٤) محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى، "أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار" جـ٢، المطبعة الماجدية، مكة المكرمة، ١٣٥٧هـ، ص ٢٤١ - ٢٤٢.

(٥) حراز، الدولة، ص ١٠٢.

والشجاعة، بشنه عدة غارات، لفرض سيطرته على أهل غمد ومنطقة الروضة فى نجد عام ١٠٥٧هـ / ١٦٤٧م(١)، فضلا عن إحباطه محاولة والى جدة عزله عن الإمارة(٢). وأكد أحد الرحالة العرب الذى زار الحجاز وقتذاك إلى تمتع البلاد بالأمن والاستقرار فى عهده، كما أشار إلى المناطق التى تخضع لحكم الشريف بقوله: "ولاية الحجاز الآن بأطرافه من أطراف اليمن إلى أقصى نجد مما يلى البصرة ثم إلى خيبر مما يلى ناحية الشام ثم إلى ينبع كلها للأمير زيد بن محسن"(٣).

حظيت شخصية الشريف زيد بن محسن بمكانة طيبة، فى علاقاته مع القوى المجاورة للحجاز والسلطة العثمانية المركزية، والدليل على ذلك أن إسماعيل بن القاسم – إمام اليمن – وجه أميرا على موكب حجاج اليمن عام ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م القادمين لزيارة الحرمين الشريفين(٤)، كإشارة إلى قوة الصلات بين الحجاز واليمن. وفى الوقت نفسه نجح الشريف فى كسب تأييد السلطان العثمانى إلى جانبه، لإعادة محمد باشا – حاكم الاحساء (١٠٧٧هـ) / ١٦٦٠م – (١٠٧٨هـ) / ١٦٦٧م) إلى منصبه، الذى أزاحه منه حسين باشا – حاكم البصرة – عام ١٠٧٦هـ / ١٦٦٥م(٥)، وذلك حين تولت قوات إبراهيم باشا –

(١) تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور (ت ١١٢٥هـ)، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ص ٤٧، بن معصوم المدنى، سلافة، ص ١٢٥.

(٢) عبد الكريم محمد غرايبه، مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ – ١٩١٨، جـ١، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م، ص ٣٢٠.

(٣) العياشى، مقتطفات ص ٨٤ و٨٩.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر سلوى سعد سليمان الفابى: "الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ودوره فى توحيد اليمن" (١٠٥٤ – ١٠٧٨هـ) (١٦٤٤ – ١٦٧٦م)، صنعاء، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ١١٦ – ١٢١.

(٥) د. طارق نافع الحمدانى، علاقة العثمانيين وآل افرا اسياب بالاحساء خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع ٣٢، مج ٥، الكويت، خريف ١٩٨٨، ص ١٨٦.

والى بغداد – مهاجمة معاقل حسين باشا وأعوانه، وأعقب ذلك أن تمت تسوية النزاع بين الجانبين، بعودة محمد باشا إلى حكم الأحساء[١].

تجددت الخلافات بين الأشراف أنفسهم على إمارة مكة، استنادا إلى انتماءاتهم الأسرية، فبعد وفاة الشريف زيد بن محمد عام ١٠٧٧هـ / ١٦٦٦م، تولى الحكم ابنه الشريف سعد، إلا أن الأشراف من آل بركات[٢] عارضوه وشاركهم العبادلة (وهم فرع آخر من الأشراف)، لأنهم يكرهون أن يمضى ذوو زيد[٣] فى تولى حكم الحجاز[٤]، وانتهى النزاع بين الجانبين فى تراجع زعيم المعارضين (حمود بن عبد الله) وإلى إعلان تأييده لاحقا للشريف الحاكم الذى بات يتمتع بمنزلة رفيعة[٥].

واصل الأشراف جهودهم بهدف تقوية سلطتهم وإضفاء مظاهر الأبهة على حكمهم، وفى هذا يورد الرحالة العثمانى أولياء جلبي[٦]، الذى جاء إلى مكة عام

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر نظمى زادة مرتضى، "كلشن خلفا" نقله إلى العربية موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب، النجف الأشراف، ١٩٧١، ص ٢٦٤ – ٢٦٨. انظر أيضا ريجارد كوك، "بغداد مدينة السلام" جـ٢، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه د. مصطفى جواد وفؤاد جميل، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٧م / ١٣٨٧هـ، ص ٥١.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن آل بركات ينظر الملحق الثانى فى نهاية الرسالة.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن ذوى زيد ينظر الملحق الأول فى نهاية الرسالة.

(٤) بعد اعتراف شريف مكة بركات بن محمد عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م بتبعيته للسلطة العثمانية أصبح آل بركات يحكمون الحجاز طيلة القرنين (١٦ – ١٧) وحتى النصف الأول من القرن (١٨)، باستثناء فترات قصيرة حكم فيها أشراف من ذوى زيد، وهم الشريف زيد بن محسن (١٦٣١ – ١٦٦٦م) والشريف سعيد بن سعد (١٦٨٧ – ١٧١٦) وهم فرع من الهواشم كانوا فى نزاع مستمر مع آل بركات الذين تولوا الشرافة منذ منتصف القرن (١٨). انظر: حراز، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر الموسوى المكى، المصدر السابق، ص ٥٣٤ – ٥٣٥.

(٦) اسمه محمد ظلى بن درويش، ولد بالقسطنطينية عام (١٠٢٠هـ (١٦١١ – ١٦١٢م)، وتوفى عام ١٠٩٠هـ / (١٦٧٩م) بقليل، قام خلال أربعين عاما برحلات طويلة إلى أنحاء الدولة العثمانية. انظر دائرة المعارف الإسلامية، مادة أولياء جلبى، المصدر السابق، ص ١٥٩.

١٠٨٢هـ / (١٦٧١م) لأداء فريضة الحج، إلى أنه حضر شخصيا مناسبة تولى الشريف بركات بن محمد الإمارة، وأن الأخير أهداه مبلغا من المال ولوازم ضرورية قبل توجهه إلى جدة[1]، فيما ساد أهالى مكة شعور بضرورة الوقوف ضد هجمات الأعراب على طرق الحجيج، إذ أشار الرحالة الفرنسى كاريه (carre) الذى جاء إلى المناطق المجاورة لمكة عام ١٠٨٢هـ / ١٦٧١م، إلى تلقيه حماية من سكانها أثناء تنقلاته خشية مهاجمة الأعراب له، والذين كانوا يتربصون الشر بقافلة الحج الرومى (العثمانى) الوافدة إلى الحرمين الشريفين[2].

كما شهدت هذه المدة جهودا كبيرة بذلها الأشراف فى تقوية نفوذهم السياسى والتغلب على معارضيهم، إذ ألحق الشريف بركات بن محمد فى عام ١٠٨٤هـ / ١٦٧٣م الهزيمة بقبيلة حرب[3]، التى كانت قد أعلنت رفضها الخضوع لسلطة أمير مكة، بسبب حجب الأخير أو أمراء الحاج[4]، الأموال المخصصة لها من قبل الدولة العثمانية، لقاء توليها حماية قوافل الحجيج عبر أراضيها[5].

على أن النزاع بين الأشراف حول الشرافة لم ينته، فعلى الرغم من اتفاقهم عام ١٠٩١هـ / ١٦٨٠م على تعيين الشريف سعيد بن بركات حاكما على الحجاز بعد وفاة والده، إلا أن الدولة العثمانية ظلت متمسكة بتأكيد وجودها الرسمى على

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر أولياء جلبى سياحتنامه سيء كتاب مطبوع بالحروف اللاتينية، المجلد التاسع، دولت مطبعة سى، استانبول، ١٩٣٥، ص ٧٩٢.

(٢) CARRE; VOYAGE DES INDES CRIENTALES, TOM PREMIER, PARIS, 1699, P. 234 – 235.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر عبد الواحد بن الشيخ عبد الله باثر أعيان العباسى "زبدة التواريخ" جـ ١٠، مخطوط فى المكتبة العباسية بالبصرة، تحت رقم [ى ٣٣]، الورقة ١٨٣.

(٤) أمير الحاج: وهى من أجل الوظائف فى مصر بالعهد العثمانى، حيث كانت تلى فى الأهمية وظيفة شيخ البلد التى تعتبر أعلى الوظائف فى مصر حينذاك. انظر د. حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، جـ١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢٠٥.

(٥) الجاسر، كشف الحجب والستور عما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور، مجلة العرب، جـ ٧ و ٨، س ٢٠، محرم – صفر ١٤٠٦هـ / أيلول – تشرين الأول، ١٩٨٥م، ص ٤٢٥.

شرعيَّة منصب شريف الحجاز، فأوفدت ممثلا لها يحمل المرسوم السلطانى، الذى قرئ متضمنا التفويض بأمر الحرمين الشريفين إليه[١].

فى الوقت نفسه استمر الصراع بين أشراف الحجاز وولاة جدة العثمانيين وفى ظروف مختلفة. إذ تمكن مملوك بك – والى جدة – من تحقيق نصر عسكرى على الشريف أحمد بن غالب عام ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م، وأجبره بالتالى على ترك منصبه تحت ضغط كبار الأشراف[٢].

على أن نفوذ الأشراف قد تزايد أواخر القرن السابع عشر الميلادى باتجاه أراضى نجد، خلال فترة إمارة الشريف سعد بن زيد عام ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م، والشريف سرور ابن زيد عام ١١٠٩هـ / ١٦٩٧م، مما يشير إلى تعاظم دورهم السياسى مع إطلالة القرن الثامن عشر[٣].

على أن تحليل طبيعة العلاقة بين الأشراف والسلطة العثمانية فى هذه الحقبة، تظهر لنا أن الحجاز قد تمتع بقدر كبير من الحكم الذاتى، وظل الأشراف يحكمون باسم السلطان العثمانى ويدينون بالولاء لنفوذه[٤]. وإذا كان أمراء مكة قد أفادوا من القوة السياسية العثمانية لفرض الأمن والاستقرار المحلى والإقليمى وتأكيد نفوذهم فى المنطقة، فإن العثمانيين قد أفادوا بدورهم من المكانة الدينية لأشراف الحجاز واستثمروها للاستحواذ على ولاء العالم الإسلامى، وتعزيز المكانة الدينية والسياسية للدولة العثمانية[٥].

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر العصانى المكى، المصدر السابق، ص ٥٣٧ – ٥٣٩.
(٢) انظر غالب، المصدر السابق، ص ٤٤.
(٣) لمزيد من التفاصيل انظر مقبل بن عبد العزيز الذكير "العقد الممتاز فى أخبار تهامة والحجاز" مخطوط فى دار صدام للمخطوطات، تحت رقم (٤٠٣٥٤) الورقة ١٦.
(٤) جعفر الخليلى، موسوعة العتبات المقدسة، الجزء الأول من قسم مكة المكرمة، دار التعارف، بغداد، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، ص ٢٨٤، الصواف، المصدر السابق، ص ٥٤.
(٥) لمزيد من التفاصيل انظر الجميل، تكوين، ص ١٢٦.

الفصل الثانى

نظام الحكم فى الحجاز وطبيعته

١. نظام الشرافة وجذوره التاريخية

٢. تطور نظام الشرافة خلال القرن الثامن عشر

١. نظام الشرافة وجذوره التاريخية:

تدل كلمة الشريف[١] فى اللغة على الارتفاع والعُلُوّ، وتطلق على الشخص الذى له آباء متقدمون فى الشرف، ثم صار الانتساب إلى آل بيت النبى محمد (ﷺ) وأقربائه علامة مميزة لهذا اللقب، فيما اقتصرت التسمية فى عهد الخلافة العباسية على أبناء "الحسن" أو أبناء "الحسين" وحدهم[٢]. وعلى ذلك فإنها أطلقت على من كان من ذرية أولاد "عليٍّ" (عليه السلام) من فاطمة ابنة رسول الله (ﷺ) وهما الحسن والحسين، ومن كان من غيرهما من أولاده فإنه يسمى علويا ولا يسمى شريفا[٣]. ولما كان الأشراف ينحدرون من تلك السلالة ومن قبيلة قريش نفسها، فقد زادهم ذلك منزلة ورفعة[٤].

---

(١) أول من أطلق عليه كلمة الشريف هو الشريف الرضى (محمد بن الحسين بن موسى) ثم على أخيه المرتضى فى العهد العباسى، الذى ينتهى نسبه إلى الحسين بن على ابن أبى طالب (عليه السلام)، له مؤلفات معروفة وديوان شعر مطبوع. لمزيد من التفاصيل انظر مناحى المقتامى، معجم قبائل الحجاز، مجلة العرب، جـ١ و٢، س ١٥، رجب وشعبان سنة ١٤٠٠هـ / أيار وحزيران سنة ١٩٨٠م، ص ١٣٤.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، المصدر السابق، مج ١٣، ص ٢٦٦ و٢٦٩.

(٣) أما من كان من ذرية بنى عبد المطلب بن هاشم، فينتسب إلى أبيه الأعلى ويقال له هاشمى، ومن كان من ذرية العباس بن عبد المطلب فيقال له عباسي. انظر عبد الرزاق كمونة الحسينى، فضائل الأشراف، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ص ص ٥ - ٦.

(٤) - C. SNOCK HURGRONJE; MEKKA IN THE LATER PART OF THE 19TH CENTURY, TRANSLATED BY J. H. MONAHAN, LEIDEN, 1970, P. 8.

انظر أيضا - AHANDBOOK OF ARABIA, VOL. 1,P. 34.

حظى نظام الشرافة بمكانة وأهمية فى العالمين العربى والإسلامى، فضلا عن تأثير" فى البيوتات الهاشمية، ومما يدل على ذلك هو ظهور نقابة الأشراف التى أنشأها العباسيون منذ القرن الثالث الهجرى فى بغداد(١). وتطور فيما بعد حتى وجدت مثيلات لها فى كل من مصر والشام، وكان من واجباتها الفحص عن أنساب الأشراف وإصلاح أحوالهم وتدبير شؤونهم، مما أدى إلى إجلال الناس واحترامهم لهم وبالتالى اتساع نفوذهم الدينى والسياسي(٢)، حتى أصبح نقيب الأشراف فى استانبول لا يتقدم عليه عند السلطان العثمانى إلا شيخ(٣) الإسلام(٤).

لقد كانت مكة المكرمة عاصمة الحجاز حتى عام ٣٥٨هـ / ٩٦٩م، إمارة تابعة للدولة العباسية وحين استولى الفاطميون على مصر، واقتطعوها مع بلدان أخرى كانت تابعة للخليفة العباسى، أعلن أمراء المدينة المنورة من آل الحسين بن على ابن أبى طالب (عليه السلام) بقيادة طاهر بن مسلم الحسينى استقلالهم عام

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر حسن النجار "الإشراف" مطبعة الكواكبى، القاهرة، ١٣٥٩هـ / ١٩٣٨م، ص٧٢، انظر أيضا كمونة الحسينى "موارد الاتحاف فى نقباء الأشراف" جـ١، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٨، ص ص ٧ - ٨.

(٢) إن شرف الانتساب إلى نقابة الأشراف يستجلب لصاحبه مزايا معنوية وأحيانا منافع مادية، فلابد من المنتسب إلى هذا البيت الشريف أن يقدم الدليل على نسبه هذا. انظر تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر" علق عليه الأمير شكيب أرسلان، ملحق الجزء الأول، المطبعة الرحمانية بمصر، (١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م)، ص٥. انظر أيضا الغزى الدمشقى، المصدر السابق، ص٦٢.

(٣) شيخ الإسلام: هو المفتى الأكبر فى الدولة العثمانية.

(٤) الشيخ أحمد البديرى الحلاق، حوادث دمشق اليومية (١١٥٤ - ١١٧٥هـ)، طبعة (١٧٤١ - ١٧٦٢م)
لجنة البيان العربى، القاهرة، ١٩٥٩، ص١٠٨.

٣٦٠هـ / ٩٧١م[١]. وفى الوقت نفسه استقل الأشراف من آل "الحسين" فى مكة، وأولهم جعفر بن محمد[٢].

يتكون الأشراف من أربع طبقات هى: الموسويون أو بنى موسى[٣]، والسليمانيون (بنو سليمان) والهواشم (بنو هاشم)، وتولوا الحكم للفترة من (٣٥٨هـ / ٩٦٨م – ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)[٤]، ثم انتزعها منهم الشريف قتادة بن إدريس[٥] (٥٩٧هـ / ١٢٠٠م – ٦١٧هـ / ١٢٢٠م) وهو جد أشراف الحجاز، الذى وصف بالشجاعة والمقدرة على توحيد قومه[٦]، مستغلا خلافاتهم الشخصية، إذ أخضع لسلطانه الأراضى الحجازية كافَّة من خيبر شمالا حتى القنفذة جنوبا، وقد نجح فى إقامة علاقات طيبة مع كل من الأيوبيين فى مصر والشام، والعباسين فى العراق، بهدف حفظ التوازن فى الحجاز[٧].

---

(١) انظر د. سليمان عبد الغنى مالكى " بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية فى بغداد من منتصف القرن الرابع الهجرى حتى منتصف القرن السابع الهجرى، (٣٢ مطبوعات دارة الملك عبد العزيز) الرياض، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٥٠-٥١.

(٢) أصبح يطلق لقب الأشراف على العائلة التى تحكم مكة أو المدينة المنورة نسبة إلى تشرفهم بإمارة أى منهما، تمييزا لهم عن غيرهم من العلويين ممن لم يتولوا الإمارة. انظر: بن معصوم المدنى، رحلة، ص١٧١ . انظر أيضا مالكى، المصدر السابق، ص٣.

(٣) للاطلاع على الأسر الشريفية ينظر محمد بن أبى الفتوح الموسوى اليمانى الزيدى "النفحة العنبرية فى إنسان خير البرية" مخطوط فى دار صدام للمخطوطات، تحت رقم (١٤٦٩٠)، الورقات ٣٣-٣٥.

(٤) دحلان، تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية (د. ت)، ص١٣٩.

(٥) يعد قتاده بن إدريس مؤسس أسرة أمراء مكة، استغل ضعف الهواشم فاستولى على الحرمين الشريفين، وحكم بنو قتادة الحجاز للفترة التاريخية الممتدة بين (٥٩٧ – ١٣٤٤هـ) (١٢٠٠ – ١٩٢٥م)، وهى السنة التى أُجلى فيها الملك على بن الحسين من جدة، ودخول الحجاز برمته تحت الحكم السعودي. انظر خليل أدهم "دول إسلامية" ملى مطبعة، استانبول، ١٩٢٧ (هـ ١٣٤٥)، ص ١٠١٤٩ وهبة، المصدر السابق، ص١٦٦.

(٦) انظر الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ١، الورقة ٧.

(٧) محمد لبيب البتانوني، "الرحلة الحجازية" مطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩هـ، ص٧٤.

تداول حكم الحجاز من بعده أبناؤه وأحفاده، حتى آلت الشرافة إلى آل بركات، وهم فرع من الأسرة الإدريسية ولعل أبرزهم الشريف محمد بن بركات (٨٥٩هـ / ١٤٥٥م – ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م)، الذى نشر نفوذه إلى جميع أنحاء الحجاز، من ينبع فى الشمال إلى جازان فى الجنوب، وإلى أطراف نجد فى الشرق، فضلا عن احتفاظه بعلاقات طيبة مع مماليك مصر(١)، واستمر حكمهم من الربع الأول من القرن الخامس عشر، حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادى، حيث انتقلت الشرافة إلى آل زيد من الأسرة ذاتها، منذ منتصف القرن المذكور(٢).

لقد جرت العادة أن يتم اختيار الشريف(٣) لمنصب الشريف من قبل كبار الأشراف فى الحجاز، ثم يكتب إلى استانبول لإعداد الفرمان السلطانى لتثبيته بمنصبه فى الإمارة(٤)، التى فى الغالب لا تتدخل فى مسألة تعيين أمراء مكة، فيما تبوأ الأشراف مكانة طيبة لدى الدولة العثمانية، إلى حَدٍّ أن منصب الشريف أخذ

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر. ريتشارد مورتيل "الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة فى العصر المملوكى" الرياض، عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٢٠٠.

(٢) حراز، المصدر السابق، ص١٠٤، ومعلوم أن آل عون هم الفرع الثالث من بنى قتادة، استخدمهم محمد على باشا أثناء احتلاله الحجاز خلال النصف الأول من القرن [١٩] كونهم منافسين لآل زيد، انظر جارشلى، المصدر السابق، ص١٦٥ و ١٩٢.

(٣) تشير بعض المصادر إلى أن تعداد جماعة الأشراف منذ دخول الحجاز تحت السيادة العثمانية لا يتعدى الثلاثمائة شخص يتبعهم مواليهم. انظر الشيخ عبد الرحمن بن أحمد البهيكى – تكملة الشيخ الحسن بن أحمد عكاش "نَفْحُ العود فى سيرة دولة الشريف حمود" دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ محمد بن أحمد العقيلى، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (٢٢) الرياض، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص٣٠.

(٤) عبد الرحيم، من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على، مج١، دار المتنبى للنشر والتوزيع، الدوحة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٢٢.

يأتى بالدرجة الثانية بعد الصدر الأعظم، لذا فإن اتصال شريف مكة يكون مباشرا به[1].

من أولى مهام شريف مكة، هى تأمين شعائر الحج[2] الوافدة إلى الحرمين الشريفين، والنظر فى قضايا العشائر ونشر الأمن والطمأنينة بين السكان، مع بسط نفوذه على البدو فى المناطق المجاورة[3]، ويبدو أن الأشراف قد تمتعوا خلال هذه المرحلة بسيادة شبه مركزية على الحجاز، كونهم أصبحوا مرجعا أعلى للفصل فى الخصومات والقضايا المتعلقة بالحجيج، ولهم الأحقية فى فرض الضرائب على المطوفين والحجاج والجمالة[4].

ولم يكن شريف مكة يعتمد لتحقيق كل ذلك على مجموعة كبيرة من الجنود النظاميين[5]، وإنما فى الغالب على نفوذه لدى القبائل العربية النازلة على طول

---

(١) انظر على أكبر د. هند، لغة نامه، شمسى خورشيدى تهران [١٣٢٥]، ص ٣١٢. جارشلين، المصدر السابق، ص١٩٠.

(٢) تتكون قوافل الحج من : قافلة الحج الشامى، وتضم حجاج الشام والدولة العثمانية، وقافلة الحج المصرى، وتضم حجاج مصر وشمال أفريقيا، وقافلة الحج العراقى، وتتكون من حجاج العراق وفارس، وقافلة الحج اليمنى، وتضم حجاج اليمن والهند وأندونيسيا، إضافة إلى آخرين كانوا يفدون عن طريق البحر الأحمر. انظر:
الصاغ: المصدر السابق ص: ١٤٢
- NIEBOUHR, OP. CIT, VOL. 11, P. 37

(٣) د. الصفصاف أحمد المرسى، الدولة العثمانية والولايات العربية، مرحلة الدارة، ع٤، س٨، رجب ١٤٠٣هـ/ إبريل (نيسان) ١٩٨٣، ٨٥.
- BAKER, OP. CIT, P. 3.

(٤) د. سيار كوكب على الجميل، تكوين العرب الحديث ١٥١٦ – ١٩١٦، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩١، ص ١٢٤.

(٥) كان للشريف عناصر شبه عسكرية مؤلفة من اليمنين والمغاربة والحضارم والأفغانيين يصل تعدادها إلى بضعة آلاف، سوى العبيد الذين يصل تعدادهم أحيانا إلى ما يزيد عن الألف. انظر أحمد السباعى، "تاريخ مكة دراسات فى السياسة والعلم والاجتماع" جـ٢، مطابع دار قريش، ط ٢، مكة، ١٣٨٥هـ ص ١٠٠.

طريق القوافل[1]، غير أنه وفى أحيان كثيرة كان يستدعى أنصاره من الأشراف مع أتباعهم، وهم يكنون له احتراما شخصيا بوصفه رئيسهم والأعلى بين أقرانه كلما دعت الحاجة إلى ذلك، لاخماد معارضيه وتثبيت نفوذه السياسي[2].

ازداد مركز الشرافة قوة وإزدهارا، حينما تولى إمارة مكة، الشريف أبو نمى بن بركات (٩٣١هـ / ١٥٢٤م - ٩٩٢هـ / ١٥٨٤م)، الذى وضع قانونا عرف باسمه[3]، أعطى للأشراف سلطة قوية على الحجاز. وعلى الرغم من أن نظام الشرافة قد أضفى على المنطقة نوعا من الحكم الذاتى، إلا أنه كان مبعثا لقيام نزاعات بين الأشراف أنفسهم على تولية منصب شريف مكة، مستعينين أحيانا بأمراء الحاج الشامى أو المصرى، المعروفين بدورهم المؤثر فى مسألة تعيين حكام الحجاز أو عزلهم، لكسب تأييدهم فى محاولاتهم تولى السلطة أو ترسيخ سلطتهم المتوارثة[4].

ورغبة من الأشراف فى توريث الحكم لأبنائهم وأحفادهم، فقد اتبعوا نظام المشاركة فى الحكم، الذى هو شبيه بولاية العهد، وتمثل ذلك فى حرْص معظمهم على إشراك أبنائهم فى الحكم معهم، حتى يضمنوا وصولهم إلى السلطة بعد

---

(١) محمد أنيس، السيد رجب حراز، الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٧، ص٣١. انظر أيضا:

- ABIR, OP. CIT, P. 187.

(٢) - JOHN LEWIS BURCKARDT; TRAVELS IN ARABIA, AN ACCOUNT OF THOSE TERRITORIES IN HEJAZ WHICH THE MAHAMMEDANIS REGARDAS, LONDON, 1829, P. 222.

(٣) وضع قانون [أبو نمي] القواعد لنظام الشرافة فى الحجاز، وهو مكون من [٣٦] مادة، أهمها جعل إمارة مكة إرثا فى إمرة [أبو نمي]، ومنع الأشراف من الاشتغال ببعض المهن. لمزيد من التفاصيل انظر حسين بن محمد نصيف "ماضى الحجاز وحاضره" جـ١، مكتبة ومطبعة خضير، القاهرة، ١٣٤٩هـ، ص ١٧ - ١٨.

(٤) انظر عبد الحميد البطريق، أشراف الحجاز فى الوثائق المصرية الفترة المصرية العثمانية (١٢٢٨ - ١٢٥٦هـ) (١٨١٣ - ١٨٤٠م)، فى كتاب مصادر، ص ٢٣٠.

استحصال موافقة الدولة العثمانية، فيما ساد الاعتقاد لدى غالبية الأشراف، بأن لهم حقا موروثا فى إيرادات مكة، فضلا عن تزايد حاجة غيرهم من الأشراف من غير الحكام، إلى موارد مالية لصرفها على الأتباع المؤيدين لهم، الذين يعتمدون فى عيشهم على ما يمنحه هؤلاء لهم من الاعطيات والنفقات[1].

ولم تأل السلطة العثمانية جهدا فى إبداء الاحترام والعون اللازم للأشراف[2]، إلا أن اهتمامها ظل محصورا فى رعاية المدينتين المقدستين مكة والمدينة، وحماية الطرق المؤدية إليهما، مما جعل قبضة الدولة العثمانية متراخية خاصة فى مكة، فى حين تقوت سلطة الشريف الحاكم، الذى نجح فى إيجاد نفوذ كبير له بين سكان المدن، وإلى حدٍ ما بين قبائل الحجاز، فأصبح للأشراف القدرة على تعيين أى فرد يريدونه أحيانا من بينهم لمنصب الشرافة، والحصول على موافقة السلطة العثمانية دونما صعوبة[3]،

فضلا عن ممارستهم لشئونهم الداخلية والخارجية بالشكل الذى يريدونه، والذى لا يتعارض دائما مع المصالح العثمانية فى المنطقة. فقد كان العثمانيون يكتفون فى بعض الأوقات، بإصدار الأمر السلطانى، لتثبيت الشريف الذى تولى الإمارة وبإمكانه البقاء أطول مدة فى الحكم، فيما لو نجح فى كسب تأييد أكبر عدد من قبائل الحجاز[4].

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر الزيلعى، المصدر السابق، ص ٧٥ - ٧٦.

(٢) من ذلك أرسالها سنويا لأشراف الحجاز الصرة مع أمين الصرة وخلعة الإمارة مرفقة بالرسالة السلطانية المتضمنة التفويض بالإمارة، انظر راسم، المصدر السابق، ص ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٣) - SALEH MAHAMMAD AL-AMR; THE HEJAZ UNDER OTTOMAN RULE 1869-1914, OTTOMAN VALL, THE SHARIF OF MECCA AND THE GROWTH OF BRITISH INFLUENCE, FOR THE DEGREE OF DOCTOR OF PHILOSOPHY AT THE UNIVERSITY OF LEEDS, RIYAD UNIVERSITY RUBLICATIONS, 1974, P. 45.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر صلاح العقاد، "رحلة كارستن نيبور فى كتاب "مصادر"، ص ٤٤٧. انظر أيضا الشناوى، الدولة، ص٩٦٢.

وعلى الرغم من التزام أشراف الحجاز بالولاء لاستانبول[1]، إلا أ كانت تتدخل، وفى ظل ظروف مناسبة، لإثارة النعرات أو الخلافات بين الأشراف، لتحقيق مآربها السياسية، وربما تلجأ إلى استخدام العسكرية، من ذلك قيام فانصوه باشا - قائد الحملة العسكرية العثمانية أستولت على اليمن عام ١٠٣٨هـ / (٦٢٨م) - بقتل الشريف أحمد بن عبد المطلب (١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م - ١٠٣٩هـ (١٦٢٩م) أمير مكة وقتذاك، وتعيين الشريف مسعود بن إدريس محلّه، إذ أن الأخير أدى دورا بارزا فى إثارة القائد العثمانى وتحريضه للقيام بعمله هذا عام ١٠٣٩هـ (١٦٢٩م)[2].

على أن الأشراف كانوا قد تعرضوا أيضا لضغوط مباشرة من قبل القوى المجاورة لهم، خاصة من الولاة العثمانيين فى كل من مصر والشام، فكانت عملية تعيينهم أو عزلهم عن إمارة مكة، تتأثر هى الأخرى بمقدار الدعم الذى كان يلقونه من قبل هؤلاء الولاة المتنفذين[3]. وربما يستعينون بالأخيرين لتزكيتهم لدى السلطان العثمانى، فى محاولاتهم الدؤوبة لنيل شرافة الحجاز[4]، وعندما وقعت فتنة بين عبيد أحد الأشراف وبين أحد العساكر المصرية عام ١٠٤٦هـ/ ١٩٣٦م، طلب الشريف زيد بن محسن وساطة رضوان بك - أمير الحاج المصرى - للحيلولة دون دخول العساكر المصرية مكة، وعلى الرغم من وقوع اشتباكات متفرقة بعد ذلك بين الجانبين، إلا أن محمد بك ابن فريخ - أمير الحاج الشامى - تمكن من تحقيق الصلح بينهما[5].

---

(١)- ABTR; OP. CIT, P. 40.

(٢) اتخذ هذا الولاء اشكالا عدة منها، قيام الاشراف بذكر اسم السلطان فى صلاة الجمعة والرجوع إليه فيما يتعلق بالحرمين الشريفين. لمزيد من التفاصيل انظر

- AHANDBOOK OF ARABIA, VOL. 1, P. 34.

(٣) الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ١، الورقة ٩٩.

(٤) البطريق، المصدر السابق، ص ٢٣.

(٥) العصامى المكى، المصدر السابق، ص ٤٥٣ - ٤٥٤.

من ناحية أخرى ظل الصراع قائما بين أشراف الحجاز وولاة جدة، خاصة حول واردات ميناء المدينة، حتى نجح الشريف زيد بن محسن فى نهاية العقد الثالث من القرن السابع عشر، من جعلها مناصفة بين الجانبين، إلا أن ذلك لم يمنع أولئك الولاة من التدخل فى شؤون الحجاز، ومن ثم الاستحواذ على موارده المالية[1]، إذ ما برحوا يحرصون على إذكاء الخلافات بين الأشراف وتأجيجها لإضعافهم والسيطرة عليهم، وهو أمر يجعل السلطان العثمانى يثمن مواقفهم تلك ويبقيهم فى مناصبهم[2]. وعند زيارة الرحالة العثمانية أولياء جلبى جدة عام ١٠٨٢هـ (١٦٧١م)، أكد استمرار تقسيم الموارد المالية المستحصلة من واردات جدة بين ممثل الشريف والسلطان العثمانى بالمدينة[3].

ويظهر مما سبق أن نظام الشرافة قد تطور كثيرا منذ نشأته الأولى حتى نهاية القرن السابع عشر، سواء كمؤسسة داخلية فى الحجاز، أو من حيث علاقتها بالدولة العثمانية. فمن جهة حاول الأشراف إقامة نظام وراثى خاص بهم، واتبعوا فى ذلك أيضا نظام المشاركة، ولما جر هذا النظام إلى مشاكل كثيرة لهم، فقد التجأ الأشراف إلى السلطة العثمانية – أحيانا – التى وجدت الفرصة متاحة لإقامة نفوذ عثمانى قوى فى الحجاز.

٢ - تطور نظام الشرافة خلال القرن الثامن عشر:

ازداد نظام الشرافة قوة فى أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر، بفعل عوامل أبرزها الهزائم العسكرية التى منيت بها الدولة العثمانية جراء حروبها

---

(١) - ZWEMER. SAMUEL MORINUS; ARABIA, THE CRADLE OF ISLAM STUDIES IN GEOGRAPHY, PEOPLE AND POLITICS OF THE PENINSULA WITH AN ACCOUNT OF ISLAM AND MISSION WORK, INTRODUCED BY JAMES S. DENNIS, EDINBURGH AND LONDON, OLIPHANT 1900, P. 207

(٢) عبد الرحيم، الدولة، ص١٢٣، انظر أيضا السباعى، المصدر السابق، ص ٩٥ - ٩٦.

(٣) فند قليلى محمد، المصدر السابق، ص ٧٩٥.

الأوربية[١]، مما جعلها غير قادرة على الاستمرار فى إحكام سيطرتها التامة على ما تبقى من المناطق التابعة لها[٢]. كما أن انحسار نفوذها فى البحار الشرقية، بما فيها سواحل البحر الأحمر، مع تزايد النفوذ الأوربى المنافس لها على تلك المناطق، قد أسهم فى إضعاف وجودها فى الحجاز[٣].

وفى الوقت نفسه برزت مستجدات سياسية شجعت الأشراف على انتهاج سياسة مستقلة خاصة بهم، فى مقدمتها نمو الحركات المستقلة عن السيادة العثمانية فى كل من مصر والشام، حتى إن الأشراف باتوا مستعدين لسحب عرى الصداقة التى تربطهم بأئمة اليمن، إذا ما شعروا بتهديد الأخيرين لمصالحهم، ومن ثم كانوا على استعداد لتعريض صلاتهم مع السلطة العثمانية إلى حالة التوتر والخطر، فضلا عن تطوير علاقاتهم الودية مع المغرب، وتزايد مواردهم المالية، نتيجة تلقيهم الكثير من الهدايا والتبرعات من الهند مباشرة[٤].

---

(١) تعرض العثمانيون لهزيمة عسكرية أثر الحرب التى شنتها عليهم كل من (النمسا – بولندة – البندقية – روسيا)، واستمرت من (١٦٦٨ – ١٦٩٩) واجبروا بموجب صلح كارلو فتز KARLOWITZ عام ١٦٩٩م، على التنازل للنمسا عن أغلب أراضى ترانسلفانيا وعن المجر كلها تقريبا ومناطق أخرى. لمزيد من التفاصيل انظر د. محمد كمال الدسوقى، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٩٥ – ٩٧.

(٢) حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الجزيرة العربية فى عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مطابع دار الكتاب، ط١، بيروت، ١٩٦٨، ص٤٤.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر

RICHARD SCHOFIELD AND GERALD BLAK EDS ARABIAN BOUNDARIES PRIMARY DOCUMENTS 1853 - 1857 VOLUME ARCHIVE EDITIONS ENGLAND, 1988, P. 608.

الصواف، المصدر السابق، ٥٤.

(٤) محمد المنوفى، الجزيرة العربية فى الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها، فى كتاب مصادر، ص ٣١٧. انظر أيضا

- HOGARTH; OP. CIT, P. 96 – 97.

لقد شهدت بداية القرن الثامن عشر استمرار التصارع بين الأشراف على تولى السلطة فى الحجاز، فحين تنازل الشريف سعد بن زيد عن الحكم عام ١١١٤هـ / ١٧٠٢م، لابنه سعيد باختيار منه، أثار هذا الأمر استياء الأشراف من آل بركات الذين نازعوه الإمارة[١]، وخلال تلك الأحداث اعتمد آل زيد على القبائل المحيطة بمكة والطائف، خاصة هذيل وثقيف وعتيبة فى صراعهم ضد آل بركات، فيما تلقى الأخيرين دعما من العثمانيين وأهل المدينة والقبائل الساكنة بين ينبع والمدينة خاصة من بنى حرب، وعد ذلك سببا فى إثارة النزاع بين الأسرتين[٢] المتنافستين، دام لمدة طويلة[٣].

وعلى الرغم من أن نفوذ الدولة العثمانية، قد اهتز اهتزازا عميقا منذ بداية القرن الثامن عشر، فى أنحاء شبه الجزيرة العربية، إلا أن أشراف الحجاز وأهله انفردوا بالولاء للسلطان العثمانى، حيث أشارت الوثائق العثمانية إلى استمرار الاتصالات بين الطرفين، وتناولت أيضا أوضاع وزوار الحرمين الشريفين، وأمورا أخرى تهم المنطقة[٤].

ومع ذلك فإن الممثل العثمانى ظل مقيما فى جدة، تاركا لأمراء مكة النفوذ الحقيقى فى تسيير دفة الحكم فى البلاد[٥]. وبهذا الخصوص أكد الرحالة الفرنسى شارل جاك بونسيه CHARLES JACQUES PONCET)، الذى وصل جدة

---

(١) محمد بن عمر الفاخرى، الأخبار النجدية، دراسة وتحقيق، د. عبد الله بن يوسف الشبل، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر (١٠) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (د. ت)، ص ٨٤.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر ABIR; OP. CIT, P. 186 -.

(٣) عبد الله فيلبى، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، تعريب عمر الديراوى، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، [د. ت]، ص ٢٠.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر و.ع [م. د. خ. ع] رقم البحث ١٢٤٩، دفتر مهمة ١٤٤، الصفحة ٦٤ - ٦٥. تاريخها، أواسط رجب ١١٤٩هـ. انظر أيضا الصواف، المصدر السابق، ص ٥٤.

(٥) محمد جميل بيهم، قوافل العروبة ومواكبها، جـ٢، بيروت، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، ص ١٢.

أواخر عام ١٧٠٠، قادما من القاهرة عبر مدينة مصوع الواقعة على الجانب الغربى من البحر الأحمر[١]، نجاح الشريف فى إجبار الوالى العثمانى فى جدة، على دفع ما عليه من أموال مستحقة للشريف، وقدرها (١٥) ألف كروان[٢] ذهبى، ملوحا باستخدام القوة ضده، فضلا عن إجباره أتباع ذلك الوالى من التجار، على دفع مبلغ قدره (٣٠) ألف كروان ذهبى، تولى توزيعها على جنوده الذين كان عددهم كبيرا، وهو أمر يجعله سيد البلاد[٣]. إلا أننا نجد الأخير وفى ظل أوضاع أخرى، كان يمارس دورا ملموسا فى شؤون الأشراف السياسية، حيث أشارت المصادر الحجازية إلى استجابة سليمان باشا - والى جدة -، لطلب الأشراف حين أشاروا عليه بعزل الشريف سعد بن زيد وابنه سعيد عن الحكم لتهاونهما فى دفع المخصصات المالية التى بذمة الأخيرين للأشراف، مما أدى إلى دخول الشريف عبد المحسن بن أحمد مكة بموكب عسكرى، وتوليه السلطة عام ١١١٦هـ / ١٧٠٤م[٤].

على أن تطورا جديدا حدث فى مسألة منصب شريف الحجاز خلال القرن

(١) - THE RED SEA; OP. CIT, PP XXVIII – XXIX.

(٢) كراون: وهو من نقود القرن الحادى عشر، ويطلق على الليرة الفرنسية وكانت متداولة آنذاك وتساوى أربعة شلنات وست بنسات، انظر العزاوى، تاريخ النقود، العراقية لما بعد العهود العباسية بغداد ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م ص ١٣١.

(٣)- CHARLES JACQUES PONCET; A NARRATIVE OF HIS JOURNEY FROM CAIRO INTO ABYSSINIA AND BACK 1698 – 1701, IN "THE RED SEA ..." OP. CIT, P. 158.

(٤) دحلان: خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام، المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٥هـ، ص ١٣٢ – ١٣٣، ومعلوم أن المؤلف هو مؤرخ حجازى، ولد فى مكة عام ١٨١٧م، نشأ فيها ودرس، ثم تولى الإفتاء والتدريس، توفى بالمدينة عام ١٨٨٦، له مؤلفات أبرزها [خلاصة] الذى زود الرسالة بمعلومات قيمة عن تاريخ الحجاز. انظر د. على جواد الطاهر، معجم المطبوعات العربية السعودية، مجلة العرب، جـ٩، س٥، ربيع الأول ١٣٩١هـ / أيار ١٩٧١م، ص ٨٦٤ – ٨٦٥.

الثامن عشر، ويمثل فى إقدام الأشراف على تولى الحكم لأكثر من مرة واحدة فى مواجهة معارضيهم أو المنافسين لهم، سواء أكانوا من نفس الأسرة، أو من الأسرة الأخرى، التى تتربص الفرص للإيقاع بهم، بهدف توليها إمارة مكة، من ذلك مثلا قيام الشريف سعيد بن سعد بحكم البلاد خمس مرات وخلال حقب متباينة، وكذلك الحال مع الشريف عبد الكريم بن محمد، الذى حكم لثلاث مرات وغيرهم كثيرون[(١)].

من جانب آخر واصل ولاة مصر والشام التأثير فى مجرى الأحداث السياسية فى الحجاز فى هذه المرحلة، وربما تدخلوا فى عزل أمير مكة، وتعيين آخر بدلا منه، مستغلين صلاتهم الوثيقة بالسلطان العثمانى، وحسب الظروف المتاحة[(٢)].

وفى بداية عشرينيات القرن الثامن عشر، تزايدت أهمية العامل الاقتصادى، كونه أحد العوامل المؤثرة والضاغطة على البنية الشريفية، إذ أوردت المصادر التاريخية، أن سبب عزل الشريف يحيى بن بركات عن إمارة مكة عام ١١٣٢هـ / ١٧١٩م، كان نتيجة لجشعه فى استحصال الإيرادات المقررة للبلاد لحسابه، فرد الأشراف على ذلك فى انتخابهم الشريف مبارك بن أحمد أميرا على مكة[(٣)]. واستمرت النزاعات بين ذوى زيد وذوى بركات، وتطورت إلى حد إقدام الشريف يحيى بن بركات (من آل بركات) – فى ولايته الثانية – على هدم دار آل زيد المسماة (دار السعادة) عام ١١٣٤هـ / ١٧٢١م، فشكل ذلك عاملا آخر فى تعميق تلك الخلافات وتأجيجها، والتى سرعان ما تحولت إلى صدامات

(١) لمزيد من التفاصيل انظر زامبارو، معجم الأنساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، أخرجه د. زكى محمد حسن بك ود. حسن أحمد محمود، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥١، ص ٣٣ – ٣٤. انظر أيضا دحلان، خلاصة، ص ١٦٦ - ١٦٧.

(٢) عارف عبد الغنى، تأريخ أمراء مكة من ٨هـ – ١٣٤٤هـ، دار البشائر للطباعة والنشر، دمشق، (د. ت)، ص ٧٧٧.

(٣) دحلان، خلاصة، ص ١٥٩. انظر أيضا جارشلى، المصدر السابق، ص ١٣٠.

عسكرية بينهما، فى وقت أصر فيه آل زيد على مناهضة الحكم الجديد حتى يظفروا بالإمارة لأنفسهم[١].

حققت شرافة مكة مكانة طيبة أواخر النصف الأول من القرن الثامن عشر، خاصة فى عهد الشريف مسعود بن سعيد (١١٤٥هـ / ١٧٣٢م – ١١٦٥هـ / ١٧٥١م)[٢]، الذى نجح فى إحكام سيطرته على قبائل الحجاز، استنادا إلى القوة العسكرية المقترنة بالسياسة التى أربكت أعداءه، وجعلت منه سيد البلاد[٣]، الأمر الذى انعكس إيجابيا فى علاقاته مع القوى المجاورة، فضلا عن علو مكانته. فقد تبادل الرسائل والمبعوثين مع نادر شاه (١١٤٩هـ / ١٧٣٦م – ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م) – حاكم فارس – عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م، ومع كل من العباس بن الحسين بن القاسم الملقب بالمهدى – إمام اليمن – (١١٦١هـ / ١٧٤٨م – ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م) عام ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م، وأحمد باشا – والى بغداد (١١٣٧هـ / ١٧٢٤م – ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م) فى عام ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م، تناولت موضوعات شتى تهم المنطقة[٤]. كما تزايد نفوذ الأشراف عربيا، ففى مدن دمشق وحلب وحمص تصدوا لمحاولات الإنكشارية المحلية فرض هيمنتم على بلاد الشام[٥].

شهد النصف الثانى من القرن الثامن عشر، استمرار تدخل الولاة العثمانيين

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ١، الورقات ٣٩٥ – ٣٩٦. انظر أيضا السباعى، المصدر السابق، ص ٦٥.

(٢) الشريف مساعد بن منصور، جدول أمراء مكة وحكامها منذ فتحها إلى الوقت الحاضر، مكة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص ٣٨ – ٣٩.

(٣) - GERALD DE GAURY; RULERS OF MECCA, LONDON, 1951, P. 168

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ٢، الورقات ٥٦٦ – ٥٦٨ و ٥٨٠ و ٥٩٦ – ٥٩٧.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر البديرى الحلاق، المصدر السابق، ص١٠٩.

فى كل من مصر والشام فى شؤون الأشراف، نتيجة لازدياد ثقلهم العسكرى والسياسى بالحجاز، فضلا عن تواصل وجود قوات مصرية فيه، لتؤدى واجباتها المعتادة فى حفظ الأمن والنظام بالمنطقة وفى أوقات متناوبة، وللإبقاء على الوجود العثمانى هناك(١).

على أن انشغال السلطة العثمانية المركزية من جهة أخرى، فى معالجة مشاكلها الداخلية والخارجية، قد جعلها فى مركز لا يسمح لها بالتأثير الجائر فى البنية الشريفية التى غدت أصلب عودا من ذى قبل، مما شكل حافزا لتعاظم مركز أمير مكة، واتضح ذلك فى تزايد نفوذ وزيره(٢) فى جدة، فى مواجهة مركز الوالى العثمانى الذى ظل وجوده هناك على رأس السلطة، يمثل ازدواجية للسلطة الحاكمة فيها(٣). وأكد أحد الرحالة الأوروبيين الذى زار جدة فى عام (١١٧٦ هـ) / ١٧٦٢م، على مشاركة ذلك الوزير الممثل العثمانى، تقسيم الدخل الذى يتم تحصيله من الرسوم المفروضة على السفن، التى ترسو فى ميناء جدة، والتى تمر عبره إلى مصر(٤). وحين وصل الرحالة البريطانى جيمس بروس(٥) JAMES

(١) لمزيد من التفاصيل انظر جارشلى، المصدر السابق، ص ٣٢.

(٢) يبدو أن منصب وزير الشريف كان موجودا فى وقت سابق، حيث أورد المؤرخ الحجازى دحلان معلومة تضمنت أمرا أصدره الشريف سعد بن زيد إلى وزيره الخواجا عثمان حميدان عام ١١٠٦هـ / ١٦٩٤م، بأن يصنع ضيافة للعرب فى بستان فى منطقة المعابدة، انظر دحلان، خلاصة، ص ١٣٥.

الصواف، المصدر السابق، ص ٥١.

(٣) د. سامى الصفار، الحجاز تحت الحكم العثمانى (١٨٦٩ – ١٩١٤) الولاة العثمانيون وأشراف مكة ونمو النفوذ البريطانى، تأليف د. صالح محمد العمر (نقد الكتب)، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، مج٥، (١٩٧٧ – ١٩٧٨)، ص ٣٣٠.

(٤) - NIEBOUHR; OP. CIT, VOL. I, P. 234

(٥) كان بروس قنصلا لبريطانيا فى بلاد المغرب، اعتزل منصبه ثم زار الأناضول والشام ومصر، بطريقة إلى الحبشة لكشف منابع النيل، وحين التقاه على بك، رجاه أن يسمح للسفن البريطانية بالوصول إلى السويس، فأوعده بذلك بعد عودته من رحلته هذه. انظر محمد رفعت رمضان، على بك الكبير، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥٠، ص ١٢٨.

BRUCE جدة، فى بداية عام (١١٨٣هـ / ١٧٦٩م) قادما إليها من مصر – وحاملا رسالة من حاكمها على بك إلى الشريف مسعود بن سعيد أمير مكة الذى يعد وقتذاك إحدى الشخصيات المهمة فى المنطقة تتعلق بتقديم العون للرحالة المذكور – فقد أكد الأخير اتساع نفوذ ذلك الشريف بقوله: "إنه كان يحكم معظم مناطق الجزيرة العربية الغربية"(١).

تعرضت الأسرة الشريفية فى بداية سبعينيات القرن الثامن عشر لانقسام خطير، جراء احتدام الخلافات بين أفرادها، الأمر الذى فتح الباب على مصراعيه للتدخل الخارجى، وقد استغل على بك حاكم مصر المملوكى ضعف الدولة العثمانية فى الحقبة نفسها معلنا تمرده عليها، ومن ثم سارع للتدخل العسكرى فى الحجاز عام ١١٨٤هـ / ١٧٧٠م بأن عزل شريفها من آل زيد ونصب آخر محله من آل بركات، الأمر الذى أدى إلى استمرار التنازع بين الأسرتين(٢).

إلا أن نظام الشرافة استعاد بعضا من عافيته بعد ذلك، مع عودة الأمور فى الحجاز إلى سابق عهدها، فعلى الرغم من اتساع نفوذ الحركة الوهابية(٣) فى نجد وما حولها خلال تلك المدة، إلا أن قبضة الأشراف فى إدارة دفة الحكم فى الحجاز ظلت قوية، ودليلنا على ذلك ما ورد فى إحدى رسائل زعماء الحركة الوهابية الموجهة إلى الشريف أحمد بن سعيد عام ١١٨٤هـ / ١٧٧٠م، حيث حرص الوهابيون على تلقيب أنفسهم على أنهم (من خدام الشريف)(٤).

---

(١) - JAMES BRUCE; TRAVELS TO DISCOVER THE SOURCE OF THE NILE, THE 2ND EDITION, EDINBURGH, AT THE UNIVERSITY PRESS, P. 5.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، مج١، دار الكاتب العربى، بيروت، ١٩٦٤، ص ١٧.

(٣) سأتحدث عن هذه الحركة وصراعها مع أشراف الحجاز فى الفصل الخامس.

(٤) عبد الرحيم، الدولة، ص ١٢٦ – ١٢٧. انظر أيضا

- SCHOFIELD AND BLAK; OP. CIT, P. 608

حقق نظام الشرافة رسوخا وثباتا فى معالجة الأحداث المحلية، والتمتع بمنزلة لائقة فى العلاقة مع السلطة العثمانية، إذ أشار الرحالة البريطانى بارسونز[١] PARSONS الذى زار جدة عام (١١٨٨هـ) / ١٧٧٤م – (١١٨٩ هـ / ١٧٧٥م) إلى أنه لاحظ أن أمير مكة كان يعد أميرا مستقلا حتى أنه لا يعين من قبل السلطان العثمانى، بل من كبار الأشراف فى مكة[٢].

تصاعدت مكانة أشراف الحجاز فى خضم التنافس البريطانى الفرنسى، للسيطرة على طريق البحر الأحمر المؤدى إلى الهند، وأخذت السفن الأوربية تتردد على مينائى جدة وينبع، بعد حصولها على موافقة السلطان، بغية الحصول على الضرائب التى كانت تجبى من التجار، وهى تمثل قدرا كبيرا من دخل الشريف ذاته[٣].

وفى نهاية القرن الثامن عشر انتعشت الشرافة بشكل ملحوظ، حيث تصرف الشريف غالب بن مساعد (١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م – ١٢٢٨هـ / ١٩١٣م) فى إدارته الحجاز، وكأنه حاكم قائم بذاته عن السلطة العثمانية، باتباعه سياسة مالية بعيدة عنها[٤]، كما عمد وبجرأة على الحد من نفوذ الممثلين العثمانيين، متبعا أسلوب الترغيب والترهيب بالتعامل معهم[٥].

---

(١) يعد بارسونز PARSONS من الرحالة البريطانيين المهمين، ذلك لأنه عرف بملاحظاته الدقيقة عن رحلته التى بدأها فى ١٤ آذار / ١٧٧٤، وكان شاهد عيان لحصار كريم الزند لمدينة البصرة عام ١٧٧٥.

(٢) - ABRAHAM, PARSONS; TRAVELS IN ASTA AND AFRICA, LONDON, 1808, P. 286.

(٣) عبد الرحيم، النشاط، ص ٩٩ .

(٤) - ABIR; OP. CIT, P. 47 - 48

(٥) م. أبير، التجديد والرجعية وإمبراطورية محمد على، ترجمة مكى حبيب المؤمن، مجلة المؤرخ العربى، ع٨، بغداد، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٢٠٧.

على أن احتلال فرنسا لمصر عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م أثار موجة غضب عارمة من القوى العربية والإسلامية، اتبع الأشراف إزاءها سياسة توفيقية مع أطراف الصراع، إذ نشط شريف مكة بتحقيق عدة اتصالات مع كل من السلطان العثمانى وإمام اليمن، وفى الجانب الآخر نجح فى استمالة نابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية فى استمالة شريف مكة إلى جانبه وتمكن الأخير من الاستمرار بالتبادل التجارى مع ميناء السويس المصري[١].

لذلك يمكننا القول أن نظام الشرافة أصبح أكثر استقرارا من ذى قبل، حتى وصف أحد الأشراف وقتذاك، بأنه من أكثر الحكام أهمية فى منطقة البحر الأحمر[٢]، وعلى الرغم مما اعترى علاقات الأشراف من خلافات، إلا أن رابطتهم الأسرية ظلت قائمة كما تعاظم نفوذهم خارج الحجاز، إذ أشارت المصادر التاريخية إلى ازدياد ثقلهم السياسى فى بلاد الشام، حتى إن الدولة العثمانية زجت بهم ضمن القوات التى بعثت بها إلى مصر، لمقاومة هجوم نابليون عليها[٣].

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر عبد الرحمن الجبرتى، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس، تحقيق وشرح حسين محمد جوهر، عمر الدسوقى، مطبعة الرسالة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص ١٤٢ - ١٤٥.

(٢) ABIR; OP. CIT, P. 47 -

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر د. عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون (١٥١٦ - ١٩١٦) دمشق، ١٩٧٤، ص ٣١٩ - ٣٢٠. انظر أيضا عبد الرحيم، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار المتنبى للنشر والتوزيع، ط٣، الدوحة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٤٦.

الفصل الثالث

الحجاز فى النصف الأول من القرن الثامن عشر

١. أشراف الحجاز وسياساتهم الداخلية

٢. الإشراف والسلطة العثمانية

أ. العلاقات الودية

ب. العلاقات غير الودية

١. أشراف الحجاز وسياساتهم الداخلية:

استهل أشراف الحجاز بداية القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى، بمحاولات جادة لتثبيت سلطتهم المركزية فى المناطق التابعة لهم(١)، وقد أشار الرحالة الفرنسى بونسيه: PONCET) الذى زار جدة نهاية عام (١١١٢هـ) / ١٧٠٠م، إلى قدوم شريف مكة، على رأس قوة تقدر بعشرين ألف رجل، وقد عسكر بقواته عند مدخل المدينة المؤدى إلى مكة، مؤكدا حضوره السياسى فى مواجهة خصومه المحليين، كما لاحظ أن مظهره يدل على الوجاهة وولاء أتباعه وجيرانه لسلطته(٢).

على أن استمرار التصارع بين الأشراف للوصول إلى الحكم، قد استحوذ على معظم تاريخهم السياسى خلال القرن الثامن عشر، وترتب على ذلك تعميق الخلافات الشريفية وفقدان الاستقرار فى الحجاز. إذ عارض بعض الأشراف بزعامة الشريف محسن بن عبد الله تولى الشريف سعد بن زيد(٣) إمارة مكة فى عام ١١١٤هـ / ١٧٠٢م، مطالبين بمعاليمهم (مخصصاتهم المالية)، ثم ما برحوا

(١) عبد الله حمد الحقيل، علاقة نجد بالشام من ١١٥٧هـ إلى ١١٢٥هـ مجلة الدارة، ع٤، س٧، رجب ١٤٠٢هـ / مايو (أيار) ١٩٨٢م، ص١٩٥.

(٢) - PONCET; OP. CIT, P. 158

(٣) تولى سعد بن زيد شرافة الحجاز أربع مرات ولفترات مختلفة بلغ مجموعها خمس عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما، حتى توفى إثر إصابته بجروح بعد خوضه معركة ضد خصمه الشريف عبد الكريم بن محمد عام ١١١٦هـ / ١٧٠٤م. انظر ابن منصور، المصدر السابق، ص ٣٦ - ٣٧.

أن نقلوا نشاطهم المعارض لشريف مكة إلى الطائف، متخذين منها مركز انطلاقهم لتحقيق غاياتهم السياسية، وسرعان ما تطورت الأحداث إلى نزاع عسكرى بين الجانبين، قتل فيه زهاء الثلاثين فردا، اضطر معها الشريف سعد بن زيد إلى مصالحة معارضيه، فوافقوا على ذلك شريطة أن يعطيهم معاليمهم لمدة شهر[(١)].

غير أن تنازله عن شرافة الحجاز لولده الشريف سعيد فى العام نفسه – بعد استحصاله موافقة الدولة العثمانية – قد أثار الأشراف من آل بركات ضده برئاسة عبد الكريم بن محمد بن يعلى، فتجددت الخلافات التقليدية بين الاسرتين المتنافستين، إذ طلب الأخيرون بوجوب حصولهم على معاليمهم المستحقة عليه عام ١١١٥هـ / ١٧٠٣م، تبع ذلك توتر العلاقات بينهما، حتى تحولت إلى مجابهة عسكرية والتى لم تسفر عن نتيجة مرضية لآل بركات[(٢)].

تميزت فترة إمارة الشريف سعيد بن سعد عام ١١١٦هـ / ١٧٠٤م، بانفراد أسرته آل زيد فى الحكم، مما أثار حفيظة الأشراف المعارضين، فى وقت عم فيه الغلاء فى الحجاز وارتفعت الأسعار وساد القحط الذى نتج عن قلة الأمطار، ورافق ذلك تزايد هجمات الأعراب على طرق التجارة وقوافل الحجيج، وامتناع شريف مكة عن اتخاذ الموقف الحازم لوقف اعتداءاتهم، لذلك فر كثير من الأشراف إلى جدة معلنين معارضتهم لسلطة الشريف، وأعقب ذلك اندلاع مناوشات عسكرية دامت أربعة أيام، اندحر خلالها أمير مكة، ونَصَّب الأشراف بدلا عنه الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد[(٣)]، إرضاء للشريف المعزول

(١) دحلان، خلاصة، ص ١٢٦ – ١٢٧.
(٢) لمزيد من التفاصيل انظر جارشلى، المصدر السابق، ص١٢٠.
دحلان، خلاصة، ص ١٢٨ – ١٣٣.
(٣) لمزيد من التفاصيل انظر الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ١، الورقات ٣٠٨ – ٣٠٩. انظر أيضا جارشلى، المصدر السابق، ص ١٢٧.

خصوصا وأن الحكم سيظل فى اسرته، انتقل بعدها الحكم للشريف عبد الكريم ابن محمد من آل بركات، فأصبح موقف الأول صعبا، وهكذا تنازل الشريف الجديد عن الإمارة، بعد دخوله مكة ببضعة أيام للشريف عبد الكريم بن محمد(١).

واجه الشريف الجديد معارضة قوية قادها منافسه التقليدى الشريف سعد بن زيد، أساسها رغبة كل منهما فى فرض سياساته بالقوة وتحقيق غاياته(٢)، ونتيجة لذلك تمكن الشريف عبد الكريم بن محمد من إفشال عدة محاولات للتمرد والعصيان، قام بها الشريف سعد وولده الشريف سعيد، سانده فى ذلك بعض الأعراب فى مدن الطائف وينبع والقنفذة، وأسفر الأمر عن مقتل زهاء الخمسمئة فردا. إلا أن الشريف سعد بن زيد استغل وجود الشريف عبد الكريم بن محمد وتذاك فى اليمن، فاندفع بقواته ودخل مكة فى عام ١١١٦هـ / (١٧٠٤م) وتولى إمارتها(٣).

غير أن الشريف المنحّى سرعان ما عاد لتولى السلطة، على رأس قوة استولى بها على مكة عام ١١١٧هـ / ١٧٠٥م، مجبرا الشريف سعد بن زيد على الهرب، ثم ما لبث أن عزل فى أواخر العام نفسه(٤).

تولى الشريف عبد الكريم بن محمد الإمارة للمرة الثالثة، فى خضم صراعه المستمر ضد خصومه السياسيين، محققا نجاحا فى توزيع مدخولات البلاد على مستحقيها وفق السنن المعتادة، مذكرا الأشراف بالأخطاء التى ارتكبها سلفه

---

(١) الشيخ المنقور، المصدر السابق، ص٧٦. انظر أيضا السباعى، المصدر السابق، ص٥٥.

(٢) - LA ROQUE ; A VOYAGE TO ARABIA THE HAPPY IN THE YEARS BETWEEN 1708 – 1713 LONDON, 1726, P. 114.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ١، الورقات ٣٢١ – ٣٢٢. دحلان، خلاصة، ص ١٣٧ – ١٤٠.

(٤) جارشلى، المصدر السابق، ص ١٢٩.

الشريف سعيد بن سعد، جراء تخبطة فى هذا المجال[1]. ومما يؤكد ذلك ما نقله لنا الرحالة الشامى (مرتضى بن على بن علوان)، الذى جاء إلى مكة لأداء فريضة الحج عام ١١٢٠هـ / ١٧٠٨م، محبة محمد باشا - أمير الحاج الشامى - والذى أشار إلى حرص الشريف على إشاعة العدل بين رعاياه، مما أسهم بالتالى فى تقادم أعداد كبيرة من الحجاج المسلمين، خلال سنى حكمه لزيارة الحرمين الشريفين[2].

والملاحظة أن الصراع بين الشريفين المتنافسين، سعد بن زيد وولده سعيد من جهة ضد منافسهم الشريف عبد الكريم بن محمد، قد استغرق مدة طويلة بدءا من عام ١١١٥هـ / ١٧٠٣م وحتى عام ١١٢٢هـ / ١٧١٠م، تناوب فيها الطرفان المتنازعان الحكم ولمدد متباينة، انفرد بعدها الشريف سعيد بن سعد بتولى إمارة مكة، من عام ١١٢٣هـ / ١٧١١م إلى أن وافته المنية فى عام ١١٢٩ هـ / ١٧١٦م[3].

أراد الأشراف بعد وفاة الشريف سعيد بن سعد، أن يتولى الشريف عبد المحسن بن أحمد كبير أشراف ذوى زيد إمارة البلاد، غير أنه تنازل عنها للشريف عبد الله بن سعيد عام ١١٢٩هـ / ١٧١٦م، والذى حظى فى بداية حكمه بتأييد

---

(١) جرت العادة أن توزع مدخولات البلاد أرباعا، بأن يخصص ربعها لشريف مكة وجماعته ومهمات البلد، وتكون الثلاثة أرباع للأشراف. انظر و. ع [م. د. خ. ع]، رقم البحث ١٦٥٤، دفتر مهمة ١١٥، الصفحة ٦، تاريخ الوثيقة: ١٥ شعبان ١١١٧هـ، أرشيف رئاسة الوزراء، استانبول.

(٢) رحلة دمشقى مرَّ بنجد سنة ١١٢٠هـ بعد عودته من الحج ومر بالإحساء ثم بالعراق، مجلة العرب، جـ٣ و٤، س ٢٦، رمضان - شوال ١٤١١هـ / آذار - نيسان سنة ١٩٩١م، ص ١٩٨

(٣) حكم الشريف سعيد بن سعد الحجاز ما بين [١١١٦هـ / ١٧٠٤م - ١١٢٣هـ / ١٧١١م] ولفترات مختلفة، بلغ مجموعها عشر سنين وسبعة أشهر، فيما تولى الشريف عبد الكريم بن محمد إمارة مكة ما بين [١١١٦هـ / ١٧٠٤م - ١١٢٣هـ / ١٧١١م]، بلغ إجمالى مدتها قرابة ست سنين وعشرة أشهر. انظر دحلان، تاريخ، ص ١٥٨. البتانوني، المصدر السابق، ص ٧٧.

غالبية الأشراف، إلا أنه اختلف مع الأخيرين فيما بعد، ولم يتمكن الشريف عبد المحسن بن أحمد من تحقيق مصالحة بينهما، فاضطر إلى مغادرة مكة متوجها إلى اليمن، بعد أن أمضى فى الإمارة سنة وثلاثة أشهر[١].

وبناء على اقتراح الأشراف أنفسهم، تولى شقيقه الشريف على بن سعيد الحكم عام ١١٣٠هـ / ١٧١٧م، بعد موافقة الدولة العثمانية، حيث اتسم عهده الذى امتد لأكثر من سبعة أشهر، باضطراب أوضاع الحجاز بسبب عبث الأعراب، وامتناعه عن دفع المعاليم والعوائد المقررة للأشراف، مما أدى إلى عزله فى العام نفسه بالشريف يحيى بن بركات (١١٣٠هـ / ١٧١٧م - ١١٣٢هـ / ١٧١٩م). وعللت المصادر العثمانية ذلك الإجراء، إلى صغر سنه وطمعه وقيامه بعزل شيخ قبيلة حرب بلا مسوغ فثارت ثائرة قبيلته، غير أن الشريف الجديد سرعان ما عزل هو الآخر، وحل محله الشريف عبد المحسن بن أحمد، الذى اشتهر بتفقده أحوال رعيته، وظل فى الحكم سنة واحدة وسبعة أشهر ويوما واحدا، عزل عنها ليتولاها الشريف مبارك بن أحمد فى العام نفسه[٢].

عمد الشريف مبارك بن أحمد (١١٣٢هـ / ١٧١٩م - ١١٣٤هـ / ١٧٢١ م)، الذى امتد حكمه مدة سنتين ونصف السنة، إلى انتهاج سياسة من شأنها كسب تأييد أولاد عمه المعارضين له، وهما الشريفين عبد الله وعلى أبناء الشريف سعيد بن سعد بهدف تعزيز جبهته الداخلية، فى مواجهة تصاعد نفوذ معارضيه المحليين، وبخاصة مبارك بن مضيان - شيخ قبيلة حرب - الذى تحدى سلطة الشريف الرسمية، بفرضه الضرائب على الحجاج المارين بالمدينة المنورة، مستهدفا مد نفوذه إلى ميناء ينبع[٣]. وفى المجابهة التى وقعت بين الطرفين قرب

(١) عبد الغنى، المصدر السابق، ص ٧٧٩. دحلان، خلاصة، ص ١٦٧ - ١٦٨.
(٢) لمزيد من التفاصيل انظر الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ١، الورقات ٣٤٩ - ٣٥٦. جارشلى، المصدر السابق، ص ١٣١.
(٣) لمزيد من التفاصيل انظر الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ١، الورقات ٣٦٣ - ٣٦٩.

مكة عام ١١٣٢هـ / ١٧١٩م، حقق الشريف مبارك نصرا على حرب، وأفشل محاولة معارضيه عزله وتنصيب الشريف أحمد بن عبد المحسن محله، فيما تمكنت عساكره المتواجدة فى المدينة المنورة، من قمع تمرد الأغوات[١]، الذين مابرحوا يتدخلون بشؤون الأهالي[٢].

وفى الوقت نفسه نجح الشريف المعزول يحيى بن بركات فى تولى الإمارة مجددا عام ١١٣٤هـ / ١٧٢١م، منتزعا إياها من الشريف مبارك بن أحمد للمرة الثانية[٣]، حيث تابع خطى أسلافه من آل بركات فى إبعاد الأشراف من آل زيد، إلا أن قطعه لمخصصات عساكره المالية، وعجزه عن إعطاء الأشراف حقوقهم، دفع الأخيرين لممارسة ضغطهم عليه، فاضطره ذلك على التنازل لابنه الشريف بركات فى العام نفسه، ثم توفى بعد ذلك فى عام ١١٣٨هـ / (١٧٢٥م)[٤].

أدرك الأشراف أن عملية التنازل تلك، قد أضاعت عليهم معاليمهم المترتبة على الشريف المنحّى، وبالتالى تجددت الاضطرابات وعمت الحجاز حالة من التوتر. وفى المقابل تعاظمت قوة آل زيد، باتساع التعاون فيما بين الشريف مبارك ابن أحمد، وكل من الأشراف محسن بن عبد الله، وعبد الله وعلى أولاد الشريف سعيد، خاصة بعد انضمام حلفائهم وأتباعهم من الأعراب، وأعقب ذلك اندلاع معركة عام ١١٣٦هـ / ١٧٢٣م، دُحِرَ فيها الشريف، بركات بن يحيى، بعد أن

---

(١) الأغوات: هم الأفراد الذين يقومون بِخِدْمة الحرم النبوى، وشيخهم يؤتى به من القصر السلطانى العثمانى، وقد تصاعد دورهم بمرور الوقت حتى صاروا يتدخلون بأمور المدينة المنورة. انظر الجاسر، كشف، ص ٤٤٠.

(٢) الموسوى، المصدر السابق، جـ١، الورقات ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٣) دحلان، تاريخ، ص ١٥٩.

(٤) عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى (ت ١١٣٣هـ)، أيوان المراسلة، مخطوط فى مكتبة وزارة الأوقاف، بغداد، تحت رقم (٤٣٣)، (د. و).

عبد الغنى، المصدر السابق، ص ٧٨٦ - ٧٨٧.

حكم ثمانية عشر يوما، ودخل الشريف مبارك، مكة متوليا إمارتها للمرة الثانية[١].

تنازع الشريف الجديد مع حليفه بالأمس وعمه الشريف محسن بن عبد الله، بسبب امتناع الأول عن تلبية مطلب الثانى، بعزل وزيره عبد القادر بن سليم، وصاحب ذلك عدم استقرار أوضاع البلاد وكثرة السرقات فى الطرقات، فاستغلها الشريف المعارض محسن بن عبد الله، بهدف تأليب الناس والأشراف ضد أمير مكة، وتلقى فى الوقت نفسه مساندة العساكر اليمنية، إذ بعث يخبر الدولة العثمانية محرضا إياها على الشريف مبارك بن أحمد، فقد أبلغ العثمانيين بأن الأخير حين دخوله مكة بصحبة الشريف عبد الله بن سعيد وحلفائه، كان قد تعمد قتل العساكر العثمانية، ولم يحمهم إلا الشريف عبد الله بن سعيد، فجاء الأمر السلطانى عام ١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م، بتولية الأخير شرافة الحجاز، وعزل أمير مكة الذى حكم قرابة الأربعة أشهر، وعندها التجأ إلى اليمن وتوفى فيها عام ١١٤٠هـ/ ١٧٢٧م[٢].

نشط الشريف عبد الله بن سعيد (١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م - ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠ م، فى العمل بجدية للحد من ظاهرة تدخل شرفاء مكة فى شؤون أمرائها، مجسدا ذلك بقيامه بعدة فعاليات عسكرية، استهدفت تقوية مركزه السياسي[٣]. فقد تولى قيادة إحدى الحملات، لملاحقة معارضه الشريف محسن بن عبد الله الذى أعلن تمرده فى نواحى الشرق، ثم نجح فى استمالته إليه وعقد الصلح معه، فيما لم

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر دحلان، خلاصة، ص ص ١٧٨ - ١٧٩. انظر أيضا السباعى، المصدر السابق، ص ص ٦٨ - ٦٩.
(٢) الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ١، الورقات ٤٠٩ - ٤١٠.
- GAURY; OP. CIT, P. 163
(٣) جارشلى، المصدر السابق، ص ١٣٧.

يتوان عن استخدام كل الوسائل المتاحة لديه، من أجل تعزيز سيطرته على القبائل المنتشرة فى وسط الجزيرة العربية[١].

على أن ما يعاب عليه أنه أبطأ فى تسديد معاليم الأشراف المالية، وتهاون بالإفادة من ورود أربع مراكب هندية إلى ميناء جدة، كما أدى سوء سياسته الاقتصادية مع أعيان التجار، والمترددين من تجار الحجاج بدورها إلى ارتفاع الأسعار، وتردى حالة السكان المعيشية والصحية، إلا أن ذلك لم يقلل من قدرته على حسم خلافاته مع بعض الأشراف، الذين نازعوه السلطة حول مدخولات الإمارة، واستمر فى إمارته حتى وفاته عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م[٢].

تولى ابنه الشريف محمد بن عبد الله إمارة مكة، مدعوما من عمه الشريف مسعود بن سعيد الذى أصبح وزيرا له. على أن الأحداث اللاحقة أشارت إلى وجود خلافات بينهما خلقت وضعا مضطربا، وزاد الأمر تعقيدا سياسة الشريف غير المتأنية فى معالجته للأحداث. إذ أقدم رجاله على إطلاق النار على أحد المعارضين من أشراف آل بركات، عند التجائه إلى بيت الأشراف، وبذلك لم يلتزم بتقاليد الأخيرين والأهالى، بالامتناع عن اقتحام البيت الذى يلتجأ إليه، فأثار فتنة لم تهدأ رغم إكرامه لأولئك الأشراف[٣].

توجه الكثيرون من الأشراف إلى عمه الشريف مسعود بن سعيد فى الطائف، مطالبين معاونته على التخلص من شريف مكة، ونجحوا بالتالى فى إعلان استقلالهم فيها[٤]، وتوجهوا بعد ذلك نحو مكة بجموع كبيرة عام ١١٤٥هـ/

(١) الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ١، الورقة ٤١٦.

- GAURY; OP. CIT, P. 165.

(٢) السباعى، المصدر السابق، ص ٧٠. الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ١، الورقات ٤١٢ - ٤٣٠.

(٣) - GAURY; OP. CIT, P. 165

(٤) دحلان، خلاصة، ص ١٨٦.

١٧٣٢م، منفذين حركة التفافٍ ناجحة حول الشريف محمد بن عبد الله، الذى انهزم فى واقعة الخطم التى دارت فى عرفات، واتجه بعدها إلى الطائف، بعد أن حكم سنة واحدة وأكثر من خمسة شهور، وتولى الإمارة الشريف مسعود بن سعيد[١].

لم يستتب الأمر للشريف الجديد إلا نحو ثلاثة أشهر، لأن الشريف المعزول محمد بن عبد الله أعلن تمرده فى تلال الطائف، محرضا القبائل من ثقيف وغيرها لمساندته ضد عمه، ولم تتمكن قوات الشريف من القضاء على المعارضين لتحصنهم فى جبال المنطقة، وقد أصابها الإعياء والتعب، حينذاك تحرك الشريف محمد بن عبد الله بصحبة مؤيديه نحو مكة، فدخلها وتولى إمارتها للمرة الثانية عام ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م[٢].

شهدت سنوات حكمه وقوع نزاعات مسلحة بين عساكره اليمنية وبين (حسين أغا) سردار[٣] الانكشارية فى مكة، أسفرت عن مقتل أحد العساكر ومن ثم السردار ذاته برصاصة طائشة[٤]. ولَّد ذلك استياء بين أتباعه من العساكر المصرية، الذين نسبوا قتله إلى شريف مكة، ومن ثم راسلوا الشريف المعارض مسعود بن سعيد، مع أموال عظيمة أعطيت له فى منزله بمنطقة خليص، مكونة جبهة متحالفة، خاضت معركة قرب مكة عام ١١٤٦هـ / ١٧٣٣م بهدف احتلالها، إلا أن قوات شريف مكة ردتها على أعقابها منسحبة إلى جدة[٥].

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر السباعى، المصدر السابق، ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) السباعى، المصدر السابق، ص ص ٧٣ – ٧٤.

- GAURY; OP. CIT, P. 167.

(٣) سردار: مصطلح تأريخى، معناه قائد.

(٤) - GAURY; OP. CIT, P. 167

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر دحلان، خلاصة، ص ١٨٨ - ١٩٠.

تجددت الحرب بين الطرفين، واضطر أمير مكة خلال ذلك إلى الخروج بعساكره وأجناده إلى ميناء جدة لمواجهة أعدائه، محققا نجاحا فى مطاردتهم، وأخيرا توسط بعض الأشراف بتحقيق الصلح بين الطرفين، حيث تظاهر الشريف مسعود بن سعيد بقبوله، بينما ظل ينشط لكسب المؤيِّدين له، أما شريف مكة فلم يتحرك بجدية للتخلص من معارضيه، كما تأخر شقيقه ثقبة عن تقديم العون له لتوتر علاقاتهما، وعدم نجاحه بالتالى فى ترضية بعض الأشراف، الأمر الذى مكن الشريف مسعود بن سعيد ومؤيدوه، وبصحبته قبائل ثقيف من النزول بأعالى مكة[1].

اضطر شريف مكة إلى الخروج بعساكره اليمنية لمواجهة أعدائه، الذين باتوا يهددونه شرافة الحجاز ووقعت مناوشات بين الجانبين، تمكن فى آخرها الشريف المهاجم مسعود بن سعيد عام ١١٤٦هـ / ١٧٣٣م، من دخول مكة متوليا إمارتها للمرة الثانية، مجبرا شريفها على الانسحاب إلى منطقة الحسينية، بعد أن حكم سنة واحدة وثمانية عشر يوما[2].

شرع الشريف مسعود بن سعيد (١١٤٦هـ / ١٧٣٣م – ١١٦٥هـ / ١٧٥١ م)، الذى تولى منصب شريف الحجاز، لأكثر من ثمانية عشر عاما[3]، فى ملاحقة خصمه السياسى الشريف محمد بن عبد الله، الذى بات يتنقل فى أماكن كثيرة، حتى انتهى به المطاف بنزوله فى وادى – مر – عام ١١٤٨هـ / ١٧٣٥م. وانضم إليه أحد أفخاذ قبيلة عتيبة المعروفين بآل عاتى وأشراف آخرين من آل بركات

(١) لمزيد من التفاصيل انظر الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ١، الورقات ٥٠١ – ٥٠٣، وجـ٢ الورقة ٥١٤.

(٢) بن منصور، المصدر السابق، ص ٣٨ – ٣٩. انظر أيضا عبد الغنى، المصدر السابق، ص ٧٩٦ – ٧٩٨. انظر أيضا دحلان، تاريخ، ص ١٦٠.

(٣) جارشلى، المصدر السابق، ص ١٣٨ – ١٣٩.

وغيرهم، بغية تحقيق أمور كانوا يتحينون الفرص للوصول إليها. وقد أثبت أمير مكة جدارة سياسية فى مواجته للأحداث، تجلت فى نجاحه باتخاذ خطوات موفقة أدت بالتالى إلى انهيار جبهة أعدائه، وسارع إلى تلبية مطاليب آل بركات، الذين انسحبوا من التحالف المذكور، وتمكن رجاله من إفشال محاولة وصول أموال وعدة، كانت قد أرسلت من ميناء جدة لدعم الشريف المعارض. وعندئذ انفرد بعدوه الذى بات يعانى من قلة لمؤونة، جراء انقطاع الإمدادات عنه، خاصة بعد رفض سكان وادى المر، تزويده ورجاله بما يحتاجه من المؤونة الضرورية، لمواصلة نشاطه العسكرى، مما أجبره على التراجع إلى منطقة خليص، وأسهم بالتالى بالتعجيل فى تحقيق صلحه مع شريف مكة عام ١١٥١هـ / ١٧٣٨م[١].

قوبل الشريف محمد بن عبد الله فى مكة، بترحاب من عمه الشريف مسعود ابن سعيد، الذى قربه إليه حتى صار بمرور الوقت أبرز قادته العسكريين. ففى عام ١١٥٥هـ / ١٧٤٢م كلفه بتولى قيادة الحملة العسكرية المكونة من العساكر والأشراف لمحاربة الأشراف من آل الحسن – الذين يجتمع نسبهم بالأشراف من آل أبى نمى – فى جنوب الحجاز، إذ هدد هؤلاء طريق الحج إلى مكة، فألحق الهزيمة بهم وأسر زعيمهم (عساف)، الذى جيء به مكبلا إلى مكة حيث تم حبسه إلى أن مات[٢]، وتبع ذلك قيادته لغزوة أخرى عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م، نجحت فى دحر قبيلة بنى مخلد، التى ارتكب أفرادها أعمال نهب، وتم قتل عشرين رجلٍ منهم[٣].

استحوذت المدينة المنورة على اهتمام شريف مكة، نتيجة لشجار وقع فيها

(١) الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ٢، الورقات ٥٢٤ - ٥٤٢.

(٢) دحلان، خلاصة، ص ١٩٣. انظر أيضا. GAURY, OP. CIT, P. 168.-

(٣) الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ٢، الورقة ٥٥٣.

تطور إلى نزاع عسكرى بين العساكر الذين ملكوا القلعة، وبين عبد الرحم شيخ الحرم المدني[1] عام ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م. استنجد الأخير فى ذلك النز بهزاع بن بارك بن مضيان شيخ قبيلة حرب[2]، الذى عبث رجاله بالمدينة ومرافقها، فاضطر شيخ الحرم وقتذاك إلى طلب العون من الدولة العثمانية وشريف مكة ووالى جدة لإعادة النظام إليها، سارع الشريف فى الحال إلى إسعافه فأرسل قوة حققت نصرا عسكريا على الشيخ هزاع وأعوانه، وأعقب ذلك أن أجبر الأخير على تقديم اعتذار لأمير مكة، الذى قبله شريطة أن يكون منصور شيخا على حرب بدلا منه[3].

ورغم انشغال الشريف مسعود بن سعيد، طوال سنى إمارته بالأمور السياسية الحربية، إلا أنه أولى الجانب العمرانى عنايته الخاصة، حيث أمر فى عام ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م، بادخال تحسينات مهمة على قصره المسمى (دار السعادة) وبنى فيه بُرْجيْن كبيرين أودعهما عددًا من المدافع لزيادة تحصينه، وهو أمر لم يتنبه إليه أحد من أمراء مكة[4].

---

(١) شيخ الحرم: وهو من كبار الموظفين الذين تعينهم الدولة العثمانية لإدارة شؤون المدينة المنورة، وكان يتلقى دعما مباشرا من السلطة العثمانية المركزية. انظر الجاسر، كشف، ص ٤٥٠.

(٢) يوغز البعض طابع العنف الذى اتسمت به سياسة قبيلة حرب، على عدم انتظام ورود المخصصات المعينة لأفرادها من الدولة العثمانية، جراء توليها حماية طرق الحجيج بين مكة والمدينة، والتى يتلاعب فيها أحيانا أمراء الحاج الشامى والمصرى، فيمنحون البعض ويحرمون آخرين ممن يستحقونها، وبسبب محدودية انتاجهم الزراعى لقلة المياه من الآبار، لذا نراهم يلجأون أحيانا إلى أساليب غير مشروعة لكسب قوتهم اليومي. انظر د. عبد الرزاق بن فراج الحربى، قبيلة حرب، فى كتاب "التاريخ الشامل"، مجلة العرب، جـ٣ و٤، س٣٠، رمضان - شوال سنة ١٤١٥هـ / آذار - نيسان ١٩٩٥م، ص ٢١٠ - ٢١٣.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر الجاسر "الأخبار الغريبة بذكر ما وقع بطية الحبيبة" مجلة العرب، جـ٣ و٤، س ٢٨، رمضان - شوال ١٤١٣هـ / آذار - نيسان ١٩٩٣م، ص ٣٤٨. انظر أيضا الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ٢، الورقات ٥٥٦ - ٥٦١.

(٤) - GAURY; OP. CIT, P. 168.

لقيت السياسة التى اعتمدها شريف مكة، لإحكام قبضته على مناطق الحجاز، معارضة قوية من قبل أعدائه المحليين، إذ اضطر عام ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م إلى شن غارة عسكرية، تولى قيادتها بنفسه على قبيلة عضل، لأنها ارتكبت أعمالا تضر بسلطة الشريف المركزية، متبعا خطة حربية ناجحة، سار وقواته فى طريق، متظاهرا أنه يروم قتال قبيلة حرب، إلا أنه عرج على أعدائه وفاجأهم بهجوم مباغت ألحق الهزيمة بهم. وخلال الفترة نفسها بعث جيشا بقيادة أخيه مساعد بن سعيد، غزا به قبيلة البقوم التى تقع منازلها إلى الشرق للسبب نفسه[1]، وأثمرت هذه الفعاليات العسكرية فى تمكين أمير مكة من إحكام سيطرته على عموم الحجاز.

من جانب آخر ثارت العساكر اليمنية بزعامة كبيرهم حسين العمرى على أمير مكة عام ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م، مطالبين بمعاليمهم المقررة، وملتجئين إلى منطقة اللحية اليمنية، وتمكن الشريف مسعود بن سعيد من استعادة ما أخذه الأخيرون من أمواله، بالتعاون مع إمام اليمن (العباس بن الحسين بن القاسم)، إلا أن شريف الحجاز توفى نتيجة لمرضه عام ١١٥٦هـ / ١٧٥١م، وتولى الإمارة من بعده أخوُه الشريف مساعد بن سعيد[2].

نستنتج من هذا العرض التاريخى، أن أشراف الحجاز على الرغم من خلافاتهم الأسرية وفقدان الاستقرار فى البلاد، إلا أنهم نجحوا فى بسط نفوذهم السياسى على أغلب مناطق الحجاز وقبائله، فى وقت اثبتوا فيه مقدرة على مقارعة خصومهم ومنافسيهم، والحيلولة دون تحقيق طموحات الأخيرين

(١) لمزيد من التفاصيل انظر الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ٢، الورقات ٥٧٠ - ٥٧٢.
(٢) المصدر نفسه، الورقة ٥٩٠. جارشلى، المصدر السابق، ص ١٣٩.
- GAURY; OP. CIT, P. 170.

السياسية، حتى باتوا سادة الحرمين الشريفين أواخر النصف الأول من القرن الثامن عشر(١).

٢ - الأشراف والسلطة العثمانية :

- العلاقات الودية :

اكتسب الأشراف قوة متزايدة مع إطلالة القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى، بسبب ضعف السلطة المركزية للدولة العثمانية، التى ظلت مع ذلك حريصة على إعطاء الحجاز منزلته الخاصة لأمور معروفة(٢). ومما يؤكد ذلك ما أورده أحد الرحالة الإنكليز الذى وصل جدة خلال العقد الأخير من القرن السابع عشر، إذ ذكر أن السلطان العثمانى كان يرسل إلى الحجاز من مصر ما بين (٢٠ – ٢٥) سفينة كبيرة سنويا، محملة بالبضائع والذخائر لسد حاجة أهالى الحرمين الشريفين(٣).

فى الوقت نفسه أبقى العثمانيون على الحاميات العسكرية، لتؤدى واجبها فى مرافقة قوافل الحج الشامية والمصرية، وردع اعتداءات الأعراب عليها، كما نشروا عناصر من الإنكشارية(٤)، فى المراكز الحضرية الرئيسة لتذكر البدو باليد الطولى للسلطان العثمانى، الذى بات نفوذه يعتمد على اتساع خلافات الأشراف فيما بينهم، أكثر من اعتماده على جيشه الصغير(٥).

---

(١) سيكون تاريخ الأشراف خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر موضوع الفصل القادم.

(٢) - SEE GEORGE PENTZ; WAHHABISM AND SAUDI ARABIA IN" THE ARABIAN PENINSULA SOCIETY AND POLITIES" ED ,BY DEREK HOPWOOD, GEORGE ALLEN AND UNWIN LTD, LONDON, 1972, P. 54.

(٣) - OVINGTON, OP. CIT, P. 178.

(٤) - NIEBOUHR: OP. CIT, VOL. 11, P. 26.

(٥) - ABIR; OP. CIT, P. 186.

وفى القرن الثامن عشر أولت مصر العثمانية الحجاز عناية خاصة، لأهميته الحيوية لمصالحها المتنامية(١)، محققة لنفسها استقلالا أكبر عن الدولة العثمانية، وتولت فى أحايين كثيرة مهمة نقل أوامر الاستانة المرسلة إلى شريف مكة، حتى أنها استخدمت الخيار العسكرى لتنفيذها(٢). وكان لقافلة الحج المصرية المصحوبة بالمحمل(٣)، أثر كبير تقوية مكانة مصر فى الحجاز وتعزيز علاقاتها المختلفة(٤).

وكانت هذه القافلة تضم الحجاج المصريين الوافدين لزيارة الحرمين الشريفين، فضلا عن حجاج تونس وطرابلس والجزائر(٥) ومراكش. وساعدت مثل هذه القافلة على تقوية العلاقات الحجازية المصرية، التى غدت أقوى من علاقاتها بالولايات العثمانية الأخرى(٦)، لدرجة أن شريف مكة لم يتوان فى أن

(١) سخرت مصر إمكاناتها لتأمين سلامة قوافل الحجيج المتجهة إلى الحجاز بوسائل عدة. لمزيد من التفاصيل انظر:

- STANFORD J. SHAW; OTTOMAN EGYPT IN THE EIGHTEENTH CENTURY, UXFORD UNIVERSITY PRESS, LONDON, 1962, P. 21.

(٢) شهدت مصر خلال القرن (١٨) تنافس البيوتات المملوكية فيما بينها، التى تتحد أحيانا وتتنازع أحيانا أخرى. انظر رفعت رمضان، المصدر السابق، ص١٣. انظر أيضا السباعى، المصدر السابق، ص ١٠١.

(٣) المحمل: يعنى الهيكل الخشبى المخروطى الشكل الذى يحلى بأعلى زينة، ويحمل على جمل، فيه الزاد والمؤن الكثيرة برفقة الجنود والمؤذنين. انظر عبد الله عقيل عنقادى، المحمل نشأته وآراء المؤرخين فيه، مجلة كلية الآداب، مج ٢، س ٢، جامعة الرياض، ١٣٩١ – ١٣٩٢هـ/ ١٩٧١ – ١٩٧٢م، ص ٣٢٤.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر د. فؤاد محمد متولى، العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز منذ الفتح العثمانى حتى الاحتلال الفرنسى (١٥١٧ – ١٧٩٨م) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، (الإصدارات الخاصة)، الكويت، ١٩٨٠، ص ٥ – ٦.

(٥) انظر د. رشاد الإمام، الوثائق والمخطوطات العربية بتاريخ الجزيرة العربية، مجلة المؤرخ العربى، ع١٣، ١٩٨٠، ص ١٩٠.

(٦) لمزيد من التفاصيل انظر عبد الرحيم، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الولايات العربية أبان العصر العثمانى ١٥١٧ – ١٧٩٨ من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية، المجلة التاريخية المغربية، ع ٢٩ – ٣٠، ص١٠، تونس جوبليه ١٩٨٣، ص ٣٩٧.

يحضر إلى مصر، طالبا من حاكمها العون فى استرجاع الشرافة أو اغتصابها من صاحبها[١].

لم تأل السلطة العثمانية المركزية جهدا، فى إدامة صلاتها بأشراف الحجاز، مستغلةً حلول موسم الحج[٢]. أشارت الوثائق العثمانية لعام ١١١٥هـ / (١٧٠٣م)، إلى تسلم الشريف سعد بن زيد رسالة بهذا الخصوص من السلطان حملها إليه أمين الصرة الهمايونية[٣]، غير أن سلاطين آل عثمان لم يترددوا البتة فى التلويح لأمراء مكة، باستخدام القوة لإنهاء خلافاتهم المحلية، وتوكيد تبعيتهم للدولة العثمانية[٤].

دأبت السلطة العثمانية على تأكيد مركزيتها اتجاه الحجاز، حين منعت الأهالى عام ١١٢٨هـ / ١٧١٥م من حمل أسلحتهم، وهددتهم بمصادرتها إن خالفوا ذلك، حفاظا على سلامتهم ولفرض استتباب الأمن فى البلاد[٥]، غير أنها شجعت الحجازيين عام ١١٣٠هـ / ١٧١٧م على التعامل بتجارة البن لمنافعه الاقتصادية، وحرمت على الأوروبيين مزاولة تجارته توكيدا لحرمة الأماكن المقدسة وتحقيقًا للمصالح العثمانية[٦].

---

(١) الصواف، المصدر السابق، ص ٤٥ و٥١.

(٢) جرت العادة أن يحضر السلطان العثمانى بنفسه، احتفال خروج المحمل الشريف، حيث يأخذ قياده بيده، فيسلمه إلى أمين الصرة، حتى إذا وصل العود، يسلم الأخير ذلك القياد إلى السلطان. انظر محمد السنوسى، الرحلة الحجازية، جـ ٢، تحقيق على الشنوفى، الشركة التونسية للتوزيع والنشر، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٢٢٣.

(٣) انظر و. ع (و. أ. م. ت. أ) مج١، ع٤، رقم البحث ٣٧٧٧، دفترهما يون، ١، الصفحة ٦٦٦٣، تاريخ الوثيقة، أوائل شهر رجب ١١١٥هـ.

(٤) - LAROQUE; OP. CIT, P. 110.

(٥) أحمد شلبى بن عبد الغنى الحنفى المصرى" أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشاوات" الملقب بالتاريخ العينى، تحقيق د. عبد الرحمن عبد الرحيم، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٢٨٨.

(٦) انظر كامل باشا "تاريخ سياسى دولت علية عثمانية" جـ٢، مطبعة أحمد إحسان، ١٣٢٧هـ، ص ١٣٦.

على أنها لم تترك إمارة مكة دونها تدخل، رغم تصاعد حروبها الأوروبية[١] خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر، إذ سارعت فى عام ١١٣٠هـ / ١٧١٧م إلى إصدار فرمان سلطانى، عينت بموجبه الشريف على بن سعيد بدل شقيقه الشريف عبد الله بن سعيد، الذى عزل عن الإمارة، بناء على رغبة الأشراف أنفسهم[٢]. كما واصلت إرسال المبالغ السنوية إلى الحجاز[٣].

وإذا كان الشريف يتمتع بسلطة كبيرة فى الحجاز، فإن سلطته الحقيقية كانت مستمدة من السلطان العثمانى، وأحقيته فى التولية بموجب الفرمان السلطاني[٤]. ففى عام ١١٣٢هـ / ١٧١٩م أرسلت الدولة العثمانية الأمر السلطانى الخاص، بتعيين الشريف يحيى بن بركات - الذى كان قد عزل - بصحبة أمير الحاج الشامى حيث دخل برفقة عساكره، مما اضطر شريفها مبارك بن أحمد على الخروج منها[٥].

اعتمدت الدولة العثمانية لتثبيت نفوذها السياسى، على أكثر من طرف وحليف، فقد أبدت تأييدها إلى واليها فى جدة، ليقوم بحماية مصالحها فى الحجاز، وحينما وقعت المواجهة العسكرية، بين أمير مكة الشريف يحيى بن بركات وبين معارضه الشريف مبارك بن أحمد عام ١١٣٤هـ / ١٧٢١م، وانهزم

(١) تعرض العثمانيون لهزيمة عسكرية أمام النمسا والبندقية عام ١٧١٦م، الأمر الذى أجبرهم على التنازل عن جزء من منطقة البلقان للنمسا، بموجب معاهدة بساروفتز PASSAROWITZ. لمزيد من التفاصيل انظر الدسوقى، المصدر السابق، ص١٠٠.

(٢) دحلان، خلاصة، ص ١٥٨ - ١٥٩.

(٣) - ANDREW CRICHON, HISTORY OF ARABIA AND ITS PEOPLE, LONDON AND EDINBURGH, 1852, P. 522.

(٤) سعيد عوض باوزير، "معالم تاريخ الجزيرة العربية" منشورات مؤسسة البيان، ط، عدن، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م، ص ١٢٤.

(٥) دحلان، خلاصة، ص ١٧٤.

الأول أمام متحديه الثانى وعندئذ عرض إبراهيم باشا – والى جدة – الأمر على الدولة العثمانية التى وافقت بناء على طلب الأشراف، على تعيين الشريف مبارك ابن أحمد أميرا على مكة[1].

أدت شخصية والى جدة دورا واضحا فى توليه إمارة مكة. ففى عام ١١٣٤هـ / ١٧٢٠م قدم على باشا دعمه لقوات الشريف يحيى بن بركات فى ولايته الثانية، بقضائه على التمرد الذى قاده معارضه الشريف مبارك بن أحمد، مما كان له الأثر الواضح فى الانتصار الذى حققه شريف مكة. إلا أن خلفه إسماعيل باشا الذى وصف بأنه كان أقل حزما من سلفه، قد شجع المعارضين على رص فوفهم، والتحرك بقيادة الشريف مبارك بن أحمد من الطائف نحو مكة[2]، صفوفهم وهناك التقوا بعثمان باشا أبو طوق – أمير الحاج الشامى – موضحين له معاناتهم من سوء تصرفات شريف مكة، وأسفر ذلك عن تنازله لولده بركات، بعد عجزه عن دفع حقوق الأشراف[3].

على أن الدولة العثمانية لم تترك أشراف الحجاز وشأنهم، فكانت سياستها تتمثل فى دعمها لأكثر المرشحين منهم، استعدادا لخدمتها والتعاون معها[4]، وتشير الوثائق العثمانية لعام ١١٣٤هـ / ١٧٢١م، عن أوامر مشددة أصدرتها استانبول إلى أمير مكة، توصيه (بعدم مطالبة الحجاج الإيرانيين الوافدين لزيارة الحرمين الشريفين، من دفع رسومات غير نظامية) مستوفاة لأمر الشريف وغيره، وملاحقة المخالفين لذلك[5]. كما تدخلت السلطة العثمانية بالمدة نفسها،

(١) لمزيد من التفاصيل انظر جارشلى، المصدر السابق، ص ١٣٢ – ١٣٣.
(٢) لمزيد من التفاصيل أنظر الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ١، الورقات ٣٩٥ – ٣٩٨.
(٣) دحلان، خلاصة، ص ١٧٧.
(٤) الصواف، المصدر السابق، ص ٩٣.
(٥) و.ع (م. د. خ.ع) رقم البحث ١٥٧١، دفتر مهمة ١٣٠، الصفحة ٢٩٩ – ٣٠٠م تاريخها: أواسط جمادى الأولى ١١٣٤هـ.

فى إعادة تنصيب الشريف المعزول يحيى بن بركات أميرا على مكة، الذى كان قد وصل إلى استانبول، بعد أن عزله الأشراف المعارضون، غير أن السلطان أحمد الثالث أسند إليه إمارة مكة بعد مقابلته له[١].

لعل من أبرز الشواهد التاريخية، على دعم السلطة العثمانية لممثلها فى جدة حفاظا على مصالحها هناك، هو ارسالها مبعوثا عام ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م حاملا معه أمرا سلطانيا، بدفع ستين كيسا إلى والى جدة، ليشترى بها مركبا لحمل غلال الحرمين الشريفين، عوضا عن أحد المراكب التى غرقت قبل هذا التاريخ[٢]، كما نجحت عام ١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م عبر أمير الحاج الشامى الذى وصل مكة، فى إقناع الشريف عبد الله بن سعيد، بدفع شيء من مخصصات الأشراف المعارضين فأرضاهم[٣].

فى الوقت نفسه تمكن أبو بكر باشا – والى جدة – عام ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م، من إقناع الشريف عبد الله بن سعيد، بالامتناع عن دفع رسوم على تجار الحجاز[٤]، كما رد فى عام ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م، طلبا للأشراف المعارضين بزعامة الشريف مبارك بن أحمد عزل شريف مكة[٥]، فيما اتسمت علاقة الأخيرة بأولئك الأشراف بعدم التعاون، حتى وفاته عام ١١٤٠هـ/ ١٧٢٧م[٦].

---

(١) عبد الغنى، المصدر السابق، ص ٧٨٩.

(٢) "الجبرتى" "عجائب الآثار فى التراجم والأخبار" جـ١، دار الجيل ط، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٠٠، ويذكر أن هذا الكتاب اشتمل على تاريخ مصر خلال القرنين (١٧ – ١٨) انتقد فيه المؤلف سلطة الحكام المحليين فى مصر والحكم الفرنسى والعثمانى، انظر أنيس "الجبرتى بين مظهر التقديس وعجائب الآثار" مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج، جـ١، مايو (أيار)، ١٩٥٦، ص ٦٥ – ٦٦.

(٣) دحلان، خلاصة، ص ١٨٦.

(٤) انظر غالب، المصدر السابق، ص ٤٩، دحلان، خلاصة ص ١٨٢.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ١، الورقات ٤١٢ – ٤٣٠.

(٦) دحلان، خلاصة، ص ١٨٣.

أولت استانبول الحرمين الشريفين رعايتها الخاصة، من ذلك قيام السلطان محمود الأول عام ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م، بإجراء إصلاحات عمرانية اشتملت على تعمير سقف الكعبة تحت إشراف مبعوثه محمد أفندي[١]. وفى عام ١١٥١هـ / ١٧٣٨م صدر توجيه من السلطة العثمانية المركزية إلى أمير مكة الشريف مسعود بن سعيد، تطالبه فيه بصرف وتوزيع الأوقاف المشروطة لمستحقيها من فقراء مكة والمدينة[٢]، وخصص لسكان الحرمين الشريفين مبالغ سنوية[٣] قدرت بحوالى خمسة وسبعين ألف ومئة من القروش[٤].

تزايدت الاتصالات العثمانية الحجازية، فى عهد إمارة الشريف مسعود بن سعيد (١١٤٦هـ / ١٧٣٣م - ١١٦٥هـ / ١٧١٥م)، حيث دأب الجانب العثمانى على توطيدها، مستغلا مناسبة حلول موسم الحج، إذ بلغت قيمة الغلال من الحنطة المرسلة من مصر إلى الحجاز عام ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م، ثلاثة آلاف وسبعمائة وستة أردب[٥]، التى تعد هدايا من الدولة العثمانية لأهالى الحرمين الشريفين[٦]، وفى عام ١١٥٤هـ / ١٧٤١م بعث السلطان العثمانى برسالة إلى

---

(١) انظر أيوب صبرى المصدر السابق، ايكنجى جلد، ص ٧٥٠.

(٢) و. ع [م. د. خ. ع]، رقم البحث ١٢٣١، الصفحة ١٢٦ - ١٢٨، تاريخ الوثيقة غير مؤرخة، فى أرشيف رئاسة الوزراء، استانبول.

(٣) أيوب صبرى، المصدر السابق، جـ٥، ص ٦٨١.

(٤) القرش (القرش) الصحيح العثمانى: هو القرش الصاغ، وأن كل ثلاثة من الأخير وزنها وزن مثقال شرعي. انظر الشيخ إبراهيم سليمان العاملى - البياضى، "الأوزان والمقادير" مطبعة صور الحديثة، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م، ص ٨٦ - ٨٧.

(٥) الأردب مكيال مصرى للحنطة يتألف من ٦ ويبات، كل ويبة (٨) أقداح كبيرة أو (١٦) قدحا صغيرا، وفى القرن (١٨) بات الأردب يتألف من (٩٦) قدحا (صغيرا)، كل قدح ٦/٧- ٤٤٢ درهم. انظر فالترهنتس "المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها فى النظام المترى" ترجمه عن الألمانية د. كامل العسلى، عمان، ١٩٧٠، ص ٥٨ - ٥٩.

(٦) مصطفى محمد رمضان، وثائق مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر إبان العهد العثمانى، فى كتاب مصادر، ص ٢٦٠ - ٢٦٥.

شريف مكة، حملها إليه أمين الصرة الهمايونية[1]، وهى تشير إلى قوة الصلات بينهما[2]. وحينما تعرضت المدينة المنورة، لاضطرابات مسلحة بين عشائرها المتحصنين بالقلعة، وبين شيخ الحرم المدنى والمنحازين إليه عام ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م، سارعت الدولة العثمانية إلى اتخاذ إجراءات من شأنها، دعم موقف شريف مكة الرامى إلى بسط سيطرته على البلاد، بإصدارها أمرا سلطانيًا، تضمن عزل شيخ الحرم، وإناطة مسؤولية حماية المدينة لعساكر الشريف[3].

من جانبه حرص الشريف مسعود بن سعيد، على إدامة علاقاته بالدولة العثمانية، بهدف تقوية مركزه السياسى فى مواجهة خصومه المحليين. ففى عام ١١٥٩هـ / ١٧٤٦م بعث جوابا إلى السلطان العثمانى، يخبره فيه بسلامة الحجاج من زوار الأماكن المقدسة، فضلا عن قيامه بتوزيع الصرة المخصصة للفقراء والمحتاجين[4].

وهكذا تظهر لنا طبيعة الصلات بين أشراف الحجاز والدولة العثمانية، ومما عزز ذلك ظهور الحركة الوهابية فى نجد، التى هددت نفوذ شريف مكة والمصالح العثمانية برمتها فى منطقة الجزيرة العربية. ومما يؤكد ذلك ما أورده المؤرخ العثمانى سليمان عزي[5]، الذى قال: (بأن خطر الوهابية قد دفع

---

(١) كان السلطانى العثمانى يعهد بالصرة، والتى تمثل أعطيات نقدية عينية إلى موظف يسمى أمين الصرة، يبعثه إلى الحرمين الشريفين لتوزيعها على مستحقيها هناك. انظر رافق، العرب والعثمانيون، ص١٢.

(٢) و. ع (و. أ. م. ت. أ) مج ١، ع٥، رقم البحث ٢٧٩٣، دفتر نامة همايون ٨، الصفحة ٧٥ – ٧٦ ، تاريخها فى أواسط رجب ١١٥٤.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ: ٢، الورقات ٥٥٦ - ٥٦١.

(٤) و. ع (و. أ. م. ت. أ) مج١، ع٥، رقم البحث ٣٨٠١، دفتر نامه همايون ٨، الصفحة ٢٢٣- ٢٢٤، تاريخ الوثيقة أواخر ذى الحجة ١١٥٩هـ.

(٥) اشتهر سليمان عزى بالشعر وتدوين الأحداث التاريخية، عمل فى التشريعات السلطانية، وصار كاتب الأحداث المتعلقة بالسلطان، يقع كتابه فى جزئين يتناول الفترة بين أعوام (١١٥٧ – ١١٦٥هـ). انظر بروسه لى "محمد طاهر" عثمانلى مؤلفلرى، استانبول، المطبعة العامة، الفصل الرابع (١٣٣٣هـ) ص١٠١.

باستانبول للإيعاز إلى شريف مكة، بضرورة اتخاذه إجراءات رادعة للقضاء على الوهابيين)، متخذة بالوقت نفسه إجراءات من شأنها، استمالة أهالى الحجاز إلى جانبها، بإصدارها أمرا سلطانيًا لوالى مصر العثمانى، تؤكد فيه ضرورة (إرساله الغلال إلى مكة لتوزيعها على مستحقيها من السكان)[١].

ب. العلاقات غير الودية:

عمل الأشراف خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر، على تسخير قدراتهم الذاتية ومكانتهم الدينية، بغية تدعيم نفوذهم السياسى، فى مقارعة منافسهم على السلطان، الوالى العثمانى فى جدة، الذى يروم هو الآخر، جعل إدارته هى المهيمنة فى تسيير أمور الحجاز، وكان الرحالة الإنكليزى وليم دانيال (William Daniel) – الذى يعد أحد موظفى شركة الهند الشرقية، وتولى نقل مراسلاتها إلى الهند – قد جاء جدة أواخر عام (١١١١هـ) / ١٦٩٩م وبداية عام (١١١٢هـ) / ١٧٠٠م، موفدا من قبلها لتحقيق منافع اقتصادية[٢]، وهو أول رحالة إنكليزى يصل المدينة، شاهد عيان للخصام الى نشب بين شريف مكة وبين والى جدة، مؤكدا بالوقت نفسه على نجاح أمير مكة – الذى وصل وقتذاك المدينة وبصحبته ألفين من الخيالة – فى إجبار الوالى العثمانى على دفع مبلغ قدره مئة ألف جكوين[٣]، بعد تهديده الأخير باستخدام السلاح ضده[٤]. فيما أشار

(١) لمزيد من التفاصيل انظر سليمان عزى، تاريخ عزى، جـ٢، قسطنطينية، (١١٩٩)، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٢) - THE RED SEA, OP. CIT, P. XIV.

(٣) جكوين: [جقوين]: هو الاسم الذى أطلقه الغربيون على الدنانير المجرية والبندقية، وكذا الدينار العثماني. انظر العزاوى، تاريخ النقود، ص ١٣٢.

(٤)- WILLIAM DANIEL; A JOURNAL OR ACCOUNT OF HIS LATE EXPEDI - IION OR UNDERTAKING TO GO FROM LONDON TO SURRAT, IN "THE RED SEA ..." OP. CIT, P. 74.

أحد الرحالة الفرنسيين الذى جاء جدة أواخر عام (١١١٢هـ) / ١٧٠٠م، إلى (أن شريف مكة كان يتمتع بنفوذ ملحوظ فى البلاد، يمكنه من الوقوف أمام طموحات ممثل السلطان فى جدة) مشيرا إلى رغبته الملحة فى إبقاء نفوذه بعيدا عن الدولة العثمانية[١].

على أن الحجازيين كانوا يطمحون أيضا إلى رفض تبعيتهم لاستانبول، إذ شهد الحجاز عام (١٠٩٩هـ) / ١٦٨٧م اندلاع انتفاضة محلية شاركت بها القبائل العربية، وقد بدأت بقيام اضطرابات اتخذت شكل نزاع بسيط، أعقب وفاة الشريف أحمد بن سعيد، فكان الجانب العربى يصر على تعيين الشريف سعيد بن سعد خلفا له، ورفض المرشح العثمانى، ورغم تراجع العثمانيين عن موقفهم، واضطرارهم إلى القبول بالمرشح العربى، بعد إلحاق عرب الحجاز الهزيمة بالقوات المصرية التى أرسلتها استانبول لتدعيم قرارها، إلا أن الانتفاضة استمرت حتى عام (١١١٣هـ) / ١٧٠١م، حين بعثت الدولة العثمانية قوات بقيادة أرسلان باشا، تولت فرض سيطرتها على الحجاز مجددا[٢].

من جانب آخر نشط والى جدة الذى يعد ممثلا للسلطان هناك، مستغلا صلته الوثيقة باستانبول لتحقيق طموحاته السياسية، فى خضم اضطراب الأوضاع بالحجاز. فحينما أقدم الشريف سعد بن زيد عام ١١١٣هـ / ١٧٠١م على عزل محمد باشا – والى جدة – لاحتدام الخلافات بينهما، توجه الأخير إلى العاصمة العثمانية ونجح فى كسب تأييدها لصالحه، وذلك بإصدارها الأمر السلطانى الخاص بعزل أمير مكة، وتعيين الشريف عبد الله بن هاشم بدلا منه،

(١) - PONCET; OP. CIT, P. 158

(٢) انظر "السكندر آداموف، [ولاة البصرة فى ماضيها وحاضرها] جـ٢، ترجمها عن اللغة الروسية، د. هاشم صالح التكريتى، مركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة، ١٩٨٩، ص ٨٦ و ٨٨.

والذى بلغت مدة إمارته أربعة أشهر، وأعقب ذلك وقوع معركة، اندحر بها الشريف المعزول الذى لجأ إلى اليمن[١].

شهد العقد الأول من القرن الثامن عشر، استمرار الصراع التقليدى بين قطبى السلطة فى الحجاز. ففى عام ١١١٦هـ / ١٧٠٤م أفشل سليمان باشا – والى جدة – محاولة الشريف سعد بن زيد، تنصيب نفسه أميرا على مكة، فى غياب شريفها عبد الكريم بن محمد فى اليمن، الذى عاود حكمه للبلاد فيما بعد[٢]. وفى الوقت نفسه رفض مطالب الشريف الأول، وولده سعيد بالإمارة، مؤكدا ذلك بالقول: (أنا أعزل وأولى من أرى فيه الصلاح لمكة)[٣]، ممهدا بذلك الطريق لتولى الشريف عبد المحسن بن أحمد إمارة مكة فيما بعد، كما ساندت قواته بعد ذلك الشريف عبد الكريم بن محمد، فى خوضه معركة ضد خصمه السياسى، الشريف سعد بن زيد عام ١١١٧هـ / ١٧٠٥م، محققة نجاحا فى إعادته للحكم[٤].

تدخل والى مصر العثمانى هو الآخر فى شؤون الحجاز السياسية، فقد قام أيوب بيك عام ١١١٦هـ / ١٧٠٤م بتزوير العروض – التى أرسلها شريف مكة عبد الكريم ابن محمد إلى استانبول بتأييد من سليمان باشا – والى جدة – فى محاولة كسب دع السلطنة لشرافته – بالتواطؤ مع الشريف المعارض سعيد بن سعد، وكتابة عروض مناقضة لها بسبب نزاعه مع سليمان باشا، ملخصها أن

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: باش أعيان العباسى، المصدر السابق، الورقة ٢٧٧. انظر أيضا الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ١، الورقات ٣٠٣ – ٣٠٥.
انظر أيضا الصواف، المصدر السابق، ص ٥٣.
(٢) انظر دحلان، خلاصة، ص ١٤١ – ١٤٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٤.
(٤) لمزيد من التفاصيل انظر دحلان، خلاصة، ص ١٣٤ – ١٣٦و ص ١٥٧ - ١٥٨.

الأخير عزل الشريف سعيد وولى الشريف عبد الكريم من غير جناية، فصدر الأمر السلطانى بعزل أمير مكة، وتعيين الشريف سعيد بن سعد محله[1].

غير أن الأمور تغيرت فيما بعد، فقد تولى والى مصر العثمانى عام ١١١٧هـ / ١٧٠٥م نقل الأمر السلطانى الخاص بعزل الشريف سعيد بن سعد وتولية الشريف عبد الكريم بن محمد شرافة الحجاز، وتعيين غيطاس بيك لإمارة الحج المصرى بدل أيوب بيك[2].

مقابل ذلك عمل والى الشام الذى تولى إمارة الحج[3]، منذ النصف الثانى من القرن السابع عشر[4]، بهدف ترسيخ نفوذ السلطان العثمانى بالحجاز، فى مقاومة تدخل مماليك مصر المتزايد فى شؤون مكة[5]. فى خلال ذلك كان الأشراف يحسبون ألف حساب لأميرى الحاج الشامى والمصرى، المدعومين عادة بقوة عسكرية عند ورودهم الحجاز، ويتولون عزل الشريف المراد عزله وتنصيب غيره[6].

تصاعد دور والى الشام بداية العقد الثانى من النصف الأول من القرن الثامن عشر، نظرا لوقوع خلافات بين الشريف عبد الكريم بن محمد، ونصوح باشا –

(١) الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ١، الورقة ٣١١. انظر أيضا دحلان، خلاصة، ص ١٤٥ - ١٤٧.

(٢) دحلان، خلاصة، ص ١٥٢.

(٣) ضمت قافلة الحج الشامى الحج الرومى والحج العجمى والحج الحلبى وحجاج صيدا وغيرهم. لمزيد من التفاصيل انظر رافق: قافلة الحج الشامى وأهميتها فى العهد العثمانى، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ع٦، ذو الحجة ١٤٠١هـ / تشرين الأول ١٩٨١م، ص٥.

(٤) د. أحمد عزت عبد الكريم: دراسات فى تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٠، ص ٢٠٦.

(٥) رفعت رمضان، المصدر السابق، ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٦) لمزيد من التفاصيل عن قافلة الحج الشامى تكونها وتوقيتات سفرها. انظر محمد كود على، خطط الشام، جـ٥، مطبعة الترقى، دمشق، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م ص ١٨٤ - ١٨٥. انظر أيضا الصواف، المصدر السابق، ص ٥٢.

أمير الحاج الشامى – عام ١١٢٣هـ / ١٧١١م. إذ أخذ الأخير يحرض الناس على الشريف، مخبرا الدولة بأنه ليس أهلا لها، ويستحسن تعيين الشريف سعيد ابن سعد، فجاء الأمر السلطانى بذلك(١). وعندما اختلف الأشراف مع الشريف على بن سعيد عام ١١٣٠هـ / ١٧١٧م، طلبوا من رجب باشا – أمير الحاج الشامى – عزله وتعيين الشريف يحيى بن بركات بدلا عنه، فتم لهم ذلك(٢).

تباينت مواقف الوالى العثمانى فى جدة، إزاء صراع الأشراف على إمارة مكة، تبعا لطبيعة الأحداث المحلية المرافقة لها. فقد رفض أبو بكر باشا عرضا لمؤيدى الشريف مسعود بن سعيد – الذى اندحر عسكريا أمام قوات خصمه الشريف محمد بن عبد الله متولى الحجاز منذ عام ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م – تثبيته بالإمارة، الأمر الذى حفز الأول معاودة القتال، وحدثت عدة معارك استمرت حتى عام ١١٤٦هـ / ١٧٣٣م ومن ثم تمكن من استعادة مكة متوليا إمارتها(٣).

من جانبه أبدى الشريف مسعود بن سعيد رغبة فى أن يكون له نفوذٌ سياسيٌ بعيدا عن السلطة العثمانية المركزية – التى ظلت منغمسة فى حروبها الأوروبية(٤)، طيلة العقد الثالث من القرن الثامن عشر – إذ بسبب المنازعة التى وقعت بينه وبين على باشا – والى جدة – لاستحواذ الأخير على كثير مما هو مقرر للشريف، من المحصولات بميناء جدة عام ١١٦١هـ / ١٧٤٨م، وتعديه على

(١) الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ١، الورقات ٣١٢ – ٣١٣.

(٢) المصدر نفسه، الورقات، ٣٤٩ – ٣٥٠.

(٣) الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ٢، الورقة ٥١٠. انظر أيضا عبد الغنى، المصدر السابق، ص ٧٩٣.

(٤) خاضت الدولة العثمانية عام ١٧٣٤ حربا ضد روسيا والنمسا، لكنها خسرتها، وبموجب معاهدة صلح بلغراد عام ١٧٣٩، تنازلت لروسيا عن مدينة آزوف، انظر د. هاشم صالح التكريتى، المسألة الشرقية، المرحلة الأولى ١٧٧٤ – ١٨٥٦، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى، جامعة بغداد، بيت الحكمة، ١٩٩٠، ص٣٤.

خدمه وعبيده، بادر أمير مكة إلى إرسال حملة عسكرية، بقيادة أخيه الشريف جعفر بن سعيد، أجبرت على باشا على مغادرة المدينة، وتم تعيين آخر محله، واستحصل موافقة استانبول على ذلك[1].

يتضح لنا مما تقدم أن علاقة العثمانيين بأشراف مكة، لم تكن ودية دائما، وإنما تتحول أحيانا إلى علاقات غير ودية أو عدائية، فالسلطة العثمانية التى كانت حريصة على بقاء نفوذها فى بلاد الحجاز، قد تتدخل أحيانا للإبقاء على هذا النفوذ، مما يتسبب فى تعكير العلاقات مع أشراف مكة، أو قد تقبل بالأمر الواقع أحيانا.

(١) دحلان، خلاصة، ص ١٩٥.

الفصل الرابع

الحجاز فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر

١. أشراف الحجاز وسياساتهم الداخلية

٢. الأشراف والسلطة العثمانية

أ. العلاقات الودية

ب. العلاقات غير الودية

١. أشراف الحجاز وسياساتهم الداخلية :

انتهج الشريف مساعد بن سعيد (١١٦٥هـ / ١٧٥١م - ١١٨٤هـ / ١٧٧٠م) سياسة من شأنها، إشاعة الأمن بين أهالى وحجاج الحرمين الشريفين، والوقوف ضد اعتداءات الأعراب، ومتابعة أحوال رعيته[١]، غير أن آل بركات لم يبايعوه الإمارة، محرضين ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله، على إعلان تمرده على عمه شريف مكة، ومن ثم إعلان تحالفهم معه، وقد اتخذوا من الطائف مركزا لتجمع قواتهم. وخلال تلك الأحداث انضمت إليهم قبائل عتيبة، فشعروا حينذاك بتزايد قوتهم، ثم اندفعوا نحو مكة يرومون دخولها، فتصدى لهم شريفها وعساكره عام ١١٦٥هـ / ١٧٥١م، محققا نصرا عليهم، فاضطروا إلى التراجع إلى الطائف، إلا أنهم عاودوا الهجوم مرة أخرى، وكان نصيبهم الإندحار فى وادى المنحنى قرب مكة، فاجبروا على قبول الصلح، شريطة تخصيص معاش لهم[٢].

تصدى شريف الحجاز لمحاولة أخرى جرت لعزله عام ١١٧١هـ / ١٧٥٧ م، بسبب حصول تنافر بينه وبين عبد الله القعر أحد شخصيات الحجاز، وحين علم الشريف مساعد بن سعيد بذلك، أعلن الحرب على خصومه وانتصر عليهم[٣].

---

(١) انظر أبو القاسم سعد الله: الرحلات الجزائرية الحجازية خلال العهد العثمانى، فى كتاب مصادر، ص ٣٤١.

(٢) - GAURY; OP. CIT, P. 170.

(٣) عبد الغنى، المصدر السابق، ص ٨٠٤.

ومع ذلك فقد شهد العام التالى عملية الإطاحة المؤقتة بحكم الشريف مساعد، وتنصيب أخيه الشريف جعفر بن سعيد(١)، إلا أن هذه المحاولة هى الأخرى لم تنجح(٢)، إذْ لما غادر الحجاج الحرمين الشريفين، عاد الشريف مساعد بن سعيد مرة أخرى لتولى شرافة الحجاز، بعد نجاحه فى إقناع الشريف الجديد بالتنازل عن الولاية لصالحه عام ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م(٣). وكما أشار دحلان (فإنه بذل لأخيه مالا فنزل له عن الإمارة، ومن ثم عرض الأمر على الدولة العثمانية فوافقت على ذلك)(٤).

استهل الشريف مساعد بن سعيد ولايته الثانية، بقيامه بعدة فعاليات عسكرية استهدفت توطيد حكمه. فحينما أظهر شقيقه الشريف أحمد بن سعيد أستياءه منه، جراء عدم استجابته إلى شكايته من وزيره محمد الشامى عام ١١٧٤ هـ / ١٧٦٠م، الذى أساء التصرف معه، مما شجع أعراب منطقة عرفة على التجمع حوله، ومن ثم تطورت الأمور بينهما إلى مواجهة عسكرية، أجبر فيها المعارضون على الالتجاء إلى وادى مُر عام ١١٧٥هـ / ١٧٦١م، إلا أن بعض الأشراف توسطوا فى الصلح بينهما(٥).

من جانب آخر وقعت خلافات بين شريف مكة، وبين السيد أحمد بن الشريف عبد الكريم بن محمد عام ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م، الذى أعلن تمرده فى جدة، لكن محاولته احتلال المدينة قد باءت بالفشل(٦). وشجع هذا الأمر آل

---

(١) - NIEBOUHR; OP. CIT, VOL. 11, P. 29. لمزيد من التفاصيل انظر
- GAURY; OP. CIT, P. 171. انظر أيضاً
(٢) - BURCKHARDT; TRAVELS, P. 223.
جارشلى، المصدر السابق، ص ص ١٤٠ - ١٤١
(٣) أرسلان، الارتسامات، ص ١٥٤.
(٤) تاريخ، ص ١٦١.
(٥) السباعى، المصدر السابق، ص٧٩. انظر أيضا دحلان، خلاصة، ص ١٩٨ - ١٩٩.
(٦) الأنصارى، موسوعة، ص ٩٢.

بركات على تناسى خلافاتهم، فأجمعوا على تولى الشريف عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات إمارة مكة، الذى تمكن خلال تلك الفترة من جمع الرجال والمال، غير أن محاولته فى احتلال جدة لم تؤد إلى نتيجة تذكر، وعلاوة على ذلك لاقى اندحارا تاما فى المعركة، التى خاضها ومؤيدوه أمام عساكر وأعراب شريف مكة عام ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م فى جبال المعابدة، الأمر الذى اضطر زعيمهم الشريف عبد الله البركاتى، على الهرب إلى مصر، طالبا العون من ولاتها[١]، الذين تدخلوا فى الأمر كما سنرى[٢].

صادف فى هذا الوقت وفاة الشريف مساعد بن سعيد[٣]، أثر مرض شديد عام ١١٨٤هـ / ١٧٧٠م[٤]، وكان قد أوصى بالشرافة إلى أخيه عبد الله بن سعيد، إلا أن شقيق الأخير أحمد أرادها لنفسه، وتم له ذلك فى تنازل الأول عن الإمارة إلى الثاني[٥]، ومع ذلك فقد نصب الشريف عبد الله بن حسين، بدل الشريف الجديد أحمد بن سعيد عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م[٦].

انتهج الشريف الجديد سياسة اتَّسَمَتْ بإبعاد آل زيد عن مكة، فى وقت تصاعدت فيه حالة الاستياء بين أهالى الحجاز، من سوء تصرفات العساكر المصرية، لذلك استغل الشريف المنحىَّ أحمد بن سعيد، عودة القوات المصرية إلى بلادها من جهة، وتذمر السكان جراء تخبط الشريف فى سياساته من جهة

(١) انظر دحلان، خلاصة، ص١٩٩ - ٢٠٠.

(٢) سيرد الحديث عن ذلك فى المبحث القادم.

(٣) حكم الشريف مساعد بن سعيد تسعة عشر عاما إلا ثلاثة أشهر.

(٤) انظر الصواف، المصدر السابق، ص٥٥. انظر أيضا جارشلى، المصدر السابق، ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٥) عبد الغنى، المصدر السابق، ص ٨٠٨.

(٦) انظر محمود شاكر، شبه جزيرة العرب - ١ - عسير، المكتب الإسلامى، ط٣، ١٩٨١، ص ١٤٦، والواقع أن القوات المصرية قد قامت بدور كبير فى عملية التنصيب هذه.

أخرى، لتحقيق غاياته السياسية[1]، فجمع حوله الكثير من الأتباع بدعم من قبائل الجنوب وثقيف، وخاض بتلك الجموع معركة قرب مكة، أزاح بها الشريف عبد الله بن حسين عن الإمارة، بعد أن حكم شهرين وثلاثة وعشرين يوما، ملاحقا فلوله المندحرة التى أجبرت على ترك مدينة جدة والانسحاب إلى مصر، حيث توفى فيها[2].

ابتدأ الشريف أحمد بن سعيد (١١٨٤هـ / ١٧٧٠م – ١١٨٥هـ / ١٧٧١م، حكمه الحجاز بإصدار أمر أعلن بموجبه حرق دار آل بركات، لاعتقاده أنهم الآمرون بحرق دار السعادة، ونهب الناس جميع ما فى دارهم[3]. كما قرر عزل يوسف قابل – وزيره فى جدة – وتعيين حسين الشامى بدلا عنه، إلا أن بن أخيه الشريف سرور بن مساعد، الذى كان حاضرا مجلس عمه، تولى نقل الأمر إلى الوزير المذكور، محذرا إياه من نوايا شريف مكة نحوه، مما كان حافزا لتحالفهم المشترك ضده، وسرعان ما نزلت قواتهم فى وادى مُر، رافضين عرضا للصلح، تقدم به شريف الحجاز، تبع ذلك اندلاع معركة بين الجانبين فى أعالى مكة، دامت قرابة الساعتين عام ١١٨٥هـ / ١٧٧١م، كانت نتيجتها دخولهم مكة مبايعين الشريف سرور بن مساعد لولاية الحجاز[4]، وكانت مدة ولاية الشريف المعزول نحو السنتين[5].

يعد عهد الشريف سرور بن مساعد (١١٨٥هـ / ١٧٧١م – ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م) – الذى تولى الإمارة وعمره ثمانية عشر عاما، من العهود الشريفية

---

(١) لمزيد من التفاصيل، انظر رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثمانى إلى حملة نابليون بونابرت (١٥١٦ – ١٧٩٨)، ط، دمشق، ١٩٦٨، ص ٤٠٥.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر دحلان، خلاصة، ص ٢٠٥، انظر أيضا ابن منصور، المصدر السابق، ص ٤٠.

(٣) دحلان، تاريخ، ص ١٦٢.

(٤) انظر السباعى، المصدر السابق، ص٨٥.

(٥) دحلان، تاريخ، ص ١٦٢.

المزدهرة – كونه شهد تنامى قوة شريف مكة، وتمتع أهالى الحجاز بقسط من الرخاء، فضلا عن نجاحه الملحوظ فى إخضاع الأشراف لسلطته المركزية، بعد ما كانوا بالفترات السابقة يعتبرون أنفسهم حكاما فى مكة قلما يخضعون لأوامر شريفها[1].

نشط شريف مكة باتجاه تهيئة الأرضية المناسبة من أجل تقوية حكمه فى الحجاز، فقد تمكن من مد جسور التحالف مع القبائل المجاورة لمكة، معززا قدراته العسكرية التى دعمها حرسه من العبيد، فى إدامة غزواته التى استهدفت ملاحقة أعدائه المحليين[2]. إذ أمضى السنوات السبع التى أعقبت توليه الإمارة، فى خوضه عدة معارك ضد عمه الشريف أحمد بن سعيد المنافس له بالحكم، والذى ساندته هو الآخر أطراف عدة، حتى نجح عام (١١٩٣هـ) / ١٧٧٩م فى إلقاء القبض عليه، ووضعه وأولاده السجن فى ينبع حتى مات فيه[3].

على أنه كان حازما فى تصديه السريع للتمرد الذى تزعمه عبد الله القعر، أحد خصومه السياسيين فى الطائف عام ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م، عندما قاد جنوده من الأشراف والأعراب، وبدعم من قبائل هذيل ونجح فى هزيمة عدوه، محبطا بذلك محاولة الأخير تحقيق تحالف مع الشريف المنافس أحمد بن سعيد[4]. وخلال ذلك حقق نجاحا فى إخماده الفتنة، لتى وقعت بالمدينة بين جماعات متنافرة، عبر ممثله حسين العلوي[5].

---

(١) حافظ وهبة "جزيرة العرب فى القرن العشرين" مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، لندن، ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م، ص ١٦٧؛ الصواف، المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٢) انظر فاسيليف، "تاريخ العربية السعودية" ترجمة خيرى الضامن، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦، ص١١١.

(٣) انظر جارشلى، المصدر السابق، ص ١٤٨.

- GAURY; OP. CIT, P. 177 - 178

(٤) دحلان، خلاصة، ص ٢١٠.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر الجاسر، الأخبار، ص ٢٤٩.

تصاعدت فعاليات الشريف العسكرية، ففى عام ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م استطاع أن يخضع قبيلة الشبابين لنفوذه، كما دحر بعض القبائل المتمردة من ذوى حمود بطريق الطائف، وأفْشَل محاولة مبارك بن مزيين من آل بركات، العصيان فى أطراف منطقة الحرة حوالى عام ١١٩١هـ / ١٧٧٧م، فى وقت غزا فيه الشبابين مرة أخرى، وأخذ إبلهم ومواشيهم عام ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م، إضافة إلى نجاحه فى إفشال محاولة قبائل هذيل الخروج على نفوذه، والحاقه الهزيمة بقبيلة الشلاوى فى منطقة الفرق(١).

أبدت قبيلة حرب معارضتها لسلطة شريف الحجاز، ولجأت إلى الأسلوب العسكرى فى أغلب الأحيان، لذا شهد عام ١١٩١هـ / ١٧٧٧م اشتداد الخلافات بينهما، نتيجة لمطالبة حرب أمير الحاج المصرى ما هو مقرر لها من الأموال، ورفض زعيمها بدوى بن عبد، مساعى الشريف سرور بن مساعد للتوفيق بينهما، مما اضطر الأخير إلى إلقاء القبض على الأول وحبسه إلى أن مات بالسجن، فكان ذلك سببا فى خروج قبيلته على طاعة شريف مكة(٢).

وخلال تفقده لأحوال المدينة عام ١١٩٤هـ / ١٧٨٠م، برفقة عساكره، طالبه أفراد حرب بأن لهم عليه عوائد مالية، غير أن الأمور تطورت بينهما إلى حالة من التوتر، أدى فيها محمد مصطفى بن محمد مقمجى – أحد رؤساء الجند وقتذاك – دورا فى تأجيج تلك الخلافات، وانتهى الأمر بوقوع المجابهة العسكرية بينهما، والتى حقق بها شريف مكة نصرا عليهم(٣)، ثم صالحهم بصرف بعض الأموال إليهم، وحين جاءته الأخبار فى العام نفسه من عيونه، بأن

(١) لمزيد من التفاصيل انظر دحلان، خلاصة، ص ٢١١ - ٢١٦.
(٢) الجاسر، كشف، ص ٤٥٣؛
- GAURY; OP. CIT, P. 178.
(٣) الجاسر، كشف، ص ٤٤٨، انظر أيضا المؤلف نفسه، الأخبار، ص ٢٤٩.

الأخيرين يتواطئون مع شيخ الحرم بالمدينة بقصد إضعاف مكانته السياسية فيها، تحرك حالا بقواته واستولى على قلعة المدينة، قابضا على الشيخ المذكور وخمسين من أتباعه، وأثناء عودته مكة، جدد سيطرته على القبائل المنتشرة على الطريق بين المدينة والطائف[1].

إلا أن حرب لم تضعف عزيمتها رغم كل ذلك، معلنة مقاومتها لحكم الأشراف، وعدم تخلى أفرادها عن قلعة المدينة، مما دفع شريف مكة إلى قيامه وجنوده بهجوم على المتحصنين بالقلعة، وتمكن من أسر عدد منهم ثم عاد إلى مكة[2]. وفى ذات العام ١١٩٤هـ / ١٧٨٠م فرض سطوته على حرب مرة أخرى، مبدداً أحلامها فى النيل من نفوذه وإضعاف إمارته، إذ حاصروا وزيره وعسكره فى قلعة المدينة، فبعث سرية بقيادة ناصر بن مستور ألحقت الهزيمة بهم[3].

عاودت حرب سياستها فى إثارة الاضطرابات، ضد سلطة الشريف سرور ابن مساعد، فى خضم تردى العلاقات بينهما. فحين التجأ إليها ابن أحد المعارضين لسلطة الشريف فى مدينة ينبع – والذى كان والده قد قتل فى المعركة التى خاضها ضده وزير الشريف وعسكره هناك – الأمر الذى حرض قبيلة حرب على مهاجمة الأخير وعسكره، ومن ثم إجباره على الانسحاب إلى جدة[4]. وحين أقدم أهل المدينة عام ١١٩٥هـ / ١٧٨٠م على طرد واليهم المعين من الشريف سار إليهم الأخير بعساكره وحاصرهم، ثم استولى على المدينة ونصب

(١) البلادى، نسب، ص ١٣٠ – ١٣١؛ السباعى، المصدر السابق، ص٨٨.

(٢) - GAURY; OP. CIT, P. 179.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر الجاسر، كشف، مجلة العرب، ج١١ و ١٢ س٢٠، الجماديان سنة ١٤٠٦هـ/ كانون الثانى – شباط ١٩٨٦م، ص ٧٦٨.

(٤) دحلان، خلاصة ص ٢١٩.

واليا عليها[١]. وأعقب ذلك أن طلب أمير مكة معاونة القبائل لدعم مجهوداته فى محاربة حرب، فجاءته أعداد كبرة، وخرج لقتال أعدائه بجيش قوامه (١٢) ألف مقاتل، من عتيبة (٦) آلاف و(٧٠٠) من الأشراف، ومن ثقيف وهذيل (٣) آلاف، ومن مراجعه نحو ألفى فرد، وبصحبته (٥٠٠ من الخيول ونحو (٧) آلاف جمل. وخلال ذلك امتنعت قبيلة هذيل عن المشاركة بالقتال وعادت أدراجها إلى مكة، فأدرك الشريف سرور بن مساعد، خطورة ذلك على معنويات مقاتليه، وعالج الموقف بسرعة، بأن تبعهم بقواته وفى منطقة موقدات أجهز عليهم، إلا أنه فضل العودة وعساكره إلى مكة، مؤجلا قتال حرب إلى وقت لاحق[٢].

من جانب آخر عرف شريف مكة بانتهاجه سياسة منظمة فى استحصاله الضرائب، والتى كانت تجبى سابقا بشكل اعتباطى، موفرا الحماية اللازمة لقوافل الحجيج الواردة لزيارة الحرمين الشريفين[٣]، الأمر الذى ضاعف موارده المالية، وأسهم فى انتعاش أحوال الحجاز، فقد وصف الرحالة المغربى ابن ناصر محمد بن عبد السلام الدرعى مكة، فى رحلته إليها عام ١١٩٦هـ / ١٧٨١م (بأنها ذات آبار كثيرة وحمامات وعين جارية) أصلح قنواتها المعطلة الشريف ذاته. كما تحدث عن المدينة المنورة التى وصلها عام ١١٩٨هـ / ١٧٨٣ م بالقول بأن فيها: (بنيان كثيرة من دور مشيدة وأزقة نظيفة متسعة فى داخلها سوق طويل)[٤].

(١) ياسين بن خير الله العمرى، "الدر المكنون فى المآثر الماضية من القرون" مخطوط مصور عن نسخة باريس فى مكتبة المجمع العلمى العراقى، تحت رقم (٧٣٩) القسم الثانى، الورقة ٦٣٢.
(٢) انظر، دحلان، خلاصة، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٣)- BURCKHARDT; TRAVELS, P. 224.

(٤) الجاسر، أشهر، ص ١٢٥ و١٥٣.

ظلت حرب تشكل مصدر تهديد لشريف مكة، وتزايدت خلافاتهما نتيجة لرغبة كل منهما تحقيق طموحاته السياسية. ففى عام ١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م ظفرت بالحاج المصرى بعد عودته من الحج، بسبب إقدام أمير الأخير على معاقبة بعض أفرادها وتعذيبهم. وقد آثار ذلك إستياء القبيلة خاصة بعد رفض الشريف دفع المخصصات السنوية الممنوحة لها[١]، وأخذ الشريف سرور بن مساعد يعد العدة لمحاربتهم مرة أخرى، ومما ساعده على ذلك نجاحه بإخماد الفتنة التى وقعت بين قبيلتى عتيبة وهذيل، مغدقا فى الوقت نفسه الأموال على جنوده، لتحفيزهم على قتال عدوه. وتشير الروايات إلى أنه كان ينثر الذهب بين المتطوعين، وأثمرت تلك السياسة فى إلحاق الهزيمة بحرب، ثم ارتحل إلى ينبع النخل التى بسط نفوذه عليها ودخل المدينة، ثم عاد إلى مكة بعد خروج الحجاج من المدينة عام ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م[٢].

أولى الشريف سرور بن مساعد الجانب العمرانى عنايته الخاصة، حيث أمر ببناء قلعة له فى أعلى جبل جياد، لتطل داره من سفح الجبل، وشيد لنفسه قصرا فى عرفات، كما أبدى اهتمامه ببعض المشاريع العمرانية، وإنشاء بعض الطرق بمكة[٣]، وعلى ذلك أشارت كثير من المصادر إلى نجاحه فى تدبير أمور الحجاز، إلا أنه توفى عام ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م، وأسندت الإمارة إلى أخيه من بعده عبد المعين بن مساعد، الذى حكم أياما وتنازل عن الحكم لشقيقه الشريف غالب بن مساعد[٤].

ومع أن الشريف غالب بن مساعد (١٢٠٢هـ - ١٧٨٧م / ١٢٢٨هـ -

(١) البلادى، نسب، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر العمرى "الدرر" الورقة ٦٣٧. انظر أيضا دحلان، خلاصة، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٣) السباعى، المصدر السابق، ص ٨٩ - ٩١. انظر أيضا دحلان، تاريخ ص ١١٢.

(٤) دحلان، تاريخ، ص ١٦٢.

١٨١٣م)، كان قد ورث الإمارة من أخيه الشريف عبد المعين بسهولة، فإنه قاتل بعض أقاربه الرافضين لإمارته، معتمدا على عساكره، متخذين من الطائف مركزا لنشاطهم. غير أن محاولتهم لدخول مكة باءت بالفشل عام ١٢٠٣هـ / ١٧٨٨م، وانتهى الصراع بين الجانبين بالمصالحة، بعد توسط قاضى الشرع ومفتى المذاهب الأربعة[١]، فتسنى له تكريس سلطته القوية داخل الحجاز، ممارسا تأثيره غير المباشر على قبائله[٢].

حاول يحيى بن سلتوح، أحمد معاونى الشريف السابق سرور بن مساعد، - الذى هرب من السجن الذى وضعه فيه الشريف غالب بن مساعد بسبب إثارته القلاقل ضده - إغراء الشريف عبد الله بن سرور بدعوى الشرافة رغم صغر سنه، حيث كان عمره إثنا عشر عاما، وقد تجمع حولهما قرابة الخمسمائة محارب، فتمكنوا بمساعدة قبيلة هذيل من احتلال الطائف. إلا أنهم ردوا على أعقابهم حين اقترابهم من مكة عام ١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م[٣]، وما لبث شريف مكة أن أصدر أمرا بالعفو عنهم، كما خصص لأولاد أخيه سرور وهما عبد الله ومحمد رواتب معينة[٤]. وفى عام ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م (أرسل سرية من جنده بقيادة ناصر بن مستور لإخماد الفتنة التى وقعت بين شيخ الحرم وأهل المدينة)[٥].

على أن انشغال شريف مكة بالأوضاع السياسية، لم يبعده عن الاهتمام

(١) انظر المؤلف نفسه، خلاصة، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢) - CRICHON; OP. CIT, P. 503.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر د. أحمد فؤاد متولى "ملامح من تاريخ الحجاز فى أوائل عهد الدولة السعودية الأولى" مجلة العرب، ع٤ س٦، شعبان ١٤١٠هـ / حزيران ١٩٨١م، ص ١١٦ - ١١٧.

(٤) جارشلى، المصدر السابق، ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٥) دحلان، خلاصة، ص ٢٦٣.

بالأمور الاقتصادية، فقد انتهج سياسة من شأنها الإكثار من موارده المالية، وذلك بزيادة الرسوم المستحصلة من تجارة مينائى جدة وينبع، إضافة إلى تشجيعه لتجارة البن، واهتماماته بزراعة البساتين حول مدينة الطائف[١].

شهدت فترة إمارته خوض شريف مكة صراعا سياسيا ضد الحركة الوهابية، وبخاصة بعد اتساع نفوذها غربا باتجاه الحجاز[٢]، سرعان ما تحول إلى نزاع عسكرى بينهما، امتد لأكثر من أربعة عشر عاما[٣]، انتهى بدخول الأخيرين مكة عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م[٤]، فى وقت حقق فيه الشريف اتصالات مع نابليون بونابرت، بعد احتلاله الأخير مصر عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م، للإبقاء على إمارته على الحجاز من جهة، وتحسبا من انتهاء نفوذ الدولة العثمانية وحلول فرنسا محلها من جهة أخرى[٥]، كما ساير فى الوقت نفسه المخططات البريطانية الرامية، إلى إعاقة المحاولات الفرنسية مد جسور التعاون مع الأمراء الهنود فى الشرق، وامتناعه بالتالى عام (١٢١٥هـ) / ١٨٠٠م، عن قبول أو تقديم أية مساعدة للفرنسيين[٦].

---

(١) - CRICHON; OP. CIT, P. 503

(٢) البطريق "الوهابية عقيدة ودولة" حولية كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، ع٤ يوليه (تموز) ١٩٦٤، ص ٥٨
ABIR, OP. CIT, P. 187.

(٣) أحمد مرسى، شريف مكة بين قوتين، مجلة الدارة، ع١ س٢، ربيع الأول ١٣٩٦هـ / آذار ١٩٧٦ م، ص ١٦٨.

(٤) - UZTUNA, YILMAZ; BUYUK TURKIYE TARIHI, ISTANBUL, 1978, P. 397.

جارشلى، المصدر السابق، ص ١٥٤.

(٥) صالح محمد صغير مقبل، "محمد بن على الشوكانى وجهوده التربوية" إشراف د. عبد اللطيف محمد بالطو، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٧٧ - ٨٠.

(٦) لمزيد من التفاصيل انظر د. صالح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسى فى الخليج العربى (١٧٩٨ — ١٨١٠) مطبعة العانى، بغداد، ١٩٧٩، ص ٨١ - ٨٢.

٢ - الأشراف والسلطة العثمانية:

أ. العلاقات الودية:

شهد مطلع النصف الثانى من القرن الثامن عشر، استمرار احتفاظ الحجاز بمكانته المتميزة لدى الدولة العثمانية، التى أوردت مصادرها أن السلطات محمود الأول أرسل عام ١١٦٧هـ / ١٨٥٣م، هدايا وأموال إلى الشريف مساعد بن سعيد، مما يشير إلى قوة الصلات بينها[١]. غير أن استانبول اضطرت وبسبب بعد الحجاز عنها وانشغالها بمشاكلها الداخلية وحروبها الخارجية، إلى تخفيف قبضتها المباشرة عليه، مما شكل عاملا مهما فى تزايد الثقل السياسى لولاتها فى مصر والشام المجاورين للمنطقة، وبخاصة النفوذ الشامى الذى تنامى خلال هذه الفترة واتضحت معامله السياسية، وأبرز مثال على ذلك نجاح وساطة أسعد باشا - والى الشام وأمير الحاج - بإقناع قبيلة حرب فى فك الحصار الذى فرضته على سكان المدينة عام ١١٦٩هـ / ١٧٥٥م، والوصول إلى صلح بينهما بعد أن وزع أموالا عليهم[٢].

إلا أن سياسة الأخير غير المتوازنة، لأنه دفع أموالا للقبائل القوية الساكنة على طريق الحجيج بين الشام والحجاز، من أجل عدم شنها غارات على قوافل زوار الأماكن المقدسة، فى حين فرض ضرائب على القبائل الصغيرة[٣]. وأدت هذه السياسة إلى أثارة الأخيرة، فقامت هى الأخرى بمهاجمة قافلة الحج الشامى فى أثناء عودتها عام ١١٧١هـ / ١٧٥٧م، بيد أن هذا الحادث أثار رد فعل سريع

(١) انظر أحمد واصف بن أبى البقاء الخربوطى "محاسن الآثار فى حقايق الأخبار" دار الطباعة العامرة، استانبول، [١٢١٩]، ص١١.

(٢) انظر العمرى "الدرر" الورقات ٦٠٢ - ٦٠٣. انظر أيضا جارشلى، المصدر السابق، ص ١٩٠.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر رافق، قافلة، ص ١٢ و١٧.

من استانبول، التى أصدرت أوامرها إلى عدد من الولاة ومشايخ العرب، تطلب منهم المساعدة على معاقبة تلك القبائل(١).

فى الوقت نفسه أولى العثمانيُّون الأشراف وافر اهتمامهم، وأشارت مصادر أوروبية عام (١١٧٦هـ) / ١٧٦٢م، إلى أن السلطان كان يحول مخصصات عالية إلى لأشراف والأشراف الرئيسين فى الحجاز، كونهم حماة للأسرة الحاكمة، فضلا عن إرساله سنويا عدة سفن كبيرة إلى جدة، وهى مزودة بالمؤونة، ليسد بها حاجة أهالى الحرمين الشريفين(٢).

من جانب آخر وطد عثمان باشا - أمير الحاج الشامى - صلاته بالشريف مساعد من سعيد عام ١١٧٨هـ / ١٧٦٤م، فى مواجهة منافسه حسين بك - أمير الحاج المصري(٣) -، الذى تزايد نفوذه بنجاحه الملحوظ فى إخماد الفتنة، التى وقعت بين أهل المدينة وبعض قبائل بنى على وسفر عام ١١٨٠هـ / ١٧٦٦م، بمباركة شريف مكة قاضيها(٤).

حظى الحرمان الشريفان من السلطة العثمانية المركزية باهتمام خاص، ففى عام ١١٨١هـ / ١٧٦٧م ورد فى توجيهات السلطان مصطفى الثالث (١١٧١ هـ / ١٧٥٧م - ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م) ضرورة توفير الحماية لطرق الحجيج من هجمات الأعراب(٥)، بينما أكدت أوامره عام ١١٨٢هـ (١٧٦٨م)، على أهمية توفير المياه اللازمة لزوار الأماكن المقدسة(٦).

---

(١) و. ع (و. أ. م. ت. أ) مج١ ع١، رقم البحث ٩٦٠، دفتر مهمة ١٦٠، الصفحة ٢٠٩، تاريخ الوثيقة أواخر رمضان ١١٧١هـ.

(٢) - NIEBOUHR; OP. CIT, VOL. 11. P. 26 - 27

(٣) حيدر أحمد الشهابى (من تاريخ الأمير حيدر) المسمى: كتاب نزهة الزمان فى تاريخ جبل لبنان، مطبعة السلام، مصر، ١٩٠٠، ص ٧٩.

(٤) الخربوطى، المصدر السابق، ص ٢٩١.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر محمد توفيق: عثمانلى تاريخى، اكنجى كتاب، استانبول (١٣٢٨) ص ٣١٠. انظر أيضا أيوب صبرى، المصدر السابق، جـ٤، ص ٧٤٧.

(٦) - IMAM ANSIKLOPEDISI - 8 - CIL T. UCUNCU BASILIS, DEVLET APLARI, MILLI EGITIM BASIMEVI, ISTANBUL, 1979, P. 708.

على أننا يجب أن لا نغفر أهمية قافلة الحج المصرى خلال هذه الفترة ودورها فى إدامة العلاقات التقليدية المتينة بين مصر والحجاز، وفى الوقت نفسه كانت الدولة العثمانية تحرص على تهيئة كل الإمكانيات المتوفرة، لحماية قوافل الحجيج على طول الطريق بين البلدين، وفى القاهرة ذاتها دأب أهالى مصر على إقامة احتفال مهيب فيها، بمناسبة خروج المحمل الشريف، الذى عليه كسوة الكعبة، فى طريقه إلى الحجاز[١].

عمد الشريف سرور بن مساعد (١١٨٥هـ / ١٧٧١م - ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧ م) بنيَّه إحكام سيطرته على مدن الحجاز وحواضره، إلى توثيق صلاته بمصطفى باشا - أمير الحاج الشامى - الذى اتخذ مواقف مؤيدة باتجاه تقوية سلطة الشريف. ففى عام ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م رفض طلب بعض الأشراف عزله عن الإمارة - بحجة أن لهم أموالا على عمه الشريف المعزول أحمد بن سعيد - مبررا ذلك بأن عملية العزل يجب أن تتم بموجب أمر سلطاني[٢]. وخلال ذلك تلقى أمير مكة دعما عسكريا مباشرا من إبراهيم باشا - أمير الحاج المصرى - مكنه من إلحاق الهزيمة بقوات عمه الشريف أحمد، ودفعها إلى طلب الأمان منه، فضلا عن امتناع مصطفى باشا عن تقديم العون اللازم، للتمرد الذى قاده عبد الله القعر فى الطائف ضد سلطة الشريف عام ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م، وطلبه بالتالى وساطة أمير الحاج المصرى للمصالحة مع أمير مكة[٣].

وعلى صعيد آخر عزز الشريف سرور بن مساعد صلاته بالسلطة العثمانية

(١) انظر كارستن نيبور، رحلة إلى بلاد العرب وما حولها ١٧٦١ - ١٧٦٧، جـ١، رحلة إلى مصر ١٧٦١ - ١٧٦٢، ترجمها عن الأصل الألمانى وعلق عليها وقدم لها د. مصطفى ماهر، ص ٢٣٦.

(٢) دحلان، خلاصة، ص ٢٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٨ و ٢١٠.

المركزية، فكان يعمد فى بعض الأوقات، إلى تحويل بعض وارداته إليها لاستمالة السلطان العثماني[1]، الذى أمره عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م (بعد مطالبة الحجاج الإيرانيين برسوم وضرائب غير منصوص عليها فى اتفاقية المصالحة بين الدولتين العثمانية والفارسية)[2].

أدى أمير مكة دورا بارزا فى إخباره الدولة العثمانية بالمعاهدة البريطانية – المصرية عام ١٧٧٥م[3]، التى أقضت مضاجع العثمانيين لأنها أجازت للبريطانيين تصدير المنتجات المصرية دون تحصيل ضرائب عليها، الأمر الذى أدى إلى أن تهجر السفن البريطانية ميناء جدة، وتتجه نحو السويس، وما يترتب على ذلك من انخفاض موارد العثمانيين المالية[4]. فرد السلطان على ذلك، كجزء من محاولاته إضعاف الحكام المماليك فى مصر، إلى منع انتقال السفن الأوروبية فى البحر الأحمر بين جدة والسويس متذرعا بحرصه على سلامة الحرمين الشريفين[5].

وعلى الرغم من انشغاله بالأمور السياسية، فإن شريف مكة لم يغفل أهمية توسيع تجارته مع مصر، التى تزداد فى موسم الحج، وقد وصف لنا الرحالة البريطانى بارسونز parsons) هذه الحالة عام (١١٨٨هـ) / ١٧٧٤م – (١١٨٩ هـ) / ١٧٧٥م، وتحدث عن كثرة السفن التى كانت تتردد بين الموانئ المصرية

(١) - CAPPER; OP. CIT, P. VII.

(٢) انظر و. ع [و. أ. م. ت. أ] مج١ ع١، رقم البحث ٧١٩، دفتر ١٧٣، الصفحة ٧٠٦، تاريخها: فى أوائل شعبان ١١٨٩هـ.

(٣) سأتحدث عن التوجه البريطانى نحو الحجاز فى الفصل القادم.

(٤) حراز، المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثمانى إلى الاحتلال البريطانى [١٥١٧ – ١٨٨٢] دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٩٧.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر أميل خورى، عادل إسماعيل، السياسة الدولية فى الشرق العربى من سنة ١٧٨٩ إلى سنة ١٩٥٨، جـ١، دار النشر السياسة والتاريخ، بيروت، ١٩٥٩، ص ٣٦.

والحجازية والمحملة بأنواع السلع[١]، لاسيما وأن بعض الحجاج كانوا تجارا يستأجرون سفنا كبيرة لنقلهم وبضائعهم سوية إلى جدة[٢]، فى وقت رسخت فيه سلطة الشريف. ومما يدل على ذلك موافقته على التماس أمير الحاج الشامى بالعفو عن بدوى بن عبد - شيخ قبيلة حرب - الذى كان قد أساء التصرف، أثناء نقاشه مع أمير الحج المصرى فى مجلس الشريف عام ١١٩١هـ / ١٧٧٧م[٣].

تطالعنا الوثائق العثمانية خلال الفترة الطويلة التى أمْضاها فى الإمارة، إلى استمرار الاتصالات بين استانبول ومكة، بمناسبة حلول موسم الحج، واستلام الصرر الهمايونية المرسلة لتوزيعها على مستحقيها من أهالى الحجاز[٤].

وخلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر، تجسد اهتمام الدولة العثمانية بالحجاز، فى إيعازها عام ١١٩٨هـ / ١٧٨٣م، إلى مصطفى بيك - أمير الحاج المصرى - بضرورة تسديد مستحقاته من الأقوات والذخائر المقررة لأهل المدينة، وكان موقف الشريف سرور بن مساعد حازما، فى حرصه على تنفيذ توجيهات استانبول الخاصة بحماية طرق الحجيج، ووقوفه بصلابة إزاء تعدى الأعراب على قافلة الحج المصرى عام ١١٩٩هـ /

(١) - PARSONS; OP. CIT, P. 284 – 285.

(٢) - CAPPER; OP. CIT, P. VI.

(٣) دحلان، خلاصة، ص ٢٣٤.

(٤) انظر على سبيل المثال و. ع [و. أ. م. ت. أ] مج١، ع٥، رقم البحث ٣٨١٤، دفتر نامة همايون ٩ ، الصفحة ١٠٠ - ١٠١، أوائل رجب ١١٩٤هـ، انظر أيضا رقم البحث ٣٨١٨، دفتر ٩، الصفحة ١١٢ - ١١٤، أوائل رجب ١١٩٥هـ انظر أيضا رقم البحث ٣٨٢١، دفتر ٩، الصفحة ١٢٧ - ١٢٩، أوائل رجب ١١٩٧هـ كذلك انظر رقم البحث ٣٨٢٦، دفتر ٩، الصفحة ١٧٩، أواخر ذى الحجة ١١٩٩هـ.

١٧٨٤م[١]. على أنه كان سباقا من ناحية أخرى فى إخبارها عام ١٢٠٠هـ / ١٧٨٥، فى تقصير أمير الحاج المصرى، بسبب عدم دفعه العوائد للأعراب وصرة المدينة، وأن أحمد باشا – أمير الحاج الشامى – هو الذى أنعم عليهم بأموال عوضا عن ذلك، فيما شهد عام ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م حضورا عثمانيا فى أروقة الحرمين تمثل فى تواجد أحمد أغا، ممثل السلطان العثمانى عبد الحميد الأول، لمتابعة إصلاح محراب المسجد النبوي[٢].

وفى تقييمنا لعلاقة الشريف سرور بن مساعد بالدولة العثمانية، يبدو لنا أنه نجح إلى حد كبير، فى إحكام قبضته على مناطق الحجاز، غير أن السلطة العثمانية لم تسمح له ولا لغيره من الأشراف أن يُعلن استقلاله، حتى ولو كان ذلك بطريقة غير مباشرة، لأنه يهدد مصالحها الحيوية بالصميم[٣]. واستمر الشريف سرور بسياسته هذه حتى وفاته عام ١٢٠٢هـ / ١٨٨٧م، ثم تولى الإمارة من بعده أخوة الشريف عبد المعين، الذى تنازل عنها بدوره لأخيه الشريف غالب ابن مساعد[٤].

تباينت مواقف الدولة العثمانية فى علاقاتها بالشريف غالب بن مساعد (١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م – ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م)، فقد تلقى الأخير دعما عسكريا مباشرا من أمير الحاج الشامى فى أثناء تصديه عام ١٢٠٣هـ / ١٧٨٨م للتمرد الذى قام به بعض أقاربه فى جبال هذيل، مما أسفر عن انتصاره

---

(١) نهب العربان قافلة التجار والحجاج المصرية القادمة من السويس عام ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م، وسلبوا متاع الحجاج وملابسهم، انظر محمود الشرقاوى، دراسات فى تاريخ الجبرتى: مصر فى القرن الثامن عشر، جـ١، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١٢٩. انظر أيضا جودت، تاريخ، جـ٣، ص ٢٩٣ - ٢٩٦.

(٢) أيوب صبرى، المصدر السابق، ايكنجى جلد، ص ٧٥٦.

(٣) الجميل، تكوين، ص ١٢٧.

(٤) دحلان، تاريخ، ص ١٦٢.

عليهم[1]. وخلال القتال الذى دار بين ذات الشريف وبين ابن أخيه الشريف عبد الله بن سرور داخل مكة عام ١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م، اكتفى العثمانيون بتقديم النصح للطرفين المتنازعين، وتأكيد سلامة أهالى مكة[2].

على أن سلاطين آل عثمان، ظلوا مواظبين على إدامة صلاتهم المنتظمة بأشرافه، وأيدت الوثائق العثمانية استمرار تبادل الرسائل بين السلطان العثمانى سليم الثالث (١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م – ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م) وبين شريف مكة، والتى تناولت استلام الصرر الهمايونية، وتوزيعها على أهالى الحرمين وسلامة الحجاج، وضمان عودتهم سالمين إلى أوطانهم[3]، فيما تزايدت العلاقات بين استانبول ومكة خلال السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر[4].

هذا وقد ظلت قافلتا الحج المصرية والشامية، تؤديان دورهما المعتاد فى تقوية صلات الحجاز بالقوى المجاورة له، ففى عام ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م تولى أحمد باشا الجزار – أمير الحاج الشامى – توفير مستلزمات سلامة قافلة الحج الشامي[5].

يبدو لنا من العرض السابق لطبيعة علاقة الشريف غالب بن مساعد بالدولة العثمانية، أن المصالح المتبادلة هى التى تحكمت فى صياغة علاقاتهما، فى خضم

---

(١) المؤلف نفسه، خلاصة، ص ٢٢٥.

(٢) جارشلى، المصدر السابق، ص ١٥٣.

(٣) انظر و. ع (و. أ. م. ت. أ) مج١ ع١، رقم البحث ٣٧٥٣، دفتر ٤، الصفحة ١٠ – ١١، أواخر ذى الحجة ١٢٠٣هـ. أنظر أيضا رقم البحث ٣٧٦٠، دفتر ٤، الصفحة ٥٤ – ٥٥، أواخر ذى الحجة ١٢٠٤هـ. انظر أيضا رقم البحث ٣٧٦١، دفتر ٤، الصفحة ٥٨ – ٥٩، أوائل رجب ١٢٠٥هـ.

(٤) المصدر نفسه، مج١ ع٥، رقم البحث ٣٨٤٤، دفتر ٩، الصفحة ٣١١، فى أوائل رجب ١٢٠٩ هـ. انظر أيضا رقم البحث ٣٨٤٩، دفتر ٩، الصفحة ٣٣٩ – ٣٤٠، أوائل رجب ١٢١١هـ.

(٥) - W. G. BROWNE; TRAVELS IN AFRICA EGYPT AND SYRIA FROM THE YEAR 1792 TO 1798, LONDON, 1799, P. 404.

أحداث محلية ودولية بالغة الأهمية، حرص خلالها أمير مكة، على مسايرة سياساتها والتكيف معها، فهو يعمل على تنفيذ مخططاتها، فضلا عن قيامه بدور الوسيط بينها وبين الحكام العرب والمسلحين بالمنطقة[١].

ب - العلاقات غير الودية:

على الرغم من انشغال الدولة العثمانية فى حروبها الأوربية وبخاصة مع روسيا[٢]، وازدياد حالة الاتصال فى ولاياتها من جهة أخرى، إلا أنها كانت تتدخل أحيانا، لعزل من تريد عزله من أشراف الحجاز، وتنصب آخر محله، خاصة عن طريق والى الشام وأمير الحاج، الذى كان ينتهز فرصة الإقامة القصيرة، التى يبقى فيها الحجاج فى مكة لإنجاز تلك المهمة[٣].

لعل من أبرز الأمثلة على ذلك قيام عبد الله باشا - أمير الحاج الشامى - حين قدومه مكة عام ١١٧٢هـ / ١٧٥٨م بعزل الشريف مساعد بن سعيد وتعيين أخيه الشريف جعفر بدلا عنه[٤] - متهما إياه بالتقصير - جراء إهماله فى تعمير

(١) لمزيد من التفاصيل انظر لطف الله بن أحمد جحاف "نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر" نشر وتحقيق د. سيد مصطفى سالم، مركز الدراسات اليمنية، ط٢، صنعاء، ١٩٨٩، ص ٦٨.

(٢) اندلعت الحرب الروسية العثمانية عام ١٧٦٨، بسبب تدخل الدولة العثمانية فى المشكلة البولندية، واستمرت ما بين (١٧٦٨ - ١٧٧٤) حصلت بنتيجتها قيصرة روسيا (كاترين الثانية) بموجب معاهدة كوجك - كينارجى عام ١٧٧٤ على شبه جزيرة القرم وميناء آزوف وحقوقا أخرى مهمة، لمزيد من التفاصيل انظر:

- ANDERSON, M.S; THE GRAT POWER AND THE NEAR EAST 1774 - 1923, LONDON, 1979, P. 9 - 14.

محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية، دار الجيل، بيروت، (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م)، ص ١٦٠ - ١٧٢

(٣) حراز، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر د. محمد عبد الرحمن بوح "الحجاز فى العصر العثمانى" دراسة لبعض مصادر وضعه الاقتصادى فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، المجلة التاريخية المغربية، ع ٣٩ - ٤٠، س ١٢، ديسمبر [كانون الأول] ١٩٨٥، ص ٤٧٦.

عين زبيدة للمياه، الأمر الذى سبب عطش الكثير من زوار الحرمين الشريفين[١]. وتزامن ذلك بعد فشل محاولة كشكش حسين – أمير الحاج المصرى – فى تنصيب الشريف مبارك بن محمد لإمارة مكة، بالقوة العسكرية عام ١١٧١ هـ / ١٧٥٧م، الأمر الذى دفع الدولة العثمانية، إلى تكليف أمير الحاج الشامى، الذى تمكن من تحقيق التغيير المطلوب[٢]. إذ عقد مجلسا حضره القاضى وأمراء الحجيج، انتقد فيه إهمال شريف مكة لواجباته الأساسية، وأبرز الأمر السلطانى الخاص، بتولية من يرى فيه الصلاح لإدارة مكة، لكن حالما عاد الأول إلى دمشق، أدرك الشريف المعزول أنه ما عادت هناك قوة تهدده، فعمل على إقناع أخيه الشريف جعفر بن سعيد، على التنازل له عن الإمارة عام ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م[٣].

ظل الصراع قائما بين طرفى السلطة فى الحجاز، وهما شريف مكة ووالى جدة، بحكم كون ميناء جدة كان يشكل مصدرا مهما لموارد الحجاز الاقتصادية[٤]. وأشار الرحالة الدانماركى نيبور niebouhr) الذى وصل جدة عام (١١٧٦هـ) / ١٧٦٢م إلى (عدم تمتع الوالى المذكور بسلطة مطلقة، وفى أحايين كثيرة يرفض الشريف إطاعة أوامره)[٥].

لم يقف آل بركات مكتوفى الأيدى إزاء تزايد نفوذ الشريف مساعد بن سعيد، فأقدموا على مبايعة الشريف عبد الله بن حسين أميرا على مكة عام ١١٨٢هـ /

---

(١) العمرى "الدرر" الورقات ٦٠٢ – ٦٠٣. انظر أيضا الخربوطى، المصدر السابق، ص ١٤١. انظر أيضا دحلان، خلاصة، ص ١٩٨.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر جارشلى، المصدر السابق، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٣) دحلان، خلاصة، ص ١٩٨.

(٤)- CHARLES DIDIER; SE JOUR CHEZ LE GRAND CHERIF DE LA MEKKA, PARIS, 1857, P. 147.

(٥) - NIEBOUHR; OP. CIT, VOL. 1, P. 234.

١٧٦٨م، غير أنهم فشلوا بدخول جدة، فتوجه زعيمهم إلى مصر، طالبا المساعدة من حاكمها المملوكى على بيك - الذى أعلن خروجه عن التبعية العثمانية - لتوليه الحكم، وأثمرت جهوده عندما أمر على بيك مملوكه محمد بيك أبو الذهب - أمير الحاج المصرى - لتحقيق ذلك، إلا أن الأخير لم يوفق فى مسعاه حين وروده مكة، الأمر الذى دفع أولئك المتحالفين على مهاجمة مكة، فتصدى لهم شريفها عام ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م[١]، مجبرا الشريف المهاجم على الهرب نحو مصر ثانية، وهناك نجح فى إقناع زعيمها، بتجهيز حملة عسكرية لإعادة السلطة إليه[٢].

بينما كانت الحملة المصرية[٣] بطريقها إلى الحجاز، توفى الشريف مساعد بن سعيد عام ١١٨٤هـ / ١٧٧٠م، بعد أن عقد البيعة لأخيه الشريف عبد الله بن سعيد، الذى دخل فى نزاع مع أخيه الشريف أحمد بن سعيد، وهكذا قدر أن تأتى الحملة لخلع الشريف مساعد فلم تجده، فتضطر إلى عزل الشريف أحمد بن سعيد، وتولى الشريف عبد الله بن حسين الإمارة[٤]. الأمر الذى شجع الشريف المعزول على إعادة تنظيم صفوفه وبخاصة بعد عودة العساكر المصرية إلى بلادها، وبعد أن تلقى دعما مباشرا من الدولة العثمانية، التى أوعزت إلى عثمان باشا - والى الشام وأمير الحاج - تأمره وجوب تقديم المساندة اللازمة للشريف أحمد بن سعيد[٥]. الذى خاض معركة قرب مكة عند (المنحناة) ضد الشريف

(١) دحلان، خلاصة، ص ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر محمود فهمى المدرس "البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر" جـ٤، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٣١٢، ص ١٦٨.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن الحملة المصرية انظر د. محمد ضياء الدين الريس "تاريخ المشرق العربى والخلافة العثمانية أثناء الدور الأخير للخلافة (١٧٧٤ - ١٩٢٤)، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٣٤.

(٤) رفعت رمضان، المصدر السابق، ص ١٣٩ - ١٤٢.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر دحلان، خلاصة، ص ٢٠٥. انظر أيضا جارشلى، المصدر السابق، ص ١٤٦.

عبد الله البركاتى وأتباعه، أسفرت عن هزيمة الأخيرين، ومبايعة الشريف أحمد للإمارة[1].

من جانب آخر نلحظ أنه على الرغم من انتهاج الشريف سرور بن مساعد، سياسة من شأنها تمتين صلاته المختلفة بالسلطة العثمانية المركزية وولاتها فى مصر والشام – كما أسلفنا – حفاظا على مصالحهما المشتركة، إلا أنه لم يتردد فى إفشال المحاولات الهادفة لنيل من شرافته. فقد وقف وبقوة ضد محاولة مراد بيك – أمير الحاج المصرى – عزله عن الإمارة، بعد انتهاء موسم الحج عام ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م، محققا نصرا قويا دعم مركزه لسياسى، إلى درجة أنه رفض وساطة محمد باشا – أمير الحاج الشامى – الرامية إلى العفو عن أهل المدينة، الذين وقفوا ضده عام ١١٩٤هـ / ١٧٨٠م[2].

على أن السلطة العثمانية المركزية من جهة أخرى، كانت تتابع أحوال الحرمين وتتدخل فى أوضاعهما. فحينما نشب النزاع العسكرى بين شريف مكة وأعراب المدينة عام ١١٩٧هـ / ١٧٨٢م، بعث السلطان عبد الحميد الثانى، ابن أمير الركب الشامى، ليتولى إدارة شؤون المدينة، وتخلى عنها أمير مكة، فنجح بذلك فى إخماد الفتنة بين الجانبين[3].

يبدو لنا من خلال منحى سياسات الشريف سرور بن مساعد الداخلية والخارجية، أنه حاول تحقيق قدر من الحكم الذاتى عن الدولة العثمانية، إلا أن الأخيرة كانت له بالمرصاد، إذ سارعت إلى قمع تجربته بهذا الخصوص، والتى

(١) الأنصارى، موسوعة، ص ٣١٩.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر دحلان، خلاصة، ص ٢١٦ – ٢١٩.

(٣) الجاسر: فى رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج مع ابن عبد السلام الدرعى فى رحلتيه، مجلة العرب، جـ٣ و٤ س١٠، رمضان وشوال ١٣٩٥هـ / تشرين ١ و٢، ١٩٧٥، ص ١٩٣.

حاول تحقيقها من خلال الألواح الفضية التى علقها فى مكة باسم (السلطان سرور)، إلى أن وافته المنية عام ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م[١].

إتّسمتْ فترة إمارة الشريف غالب بن مساعد على مكة، بحرصه على مد جسور التعاون مع الدولة العثمانية، بفعل تزايد الخطر الوهابى المتزامن مع اشتداد التنافس الأوربى على طريق البحر الأحمر، وموانئه المهمة المؤدية إلى الهند، فى وقت احتل فيه الفرنسيون مصر عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، وباتوا يهددون فيه الوجود العثمانى بالمنطقة، لكن شريف مكة كان فى قرارةِ نفسه، تواقا إلى أن يرى الحجاز أكثر بعدا عن السلطة العثمانية، لذلك نراه يعمد إلى الاحتفاظ بالمبالغ السنوية التى يرسلها إلى استانبول[٢].

(١) الجميل، تكوين، ص ١٢٧.

(٢) - ABIR; OP. CIT, P. 47 - 48

الفصل الخامس

علاقات الحجاز مع القوى العربية والأجنبية

١. علاقات الحجاز مع القوى العربية

أ. الحجاز ونجد

ب. الجاز والعراق

جـ. الحجاز واليمن

د. الحجاز والمغرب

٢. علاقات الحجاز مع القوى الأجنبية

أ. الحجاز وشركة الهند الشرقية الإنكليزية

ب. الحجاز والفرنسيين فى الشرق

جـ. الحجاز وفارس والشرق

١. علاقات الحجاز مع القوى العربية

أ. الحجاز ونجد

بدأ تدخل الأشراف فى أمور نجد منذ أواخر القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى، وذلك بوقوع عدة مناوشات فى المناطق المجاورة للحجاز لتأكيد تبعيتها لهم، واستمر ذلك حتى القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادي[١]. بيد أن هذا النشاط أخذ يضعف لا بسبب ضعفهم، ولكن لانشغالهم بالمنازعات الداخلية فيما بينهم على الإمارة، والتى كان لها أثر إيجابى على نشر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٢]، الذى تحالف مع محمد بن سعود أمير نجد، مما أعطى الحركة طابعا جديدا منذ حوالى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادي[٣].

---

(١) انظر الذكير "طوق الحمامة فى أخبار اليمامة" مخطوط فى دار صدام للمخطوطات، تحت رقم [٤٠٣٥٢]، الورقة ٨٤. انظر أيضا سعيد، المصدر السابق، ص٦٤.

(٢) ترجع الحركة الوهابية إلى مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١٦٥هـ / ١٧٠٣م - ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م) الذى نشر دعوته الجديدة فى نجد، والتى تنادى بالعودة إلى أصول الإسلام الأولى، وفى عام ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م اتفق مع أمير نجد محمد بن سعود على العمل سوية، بهدف تحقيق دولتهم المنشودة. انظر محمد كمال جمعة" انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية" مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (٧)، ط٢، الرياض، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٤١ - ٤٩.

(٣) الرحالة جوهان لوهان لودفيج بوركهاردت. مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة د. عبد الله الصالح العثيمين، شركة العبيكان للطباعة والنشر، ط١، الرياض، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م. ص٨ صغير مقبل، المصدر السابق، ص ٤٩.

يعد الشريف مسعود بن سعيد (١١٤٦هـ / ١٧٣٣م – ١١٦٥هـ / ١٧٥١م)، الذى عاصر محمد بن سعود (١١٦٤هـ / ١٧٥٠م – ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م) أمير نجد، أول أمراء مكة الذى تنازع مع الوهابيين، مشددا على منع دخولهم مكة لأداء فريضة الحج[١]. بيد أنه سمح لعلمائهم بالقدوم لمناظرة علماء مكة، إلا أن الأخيرين كتبوا عليهم حجة من قاضى الشرع تضمنت تكفيرهم، كما تم حبس عدد منهم، وفر آخرون إلى الدرعية عام ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م[٢].

ظلت مكة تناصب الدرعية العداء فى عهد خلفه الشريف مساعد بن سعيد، الذى منع هو الآخر أهالى نجد من القدوم إلى مكة عام ١١٧٤هـ / ١٧٦٠م[٣]. وشهد عام ١١٧٨هـ / ١٧٦٤م إرساله قوة عسكرية بقيادة شقيقه الشريف أحمد بن سعيد، تلبية لاستغاثة عريعر بن دجين – زعيم بنى خالد وحاكم الإحساء – (١١٦٦هـ / ١٧٥٢م – ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م)، لأجل دعم الأخير فى مواجهة تصاعد الغارات الوهابية عليه[٤].

تحسنت العلاقات الحجازية النجدية أيام الشريف أحمد بن سعيد، الذى كان يأمل فى كسب التأييد الوهابى له، فى نزاعه الطويل ضد خصمه الشريف عبد الله ابن حسين البركاتى، والذى نصبته العساكر المصرية شريفا على الحجاز بدل أميرها الشريف أحمد بن سعيد عام ١١٨٤هـ / ١٧٧٠م. بعد عودة تلك القوات إلى مصر، تمكن الشريف المعزول من العودة إلى الإمارة فى العام ذاته، لذا

(١) الشيخ خزعل، المصدر السابق، ص٣١٩.

(٢) أبو عليه، دراسة حول المخطوط التركى حجاز سياحتنا مهٔ سى، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٣، ص٢٩. انظر أيضا أرسلان، إمارة مكة المكرمة، مجلة المقتبس، مج٨ جـ٧، دمشق، ١٩١٤، ص٢٥٥.

(٣) الشيخ خزعل، المصدر السابق، ص ٣٢١.

(٤) و. ع (و. أ. م. ت. أ) مج١ ع١، رقم البحث ٨٧١، دفتر مهمة ١٦٤، الصفحة ٢٠٦، أواسط شوال ١١٧٨هـ. الشيخ خزعل، المصدر السابق، ص ٢٥٨ – ٢٥٩.

لم يعد بحاجة لدعم النجديين، واتبع سياسة أسلافه فى منع أهالى نجد من أداء فريضة الحج[١]. وحين جاء علماؤهم إلى مكة لمناظرة علماء الأخيرة عام ١١٨٥ هـ / ١٧٧١م بناء على رغبته، تناقشوا فى بعض الأمور الفقهية وانصرفوا مكرمين[٢].

ويظهر مما سبق أنه لم يعد باستطاعة الوهابيين، حتى عهد الشريف أحمد بن سعيد مهاجمة الحجاز، لأن الوضع السياسى فى نجد لم يكن قد استتب تماما للوهابيين من جهة، وكانوا يخشون عاقبة الاصطدام بأمراء مكة من جهة أخرى. وفى الحقيقة فإن الصراع بين الطرفين وإن اتخذ مظهرا دينيا، إلا أنه كان يحمل فى طياته طابعا سياسيا، يحول دون قيام التفاهم بينهما. فكلا الطرفين له أهدافه السياسية التى يسعى من ورائها تأكيد سيادته فى السيطرة على إقليمه، ومحاولة مد نفوذه إلى ما وراء ذلك[٣].

حينما آلت الإمارة إلى الشريف سرور بن مساعد عام ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م المعروف بأنه كان ميالا إلى العنف، فقد أمر بمنع الوهابيين من القدوم إلى الأماكن المقدسة[٤]. وفى عام ١١٩٧هـ / ١٧٨٢م أهدى عبد العزيز بن محمد بن سعود (١١٧٩هـ / ١٧٦٥م - ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م) - أمير نجد - الشريف

---

(١) محسن الأمين الحسينى العاملى "كشف الارتياب فى أتباع محمد بن عبد الوهاب" مطبعة ابن زيدون، ط١، دمشق، ١٣٤٦هـ، ص٧، عبد الرحيم، الدولة، ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٢) حسين بن غنام، تاريخ نجد المسمى " روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوى الإسلام" جـ٢، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، ط١، مصر، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م، ص ٨٠ - ٨١. ويذكر أن بن غنام هو مؤرخ نجدى يعبر عن وجهة نظر الحركة الوهابية، أنهى مؤلفه إلى حوادث عام ١٧٩٧م، وكتابه مهم لأن المؤلف كان معاصرا للأحداث، انظر أبو عليه، "دراسات فى تاريخ الجزيرة" ص٤٠.

(٣) انظر عبد الرحيم "الدولة" ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٤) دحلان، خلاصة، ص ٢٢٨.

سرور بن مساعد – أمير مكة – خيلا وإبلاً فوافق الأخير على قدوم ما يقرب من ثلاثين فردا من النجديين لحج مكة[1]. وحين التقاهم الشريف أخبرهم أنه لن يسمح لهم مستقبلا بالحج، إلا بعد أن يأخذ منهم – حسبما أورده دحلان – (فى كل سنة مثل ما أخذ من الأعاجم، وزيادة على ذلك مائة من الخيل الجياد، فعظم عليهم دفع ذلك)[2].

فى عام ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م توفى الشريف سرور بن مساعد، وحل محله فى إمارة مكة أخوه الشريف غالب، الذى أمضى العامين الأولين من إمارته فى التخلص من معارضيه وفى مقدمتهم ابن أخيه عبد الله بن سرور[3]، ومن ثم وجه أنظاره نحو الخطر الوهابى واتساع نفوذه وخاصة بعد المحاولات المتكررة التى بذلها عبد العزيز بن محمد – أمير نجد – لاستمالة القبائل الحجازية الجنوبية المكونة من البقوم فى تربة، وبنى سالم فى بيشة، وغامد فى زهران إلى جانبه، والتى كانت تشكل حينذاك قوة لا يستهان بها لشريف مكة فى مواجهة أعدائه المحليين[4].

على أننا يجب أن نتذكر أن هناك أسبابا متعددة كانت وراء إحجام أشراف الحجاز عن مهاجمة الوهابيين خلال الفترة المنصرمة، لعل أبرزها اعتقادهم بأن الأخيرين ما عادوا يشكلون خطرا عليهم، لاسيما وأن بنى خالد – حكام الأحساء – الذين حكموا هذه البلاد بعد خروج العثمانيين منها[5]، سيقومون

---

(١) بن غنام، المصدر السابق، ص ١١٩ – ١٢٠.

- ABIR; OP. CIT, P. 187.

(٢) دحلان، "الدرر السنية فى الرد على الوهابية" المطبعة العثمانية، [د. ت]، ص ٥٨ – ٥٩.

(٣) خليل مردم بك" أعيان القرن الثالث عشر فى الفكر والسياسة والاجتماع" لجنة التراث العربى، ط١، بيروت، ١٩٧١، ص ١٢٧.

(٤) بوركهاردت، المصدر السابق، ص ٨٠ – ٨١.

(٥) د. عبد الله الصالح العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، دار العلوم للطباعة والنشر، ط٢، الرياض ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص١١.

بهذه المهمة. واستمرارا لنهج اسلافه، بادر شريف مكة بالكتابة إلى أمير نجد عام ١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م، يسأله أن يرسل إليه أحد علماء الوهابية ليوضحوا دعوتهم، لكن علماء مكة رفضوا التباحث معهم(١)، فيما ظل الوهابيون يخشون الصدام المباشر مع الأشراف، مخافة أن يثير ذلك الرأى العام الإسلامى ضدهم، فى تلك الفترة المبكرة من تاريخهم الحديث(٢).

إلا أن الأمور تغيرت فيما بعد، نظرا لتزايد النفوذ الوهابى، الذى شمل نجدا بكاملها، بل إن منطقة الإحساء باتت قريبة الوقوع تحت سيطرتهم. لذا أدرك الشريف غالب بن مساعد أنه إن لم يتحرك عسكريا للحد من الخطر القادم، فإن القبائل التابعة له ستنضم إلى معسكر أعدائه، ومن هنا فإنه قام بأول حملة عسكرية ضد الوهابيين عام ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م، أوردها المؤرخ النجدى ابن بشر بقوله: "وفى هذه السنة أعنى الخامسة سارت العساكر والجموع من مكة، سيرهم شريفها غالب بن مساعد مع أخيه عبد العزيز الشريف إلى نجد لمحاربة أهلها وقتالهم"(٣).

لم تتمكن الغزوة الشريفية التى قادها شقيق أمير مكة الشريف عبد العزيز من احتلال قصر بسام، وهو من قرى نجد، وأجبرت على التراجع. وعلى أثرها أرسل شريف مكة حملة أخرى قادها بنفسه، وبصحبتها العساكر المنسحبة، غير أن تلك الجموع أخفقت أيضا وعادت أدراجها إلى مكة(٤).

---

(١) أمين الريحانى "تاريخ نجد الحديث" وملحقاته، دار ريحانى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٤، ص٦٧. انظر أيضا - PENTZ; OP. CIT, P. 58.

(٢) انظر الخليلى، المصدر السابق، ص ٢٠٧، عبد الرحيم، الدولة، ص ١٣٠ - ١٣١.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر عثمان بن عبد الله بن بشر "عنوان المجد فى تاريخ نجد" جـ١، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ [٢٧ – مطبوعات دارة الملك عبد العزيز] ط٢، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر الذكير "العقود الدرية فى تاريخ البلاد النجدية" مخطوط فى دار صدام للمخطوطات، تحت رقم (٤٠٣٥٣) الورقة ٣٥. انظر أيضا لمؤلف مجهول" كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب" دراسة وتحقيق وتعليق د. عبد الله الصالح العثيمين (٣٠) مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٩٧.

وكرد فعل على هجمات الأشراف، شن الوهابيون عدة غارات على قبائل مطير وشمر، لمساندتهما الشريف فى هجومه الأخير عليهم، وانزلوا الهزيمة بهما عند ماء العدوة[1]. وخلال ذلك فشلت محاولة مسلط بن مطلق الجربا – أحد أعوان أمير مكة – تجميع بعض القبائل حوله لمحاربة الوهابيين، حيث لقى مصرعه على أيديهم، فى إحدى الاشتباكات العسكرية عام ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م[2].

شهدت الفترة اللاحقة تحقيق الوهابيين مكاسب عسكرية أهمها، انتصارهم على بنى خالد – حكام الاحساء – عام ١٢٠٧هـ / ١٧٩٣م[3]، فضلا عن إفشالهم محاولة سليمان باشا – والى بغداد – (١١٩٤هـ / ١٧٨٠م – ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م) التقرب من الدرعية. وشكلت هذه التطورات عوامل مضافة زادت من إدراك الأشراف بأن بلادهم باتت مهددة أكثر من ذى قبل من تصاعد الخطر الوهابى، وعدم جدية العثمانيين فى إسنادهم[4]. وفى هذه الظروف، قام سعود بن عبد العزيز بإيعاز من والده – أمير نجد – بمهاجمة أطراف الحجاز عام ١٢٠٩هـ / ١٧٩٤م، وتمكن من حصار منطقة تربة، حتى صالحه أهلها[5]. وتمثل رد فعل شريف مكة على ذلك فى إرساله قوة عسكرية تولى قيادتها الشريف فهيد بن عبدالله بن سعيد حققت انتصارا على قوات هادى ابن قرملة – رئيس بوادى بنى

(١) صلاح الدين المختار "تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها" جـ١، منشورات دار مكتبة الحياة، ط١، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م، ص ٥٣.

(٢) انظر مؤلف مجهول، كتاب "لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب" تحقيق د. أحمد مصطفى أبو حاكمة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧، ص ٩٩.

(٣) د. جمال زكريا قاسم، موقف الكويت من التوسع السعودى فى نجد والإحساء، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مج١٧، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٤ – ٢٦.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر الويس موزل "تاريخ الدولة السعودية" مجلة العرب، جـ٣ و٤، س١١، رمضان – شوال ١٣١٦هـ / أيلول – تشرين الأول ١٩٧٦م، ص٢١٧.

(٥) الذكير، العقد، الورقة ٦٧.

قحطان – الموالية لنجد عام ١٢١٠هـ / ١٧٩٥م، بعد أن قتل قرابة الثلاثين فردا منها[١].

استمرت الحرب سجالا بين الجانبين المتحاربين. ففى عام ١٢١٠هـ / ١٧٩٥م بعث أمير مكة بقوات رأسها الشريف ناصر بن يحيى، واستطاعت هذه القوات الوصول إلى منطقة ماء الجمانية فى عالية نجد، إلا أنها أجبرت على التقهقر بفعل الهجمات المضادة، متكبدة خسائر كبيرة[٢]. وعلاوة على ذلك هاجم ربيع بن زيد – أمير وادى الدواسر – قبائل الشهوان الموالية لشريف الحجاز، فألحق هزيمة بها، بعد أن قتل منها نحو الخمسين رجلا واستولى على كثير من إبلهم وأنعامهم[٣].

شرع شريف مكة فى مهادنة أمير الدرعية، بعد أن أيقن عدم قدرته على مجابهة الوهابيين، الذين اتخذ نشاطهم طابعا مسلحا منذ عام ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م[٤]، وفقدانه الأمل بتلقى الدعم من جانب الدولة العثمانية، التى كانت تنظر للأحداث على أنه مجرد نزاع محلى بين مكة والد رعية، واقتصر موقفها على ترصين الجانب الفكرى لأهالى الحجاز والاهتمام بمدارسه، كأحد الوسائل المتاحة لمواجهة التوسع الوهابي[٥]، فى وقت أخذت فيه بعض قبائل الحجاز

(١) الجاسر، من تاريخ الدولة السعودية الأولى فى المؤلفات اليمنية، مجلة العرب، جـ٩ و١٠، س٢٦ ، الربيعان ١٤١٢هـ / أيلول – تشرين الأول ١٩٩١م، ص ١٣٧. الشيخ خزعل، المصدر السابق، ص ٣٣٦.

(٢) الرحيم، الدولة، ص ١٣٦.

(٣) الشيخ خزعل، المصدر السابق، ص ٣٦٧.

(٤) - BURCKHARDT; NOTES ON THE BEDOWINS AND WAHABYS, VOL. 11, LONDON 1831, REPRINTED IN NEW YORK, 1967, P. 183.

(٥) - ANSIKLOPEDISI, 10, ISTANBUL, 1980, P. 448.

جودت، وقائع، ص ٣٤٤.

التابعة لشريف مكة تنحاز إلى جانب أعدائه[١]. وعندئذ طلب الشريف من أمير الدرعية إرسال وفد من علماء نجد لمناظرة علماء الحرمين، وقد قابلهم أمير مكة ذاته وتم عقد عدة مناظرات[٢]. ومع ذلك عاود الطرفان المتنازعان فعالياتهم العسكرية، من ذلك أن بعث أمير مكة فى عام ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م حملة عسكرية تولى قيادتها الشريف مبارك بن محمد، تمكنت من أن تحرز نصرا على جماعة من أعدائه الوهابيين فى منطقة العلم[٣]. غير أن قوات الشريف أصيبت بهزيمة عسكرية فى العام نفسه، أثناء غزوة قواته لمعاقل خصومه عند قرية الخرمة فاضطر للعودة إلى مكة، بعد أن فقد الكثير من المال والرجال[٤]، وهذا ما جعله يميل إلى إجراء حوار مع الوهابيين بهدف استئناف الحج، إلا أن الأخيرين ظلوا يقومون بغارات متفرقة على مناطق الحجاز[٥].

تأزمت أوضاع الحجاز السياسية والاقتصادية عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م،

(١) فلاديمير بوريسوفيتش لوتسكى "تاريخ الأقطار العربية الحديث" ترجمة د. عفيفة البستانى، دار التقدم، موسكو، ١٩٧١، ص٩٩.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر بن غنام، المصدر السابق، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

(٣) من مصادر تاريخ الدولة السعودية، مجلة العرب، جـ١١ و١٢، س١٠، جماديان ١٣٩٦هـ / أيار - حزيران ١٩٧٦م، ص٨١٦. انظر أيضا إبراهيم بك حليم "التحفة الحليمية فى تاريخ الدولة العلية" مطبعة ديوان عموم الأوقاف، طـ١، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، ص ١٨٠.

(٤) انظر أبو الطيب صديق بن حسن بن على بن لطف الله الحسينى البخارى القنوجى [١٢٤٨ - ١٣٠٧هـ / ١٨٣٢ - ١٨٩٠م] "التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول" تصحيح وتعليق عبد الحكيم شرف الدين، المطبعة الهندية العربية، بمباى ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ص ٣٣٢ - ٣٣٣. انظر أيضا عبد الرحيم، الدولة، ص١٣٨.

(٥) كنث وليمز "ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز" تعريب كامل صموئيل مسيحه، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م، ص٣٦. انظر أيضا وبلى ويندر "العوامل التى ساعدت على توطيد الملك السعودى" نقله إلى العربية أنيس فريحه، مجلة الأبحاث، جـ٣، س١، دار الكتاب العربى، بيروت، أيلول، ١٩٤٨، ص٦.

جراء تعاظم النفوذ الوهابى، وقيام فرنسا باحتلال مصر، وانشغال شريف مكة وقتذاك فى إصلاح أسوار جدة، وإجرائه ترتيبات دفاعية – تنفيذا لفرمان سلطانى ورد إليه – لمواجهة احتمالات زحف الفرنسيين نحو الأماكن المقدسة – لذلك فضل أن يعقد صلحا مع عبد العزيز بن محمد – أمير الدرعية – لحين انفراج الوضع السياسي[1]، وتضمن الصلح المعقود بين شريف مكة وأمير نجد عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م، بنودًا أهمها: السماح لأهالى نجد بأداء فريضة الحج فى مكة، وتحديد تبعية القبائل المرابطة على الحدود بين الحجاز ونجد، وهو أمر أدى بالنتيجة إلى أن يصبح نفوذ الشريف قاصرا على المناطق التى حول مكة والمدينة والطائف، وما عداها من الأراضى الحجازية أصبحت خاضعة لسلطان نجد[2]. وتعزز الاتفاق فى قيام سعود بن عبد العزيز بحجته الأولى إلى مكة عام ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م[3]، إلا أن الحرب تجددت بين الجانبين، بعد قيام أمير نجد بتحريك قبائل الحجاز ضد الشريف، واسفرت عن احتلال الوهابيين مكة عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م[4].

ب. الحجاز والعراق:

أدت قافلة الحج العراقى إلى مكة دورا مهما فى قيام علاقات عراقية حجازية، فخلال القرن السابع عشر استمر تدفق الحجاج العراقيين إلى الحرمين

(١) بن بشر، المصدر السابق، ص٢٥٥.

(٢) جحاف، من تاريخ الدولة السعودية الأولى فى المؤلفات اليمنية، مجلة العرب، جـ١١ و ١٢، س ٢٦، الجماديان سنة ١٤١٢هـ / تشرين الثانى – كانون الأول ١٩٩١م، ص ٧٨٥. عبد الرحيم، الدولة، ص١٤٠.

(٣) الذكير، العقد، الورقة ٦٩.

(٤) جارشلى، المصدر السابق، ص ١٥٤.

الشريفين[١]، وحقق شريف مكة جراء ذلك فائدةً مالية، باستيفائه أحد عشر دينارا ذهبيا عن كل حاج خلال عام ١٠٧٣هـ / ١٦٦٢م[٢].

شهد مستهل القرن الثامن عشر تنامى الروابط بين البلدين، من ذلك توجيه جعفر الحسينى - أحد شخصيات الحجاز - فى عام ١١٢٧هـ / ١٧١٥م، دعوة إلى حسن باشا[٣] - والى بغداد - (١١٢٠هـ / ١٧٠٨م - ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م) يطلب منه أداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، إلا أنها لم تتحقق[٤]. واسهمت أسر عراقية ذات أصول حجازية - كانت قد نزحت من مواطنها فى مكة واستقرت فى العراق قبل العهد العثمانى - كآل السعدون - فى تمتين العلاقات بين البلدين[٥]، كما كان لأشراف العراق دور فى تقوية أواصر التعاون مع أشراف الحجاز وذلك من خلال وجود نقابتهم[٦].

على أن السلطة العثمانية المركزية لم تغفل اهتمامها بالحرمين الشريفين، حيث تولّى الوزير مصطفى باشا عام ١١٣١هـ / ١٧١٨م، تعمير طريق الحجيج

(١) انظر الرحالة الفرنسى تافرنيه "العراق فى القرن السابع عشر" نقله إلى العربية وعلق عليه بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٤، ص٨٢.

(٢) العياشى، مقتطفات، ص ٩١.

(٣) تمتع الولاة المماليك فى العراق باستقلالية عن الدولة العثمانية، لمزيد من التفاصيل انظر أنيس، الدولة، ص ١٥٣.

(٤) العزاوى "شماعة العنبر فى رجال القرن الثانى عشر" مخطوط فى دار صدام للمخطوطات، تحت رقم [٣٤٣٦٣]، الورقة ١٧.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر حنا بطاطو" العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الفكرية من العهد العثمانى حتى قيام الجمهورية" الكتاب الأول، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ط١، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٨٣ - ١٨٨.

(٦) لمزيد من التفاصيل انظر خليل على مراد "تاريخ العراق الإدارى والاقتصادى وفى العهد العثمانى الثانى، ١٠٤٨ - ١١٦٤هـ / ١٦٣٨ - ١٧٥٠م" رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، قسم التاريخ، كانون الأول ١٩٧٥، ص ١٢٧.

العراقى المؤدى إلى مكة، وتوفير السقاة ليسقون الحجاج الماء[1]. وخلال ذلك تم تبادل المراسلات بين ولاة بغداد وأشراف الحجاز، وأشارت المصادر الحجازية إلى قيام أحمد باشا[2] - والى بغداد - (١١٤٧هـ / ١٧٣٤م - ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م)، بإخبار الشريف مسعود بن سعيد عام ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م، بمقتل نادر شاه - حاكم فارس -، وتخلص الدولة العثمانية من خطر كبير كان يهددها، ويثير الفزع بين أهالى الحجاز[3]، كما تواصلت المكاتبات الرسمية بين حكام البلدين، حيث تبادل أحمد باشا رسائل أخرى مع الشريف مسعود بن سعيد المتوفى عام ١١٦٥هـ / ١٧٥١م، مما يشير إلى وجود تعاون بينهما[4].

على أننا يجب أن لا نغفل دور الجانب الشعبى فى تقوية الصلات بين الحجاز والعراق. فقد ذكر أن أحد العراقيين من أهالى الموصل، واسمه (محمد أمين باشا)، أوصى ولده قبل وفاته عام ١١٦٣هـ / ١٧٤٩م، بأن يكون ملكه (قرية قره قوش وما يقع داخل حدودها من أراضى ومزارع وآبار ومرعى وقفا لفقراء المدينة المنورة)[5].

وخلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر، أولت الدولة العثمانية أهالى الحجاز رعايتها الخاصة، فقد أشارت الوثائق العثمانية لعام ١١٧٦هـ / ١٧٦٢

(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين السويدى (١٧٢٢ - ١٨٠٥) "حديقة الزوراء فى سيرة الوزراء" جـ١، نشر بتحقيق د. صفاء خلوصى، مطبعة الزعيم، بغداد، ١٩٦٢، ص٦٢.

(٢) وهو ابن حسن باشا.

(٣) الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ٢، الورقات ٥٨٠ - ٥٨٣.

(٤) حسين بن على بن حسين بن فارس العشارى، ديوان العشارى، حققه وعلق عليه د. عماد عبد السلام رؤوف ووليد عبد الكريم الأعظمى، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٧٧، ص١٠.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر د. عماد عبد السلام رؤوف "الموصل فى العهد العثمانى" فترة الحكم المحلى ١١٣٩ - ١٢٤٩هـ، ١٧٢٦ - ١٨٣٤م مطبعة الآداب، النجف الأشرف ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ص ٥٢٣ و٥٢٨..

م، إلى عدم مطالبة على باشا – والى بغداد والبصرة – (١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م – ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م)، وبتوجيه من استانبول، لبعض القرى التابعة للبصرة بالخراج، لأن ما فيها من أراضى يصل إيرادها السنوى إلى فقراء المدينة المنورة[١]، كما أكدت الوثائق ذاتها لعام ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م، باستمرار وقف كثير من الأراضى فى بغداد والبصرة، وإرسال محصولاتها كل عام لفقراء المدينة[٢].

من جانب آخر حرص أشراف الحجاز على توثيق صلاتهم بشخصيات دينية[٣] ثقافية عراقية. إذ تلقى الشريف مساعد بن سعيد (١٧٥١ – ١٧٧٠) رسالة بهذا المعنى من الشاعر حسين بن على العشاري[٤]، مما يدل على أن وفودا من شرفاء مكة كانت تفد إلى الأخير، وكان يرد على أسئلتهم فيما يتعلق ببعض الأوضاع العامة، فضلا عن رسالة أخرى بعث بها العشارى إلى الشريف أحمد ابن سعيد عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠، مما يشير إلى تواصل العلاقات بينهما[٥].

وفى ضوء ذلك يتضح لنا وجود علاقات بين الحجاز والعراق، سواء على الصعيد الرسمى أم على الصعيد الشعبي. فعلى الصعيد الرسمى تواصلت المكاتبات بين أشراف مكة وبين ولاة العراق من المماليك، كما توثقت الصلات

(١) و.ع (و. أ. م. ت. أ) مج١، ع١، رقم البحث ٨٨١، دفتر مهمة ١٦٣، الصفحة ٥٥، فى رجب ١١٧٦هـ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول.

(٢) المصدر نفسه، رقم البحث ٨٦٦، دفتر مهمة، ١٦٤، الصفحة ١٤١ – ١٤٢، فى أواخر رجب ١١٧٨هـ.

(٣) ما يذكر فى هذا المجال أن أحد شيوخ الطريقة الصوفية فى الموصل، قد وفد إلى مكة حاجا عام ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٨م، واستعان به الشريف غالب بن مساعد، فى حرب معارضيه من أبناء عمه ففعل، وقد حقق الشريف نجاحا على خصومه، وعاد الشيخ إلى مدينة الموصل. انظر العمرى، غاية المرام فى تاريخ محاسن بغداد مدينة السلام "مطبعة دار البصريّ، بغداد، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ٣٤٩ – ٣٥٠.

(٤) سافر العشارى إلى مكة حاجا فتقوت صلته بالشرفاء أثناء تلك الرحلة.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر العشارى، المصدر السابق، ص ٢٨ – ٢٩.

على الصعيد الشعبى بين أشراف مكة وشخصيات ثقافية ودينية عراقية، هذا فضلا عن استمرار توارد الحجاج العراقيين إلى الحرمين الشريفين.

جـ - الحجاز واليمن:

ارتبط الحجاز واليمن بعلاقات طيبة، بحكم الصلات الأسرية التى تربط أشراف مكة وأئمة اليمن، كونهما ينتسبان إلى الرسول محمد (ﷺ). ومنذ القرن السابع عشر برز اهتمام ولاة اليمن العثمانيين وفى مقدمتهم محمد باشا (١٠٢٥هـ / ١٦١٦م - ١٠٣١هـ / ١٦٢١م) بقوافل الحجيج المتوجهة لزيارة الحرمين الشريفين، محاكاة منهم فى الغالب لاهتمام ولاة مصر بقافلة الحج ومحملها الشريف[١]. وما أن أطل القرن الثامن عشر حتى توطدت عرى الصداقة بين الجانبين. فقد بعث سليمان باشا - والى جدة العثمانى - عام ١١١٤هـ/ ١٧٠٢ م، بهدية مؤلفة من الخيول والأسلحة صحبة أخيه أحمد، إلى إمام اليمن - الإمام المهدى محمد بن أحمد بن القاسم بن محمد (١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥م - ١١٢٩هـ/ ١٧١٦م)، الذى بادله بأخرى مناسبة[٢].

فى الوقت نفسه عدت اليمن ملجأ لأشراف مكة الفارين من الحجاز، جراء احتدام الخلافات الأسرية فيما بينهم على الإمارة، من ذلك التجاء الشريف سعيد ابن سعد إلى اليمن، الذى كان قد عزل عن الإمارة بموجب أمر سلطانى، وحل محله الشريف عبد الكريم بن محمد عام ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م[٣]. ومن الطريف أن الرحالة الفرنسى لاروك LAROQUE) الذى زار ميناء مخا اليمنى خلال

---

(١) أميرة على المداح "العثمانيون والإمام القاسم بن محمد بن على في اليمن ١٠٠٦هـ ١٠٢٩هـ/ ١٥٩٨م ١٦٢٠م" جدة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٢٧..

(٢) محمد بن على الشوكانى "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع" جـ٢، دار المعرفة، ط١، بيروت (د. ت)، ص ٩٧ - ١٠١. انظر أيضا الجرافى اليمنى، المصدر السابق، ص ١٨٨.

(٣) دحلان، خلاصة، ص١٥٥.

الربع الأول من القرن الثامن عشر قد شاهد أحد أولئك الأشراف وحل ضيفا على إمام اليمن الملقب (بالإمام المهدى)[1].

وعلى الرغم مما اعترى علاقات الجوار بين البلدين من بعض التوتر أحيانا، إلا أن علاقاتهما ظلت طيبة. فحين ثارت العساكر اليمنية وزعيمها حسين العمرى عام ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م، على سلطة الشريف مسعود بن سعيد، رغبة منها فى الحصول على مخصصاتها المالية، فقد التجأت إلى منطقة اللحية اليمنية، غير أن العباس بن الحسين بن القاسم - إمام اليمن - (١١٦١هـ / ١٧٤٨م - ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م) عالج الموقف بحكمة، موعزا بإعادة تسليم ما أخذته تلك العساكر من مال الشريف، ووعد بإرسال المخالفين إلى مكة فى وقت لاحق[2].

توطدت العلاقات الحجازية اليمنية بحكم وقوع مينائى جدة وينبع بطريق السفن اليمنية المتجهة صوب مينائى السويس والقصير المصريين. فقد أكد المؤرخ الحجازى الموسوى العاملى، إرسال الشريف مسعود بن سعيد هدايا إلى العباس بن الحسين بن القاسم الملقب بالمهدى - إمام اليمن - عام ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م، دعما للعلاقات بينهما[3].

على أن توترا شاب علاقاتهما السياسية عام ١١٨٥هـ / ١٧٧١م، بسبب فرض الشريف أحمد بن سعيد رسوما على التجارة الواردة من اليمن، مما دفع بالإمام إلى منع تصدير البن إلى الحجاز، والذى يشكل العمود الفقرى لتجارة البلدين[4]. وترتب على ذلك أن قل المدخول المالى لشريف مكة، والذى سرعان

(١) - LAROQUE, OP. CIT, P. 110.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ٢، الورقة ٥٩٠.

(٣) الموسوى العاملى، المصدر السابق، الورقة ٥٩٦.

(٤) انظر نوركيل هانسن "من كوبنهاجن إلى صنعاء" ترجمة محمد أحمد الدرعى، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

ما عالج الموقف بسرعة، بأن أرسل مبعوثا منه إلى إمام اليمن، حيث نجح فى إقناع الأخير بالعدول عن قراره المذكور[١]. وخلال إمارة الشريف سرور بن مساعد، ذكر أحد الرحالة البريطانيين الذى وصل جدة عام (١١٨٨هـ) / ١٧٧٤م - (١١٨٩هـ) / ١٧٧٥م، إلى أنه (بعد أن يتم استهلاك القسم الأكبر من البن المستورد، فى المناطق التابعة لمكة، تنقل الكميات الأخرى بواسطة السفن إلى ميناء السويس، ثم تعود منه وهى محملة بالرز والمواد الأخرى، إضافة إلى توارد سفن أخرى إلى جدة وهى محملة بالبضائع القادمة من فينيسيا[٢].

إلا أن الشريف سرور بن مساعد كان حازما فى تصديه لمعارضيه وملاحقتهم، وحين أقدم على وضع عبد الله القعر فى سجن القنفذة، لإثارته القلاقل ضد الشريف، تمكن (فرحان) - أمير منطقة اللحية اليمنى - من إطلاق سراحه وعاد وإياه إلى اليمن. عندئذ تدخل أمير مكة بالأمر، وألح على العباس ابن الحسين بن القاسم - إمام اليمن - بضرورة رجوعه، وبذلك أعيد للسجن مرة أخرى عام ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م[٣]. وعندما جاءته الأخبار بتعرض قافلة الحج اليمنى عام ١١٩٦هـ / ١٧٨١م، إلى اعتداء من قبائل بنى تغلب وقشعم، آثار ذلك استياءه الشديد، حتى أمر بمنع أهالى اليمن من دخول مكة والتبضع من أسواقها[٤]. ومع ذلك استمر اليمنيُّون بالتوافد إلى الحجاز لزيارة الأماكن المقدسة، وتتحدث المصادر اليمنية عن قيام على بن أحمد بن إسحاق، وهو أحد المعارضين لحكم الإمام المنصور بالله على ابن العباس (١١٨٩هـ / ١٧٧٥م -

---

(١) دحلان، خلاصة، ص ٢٠٦.

(٢) - PARSONS; OP. CIT, P. 283 – 285.

(٣) دحلان، خلاصة، ص ٢١١.

(٤) الجاسر، من تاريخ الدولة فى المؤلفات، مجلة العرب، جـ٧ و٨، س٢٦، محرم - صفر سنة ١٤١٢ هـ / حزيران - آب سنة ١٩٩١م، ص ٤٤١ - ٤٤٦.

١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م) – بعد مصالحته للأخير – بالحج إلى مكة، والتقى هناك علماء الحجاز وغيرهم من كبار علماء المسلمين[١].

أدى الاحتلال الفرنسى لمصر عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م، إلى خلق حالة عدم استقرار فى الحجاز وسواحل البحر الأحمر، لجأ خلالها الشريف غالب بن مساعد – إدراكا منه لضعف الدولة العثمانية وعدم قدرتها على حماية بلاده – إلى تقوية اتصالاته مع إمام اليمن المنصور بالله، من خلال موافاته بأخبار الحملة الفرنسية ومقاومة المصريين لها، مذكرا إياه بضرورة اتخاذ إجراءات احترازية، لحماية بلاده من الخطر الفرنسى، وتضمن جواب الإمام فى طمأنته الشريف، بأنه قام بإجراء التحصينات الضرورية تحسبا من أى غزو أجنبى لبلاده[٢].

فى رسالته الثانية الموجهة إلى إمام اليمن، أخبر أمير مكة الأخير بطبيعة الانتصارات التى حققها المصريون على أعدائهم، طالبا منه ضرورة اهتمامه بالسفن الحجازية، وتقديمها على السفن الأخرى فى الموانئ اليمنية[٣]. وأبدى الإمام المنصور سروره بتلك الأخبار، مؤكدا رعايته الخاصة لسفن الشريف التجارية[٤].

فى الوقت نفسه بعث يوسف باشا – والى جدة – بخطاب إلى المنصور بالله – إمام اليمن – عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م، طالبا منه تقديم التسهيلات للسفن

(١) د. حسين عبد الله العمرى "مئة عام من تاريخ اليمن الحديث" [١١٦١ – ١٢٦٤هـ / ١٧٤٨ –١٨٤٨م]، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م، ص ١٠٧ – ١١١.

(٢) الشوكانى، البدر، ص ٨ و٢٢.

(٣) انظر الشوكانى "ذكريات الشوكانى" تحقيق د. صالح رمضان محمود، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣، ص ٤٥.

(٤) د. عبد العزيز بن قائد المسعودى "العروبة والإسلام فى فكر شيخ الإسلام محمد ابن على الشوكانى" (ندوة شيخ الإسلام المجتهد محمد بن على الشوكانى) صنعاء، ١٧ – ٢٠ فبراير (شباط)، ١٩٩٠، ص٧، الشوكانى، ذكريات، ص ٥٣ – ٥٤.

البريطانية والروسية، أثناء مرورها بالموانئ اليمنية، فى مواجهة الخطر الفرنسى لمصر والشام وسواحل البحر الأحمر[١]. ومن جانب آخر فإن شريف مكة كان قد حذر الإمام ذاته، فى الرسالة التى وجهها إليه عام ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م، من المخططات البريطانية الرامية إلى إقامة قلعة فى باب المندب عند مدخل البحر الأحمر[٢].

ومن تتبع دوافع التوجه الشريفى نحو اليمن إبان الاحتلال الفرنسى لمصر (١٢١٣هـ / ١٧٩٨م - ١٢١٦هـ / ١٨٠١م)، يتضح لنا أن شريف مكة - إدراكا منه لعدم تمكن الدولة العثمانية من توفير حمايتها اللازمة للحجاز - حاول إيجاد تحالف بين القوى المحلية الإسلامية لمواجهة الأخطار المتزايدة فى المنطقة، وكانت اليمن أولى القوى التى توجهت إليها أنظار أشراف الحجاز، وفضلا عن ذلك فقد عمد شريف مكة إلى ضمان استمرارية تجارته فى البحر الأحمر رغم اشتداد التنافس الأوروبى هناك[٣].

د - الحجاز والمغرب:

كانت هناك رحلات سنوية مستمرة، يقوم بها الحجاج المغاربة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج[٤]، ضمن قافلة الحج المصرى التى تضم أيضا حجاجا من تونس وطرابلس والجزائر[٥]. كان ذلك فى وقت أبدى فيه سلاطين المغرب،

(١) الشوكانى، ذكريات، ص ٦١.
(٢) الشوكانى، ذكريات، ص ٨٤ - ٨٥.
(٣) جحاف، نصوص، ص٦٩.
(٤) محمد بن الطيب القادرى ١١٢٤هـ / ١٧١٢م - ١١٨٧هـ / ١٧٧٢م، كتاب "النقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر" تحقيق هاشم العلوى القاسمى، منشورات دار الآفاق الحديثة، ط١، بيروت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص٨٥.
(٥) أبو القاسم الزيانى ١١٤٧ - ١٢٤٩هـ / ١٧٣٤ - ١٨٠٩م "الترجمانة الكبرى فى أخبار المعمورة برا وبحرا" حققه وعلق عليه عبد الكريم الغيلانى، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٦٧، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

الذين يرتبطون باشراف الحجاز بصلة وثيقة – بحكم انتسابهم إلى الإمام الحسن ابن على ابن أبى طالب (رضى الله عنه) وفاطمة بنت النبى محمد (ﷺ) – رغبتهم فى تقوية علاقاتهم بالأماكن المقدسة[١]. حتى إن السلطان إسماعيل بن المولى الشريف (١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م – ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م) الذى أوردت المصادر امتداد نفوذه إلى ما وراء نهر النيل[٢]، كان عنده بجنان حمرية مساحات واسعة من أشجار الزيتون أوقف وارادتها على الحرمين الشريفين حوالى عام ١١٢٩هـ / ١٧١٦م[٣].

شهد النصف الأول من القرن الثامن عشر، توجها ملحوظا من قبل سلاطين المغرب[٤] وأفراد أسرهم لأداء فريضة الحج فى الحجاز، إذ أوفد السلطان عبد الله بن إسماعيل (١١٤٢هـ / ١٧٢٩م – ١١٧١هـ / ١٧٥٧م)، زوجته خناثة بنت بكار وولده سيدى محمد ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م، إلى الحرمين الشريفين للحج وزيارة الأماكن المقدسة، كما بعث عام ١١٥٩هـ / ١٧٤٦م بهدية ثمينة مكونة من الذهب والأحجار الثمينة، وألف وسبعمائة حصاة من الياقوت المختلفة الألوان، إلى الحجرة النبوية الشريفة[٥]. وفى عام ١١٦٣هـ / ١٧٤٩م تلقى هدية

(١) انظر مردم بك، المصدر السابق، ص ١٨٩.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر محمد بن عبد الوهاب الغسانى "رحلة الوزير فى افتكاك الأسير" استخلصها من مخطوطات عدة وقدم لها وعلق عليها الأستاذ الفريد البستانى، مطابع الفنون المصورة، المغرب، ١٩٤٠، ص٩.

(٣) الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" جـ٧، تحقيق وتعليق ولديه جعفر ومحمد، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٦، ص ١٠٢.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن أبرز سلاطين المغرب خلال القرن (١٨) انظر عبد الرحمن بن زيدان، "الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة" المطبعة الاقتصادية، الرباط، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م، ص ٥٢ و٥٥.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر الزيانى "الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين من أولاد مولانا الشريف بن على" وهو منقول من كتاب "الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب" المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٨٤م / ١٣٠٣هـ، ص ٣٧ و٥١.

من مسعود بن سعيد – شريف مكة – حملها إليه الحجاج المغاربة العائدين من مكة، مما يشير إلى قوة الصلات بين الحجاز والمغرب[1].

ازدادت العلاقات الحجازية – المغربية قوة، فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، وتعاظم التوجه المغربى نحو الأماكن المقدسة، لدرجة أن سلطان المغرب محمد بن عبد الله (١١٧١هـ / ١٧٥٧م – ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م)، أرسل فى موسم الحج عام ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م (ابنته إلى الشريف سرور بن مساعد أمير مكة ليزوجها له، بصحبة أخويها على بن محمد وعبد السلام، مع أموال عظيمة أهداها له. كما أرسل جوائز ثمينة للعلماء والنقباء وأرباب الوظائف بالحرمين الشريفين، وأموالا لأشراف الحجاز واليمن) تبع ذلك إقامة احتفال بمناسبة إتمام عقد الزواج، وكل ذلك يدلل على علو مكانة أمير مكة فى تلك المرحلة التاريخية التى كانت فيها غالبية الأقطار العربية، ولايات تابعة للدولة العثمانية[2].

اتسعت أواصر الصداقة والتعاون بين أشراف الحجاز وسلاطين المغرب، فقد تلقى الشريف سرور بن مساعد، أموالا وهدايا من السلطان محمد بن عبد الله، حملها إليه ابنه عبد السلام الذى ترأس ركب الحج المغربى الوافد، للأماكن المقدسة عام ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م[3]، كما بعث ذات السلطان ولده أبا محمد

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد الرباط الملقب بالضعيف، تاريخ الضعيف الرباطى تاريخ الدولة العلوية السعيدة عن نشأتها إلى أواخر عهد مولاى سليمان [١٠٤٣هـ / ١٦٣٣م – ١٢٣٨هـ / ١٨١٢م]، جـ١، دراسة وتحقيق محمد البوزيدى الشيخى، دار الثقافة، طـ١، الدار البيضاء، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م. ص ٢٩١.

(٢) العقاد "المغرب فى بداية العصور الحديثة" معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٦٢ – ١٩٦٣، ص ١٣٣. انظر أيضا الناصرى، المصدر السابق، جـ٨، ص٣٤.

(٣) د. يونان لبيب رزق، محمد مزين، تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨١، ص ٣٢.

عبد السلام إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وأرفق بمعيته لأهالى الحرمين[١]، أموالا للعلماء والسادة الأشراف وخدمة البيت الحرام ولأهل المدينة عام ١١٩٧هـ / ١٧٨٢م[٢]، وفى عام ١١٩٩هـ / ١٧٨٤م، أرسل السلطان محمد بن عبد الله ثلاثمائة وخمسين ألف ريال، لأشراف مكة والمدينة وسائر الحجاز[٣].

وخلال العقد الأخير من القرن الثامن عشر، تقوت الصلات بين الحجاز والمغرب، فى عهد الشريف غالب بن مساعد، إذ وردت مكة عام ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م – أموال حملها معه الرحالة المغربى محمد بن عبد السلام بن عبد الله الناصرى – وهى مرسلة من سلطان المغرب سليمان بن محمد بن عبد الله (١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م – ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م)، جرى توزيعها على مستحقيها من أهالى مكة[٤].

وبذلك يتضح لنا عمق العلاقات الودية التى شدت سلاطين المغرب إلى أشراف الحجاز، وأصبحت بمرور الأيام وثيقة تعززها الوشائج الثقافية والدينية والتاريخية، بحكم صلة القرابة والمصاهرة التى تحكمت فى صياغة تلك العلاقات، وجعلتها متقدمة على مثيلاتها المحلية والإسلامية.

---

(١) عبد الرحمن بن زيدان "اتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس" أو "عبير الآس من روض تاريخ مكناس" أو "حسن الاقتباس من ذخائر الدولة العلوية وتاريخ مكناس" جـ٣، المطبعة الوطنية، طـ١، فاس، ١٣٤٩هـ / ١٩٣١م، ص ١٧٨.

(٢) دحلان، خلاصة، ص ٣٢٠ - ٣٢١.

(٣) الناصرى، الاستقصاء، جـ٨، ص ٥٧.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر محمد بن عبد السلام بن عبد الله الناصرى ت ١٢٣٩هـ - ١٨٢٣م، "الرحلة الناصرية" مخطوط مصور عن نسخة المكتبة الملكية فى الرباط، موجود فى مكتبة المجمع العلمى العراقى، تحت رقم (١٣٠٥)، الورقات ٦٤ - ٦٥.

٢ - **علاقات الحجاز مع القوى الأجنبية:**

أ - **الحجاز وشركة الهند الشرقية الإنكليزية:**

أولى الإنكليز البحر الأحمر أهمية خاصة منذ القرن السابع عشر الميلادى، بوصفه طريقا حيويا لسفنهم المتجهة إلى الهند[١]، إلا أنهم واجهوا مقاومة قوية من قبل الدولة العثمانية، التى رفضت السماح للسفن غير الإسلامية الإبحار شمال ميناء منا اليمنى، واستمر ذلك حتى نهاية القرن المذكور[٢].

بدأت شركة الهند الشرقية[٣] مع إطلالة القرن الثامن عشر، بمحاولات جادة فى استخدام طريق البحر الأحمر، لإيصال رسائلها إلى بلاد الهند[٤]، مما أدخلها فى حالة تنافس شديد مع فرنسا للسيطرة على مناطق العالم، وكان البحر الأحمر أحد ميادين المنافسة المهمة[٥]. ومما يدل على الوجود الإنكليزى فى منطقة البحر الأحمر، أن الرحالة الإنكليزى دانيال DANIEL) الذى وصل جدة عام ١٧٠٠ (لاحظ وجود عدة وكالات إنكليزية منتشرة فى مينائى ينبع وجدة)[٦].

واجه التغلغل الإنكليزى فى الأراضى الحجازية، معارضة من قبل الدولة العثمانية ففى عام ١٧٠٠ أوردت مصادر شركة الهند الشرقية الإنكليزية أن السلطات العثمانية فى جدة أجبرت ربابنة إحدى سفنها المحملة بالبضائع، على نقل وتحميل قرابة (١٠٠) فرد من عناصر الإنكشارية مع أمتعتهم على ظهر

(١) صالح العمرو "القناصل البريطانيون فى جدة" كمصدر لتاريخ غرب الجزيرة العربية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فى كتاب "مصادر"، ص ٢٢١.
(٢) الشناوى، قناة السويس والتيارات السياسية التى أحاطت بإنشائها، جـ١، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١، ص٢.
(٣) تأسست هذه الشركة عام ١٦٠٠.

(٤) - ABIR; OP. CIT, P. 189.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر أنيس وآخرون، المصدر السابق، ص ٩٥ - ٩٦.

(٦) - DANIEL, OP. CIT, P. 76.

السفينة، أثناء رسوها مضطرة فى ميناء جدة وهى فى طريقها إلى ينبع بفعل عاصفة قوية[١].

من جانب آخر شهد عام ١٧٢٤م تدهور العلاقة بين ممثلى الشركة البريطانية وبين شريف مكة (عبد الله بن سعيد)، نتيجة لسوء تصرفات البريطانيين مع السكان المحليين، إلا أن ذلك لم يقف حائلا دون مضى الحكومة البريطانية فى تنفيذ مخططاتها الرامية لإدامة مصالحها الحيوية هناك[٢]، وبخاصة بعد نجاح منافستها التقليدية فرنسا فى تجديد معاهدتها[٣] مع الدولة العثمانية عام ١٧٤١م، على نحو هدد البريطانيين الذين كانوا يخشون أن تستغل فرنسا الطريق الملاحى عبر البحر الأحمر، لتهديد مصالحهم المتنامية فى الهند[٤].

ساءت معاملة البريطانيين فى ميناء جدة بداية ستينات القرن الثامن عشر، بسبب رفض السلطات البريطانية فى الهند، الاستمرار بالتبرع السنوي[٥]، الذى اعتاد الحكام المغول[٦] إرساله إلى الحرمين الشريفين وكان يشكل موردا ماليا

(١) - DANIEL, OP. CIT, P. 76.

(٢) - ABIR; OP. CIT, P. 189.

(٣) وهى المعاهدة التى وقعت بين فرانسوا الأول ملك فرنسا، والسلطان العثمانى سليمان القانونى عام ١٥٣٦.

(٤) د. فاروق عثمان أباظة، "عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر" [١٨٣٩ – ١٩١٨]، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٦، ص ص ٧٣ - ٧٤.

(٥) قدر الرحالة نيبور NIEBOUHR) ما يمنحه سلطان المغول سنويا إلى شريف مكة بما يقارب الـ (٦٠) ألف روبية. انظر:

- NIEBOUHR, OP. CIT, VOL. 1, P. 31.

(٦) تأسست امبراطورية المغول عام ١٥٢٦م، وذلك على يد [بابرشاه]، ثم أصابها الضعف بعد وفاة [أورنك زيب] أبرز حكامها عام ١٧٠٧م، حتى استطاعت شركة الهند الشرقية فى عام ١٧٦٥، أن تحصل من السلطان [شاه عالم الثاني] على امتياز خاص، وهو إدارتها البلاد مقابل مبلغ خاص تقدمه الأخيرة له، وقد انقرضت هذه الدولة عام ١٨٥٧م. انظر إحسان حقى "باكستان ماضيها وحاضرها" دار النفائس، بيروت، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، ص ٩٧. انظر أيضا العزاوى" تاريخ العراق بين احتلالين، جـ٥، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م، ص ٦١ - ٦٢.

لكل من الدولة العثمانية وشريف مكة[١]، الأمر الذى اضطر معه الأخير إلى منع السفن البريطانية من مغادرة الميناء المذكور فى محاولة لتحقيق مطلبه، فضلا عن تقديمه شكوى إلى السلطان العثمانى، تولى الأخير بدوره نقلها إلى السفير البريطانى باستانبول لكن دون جدوى[٢].

رغم ذلك تواصلت المساعى البريطانية باتجاه تعزيز وجودها فى المنطقة، إذ أصبحت مدينة سورات الهندية مركزا مهما للتجارة، للتجارة البريطانية إلى مكة، ومناطق أخرى على البحر الأحمر. واشارت المصادر البريطانية إلى تصاعد وتأثر ذلك التعاون عام ١٧٥٩[٣].

وثقت شركة الهند الشرقية صلاتها بالحجاز، فى حصول سفنها أثناء رسوها أو مرورها فى ميناء جدة، على معاملة خاصة أكثر من رعايا السلطان العثمانى، ففى الوقت الذى كانت فيه الرسوم المفروضة على السفن تقدر بـ ١٠٪، كان البريطانيون يدفعون ٨٪، ويتوجب عليهم تسديد ذلك بواسطة البضائع، فى حين يجبر الآخرون على دفع الرسوم نقداً[٤]، ولعل مثل هذه المعاملة الخاصة للبريطانيين، تعود إلى أن سفنهم كانت تعد من أكثر السفن القادمة من الهند إلى جدة[٥].

أدت حرب السبع سنوات بين بريطانيا وفرنسا (١٧٥٦ – ١٧٦٣)، وما نتج عنها من إطلاق يد بريطانيا فى الهند، بموجب صلح باريس عام ١٧٦٣، إلى

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: - ABIR; OP. CIT, P. 189.

(٢) - NIEBOUHR; OP. CIT, VOL. 1, P. 31.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر:

- GROSE. C; A VOYAGE TO THE EAST INDIES, VOL. 11, LONDON, 1772, P. 321.

(٤) - NIEBOUHR; OP. CIT, VOL. 1, P. 235.

(٥) برج، المصدر السابق، ص ٤٧٥.

زيادة التوجهات البريطانية نحو منطقة البحر الأحمر وموانئه المهمة[1]. وفى الوقت نفسه أدى فرض السلطات البريطانية رسوما جمركية على السفن الحجازية العاملة هناك، إلى إثارة الشريف مساعد بن سعيد عام ١٧٦٦، الذى ناشد تلك السلطات عدم إلحاق الأذى بالتجار الحجازيين، وكان جواب حكومة لندن على ذلك الالتماس إيجابيا، إذ وجهت شركة الهند الشرقية بأوامر محددة تضمنت (عدم اعتراض تلك السفن، مؤكدة بأنها تنظر بعين التقدير والرضى لالتماس الشريف مقدرين مبادرته هذه)[2].

شهد عام ١٧٦٩، استقبال شريف مكة (مساعد بن سعيد) للرحالة البريطانى بروس (BROUCE)، الذى وصل الحجاز قادما من مصر، مما يؤشر تنامى العلاقات البريطانية الحجازية. وأكد الرحالة ذاته مشاهدته لعدة سفن كبيرة، على متنها بحارة بريطانيين راسية فى جدة[3].

أقدم على بيك – حاكم مصر المملوكى – بعد احتلال قواته الحجاز عام ١٧٧٠، على عقد اتفاقية مع الحكومة البريطانية، لضمان تسهيل وصول سفنها إلى ميناء جدة[4]. إلا أن الأخيرة ظلت متحفظة رغم ما تعرضت له حكومة البنغال من أزمة مالية عام ١٧٧٢، وحاجتها إلى تنشيط فروع تجارتها المختلفة[5] – باتجاه تطوير علاقاتها مع حاكم مصر، لأنها كانت تخشى استياء استانبول لمثل هذه الاتصالات، فتعرض المصالح البريطانية فى المنطقة إلى الخطر[6].

---

(١) المؤلف نفسه، ص ٤٧٩ – ٤٨٠.

(٢) - GAURY; OP. CIT, P. 171.

(٣) - BRUCE; OP. CIT, P. 219, 229.

(٤) الشناوى "الدولة" ص ٧٣١ – ٧٣٢.

(٥) أنيس "النشاط الأوربى بمصر وجيرانها أواخر القرن الثامن عشر الميلادى مصادره ووثائقه" المجلة التاريخية المصرية، مج٢، ع٢، تشرين الأول، ١٩٤٩، ص ١١٤.

(٦) ريد بولارد "بريطانيا والشرق الأوسط منذ أقدم العصور حتى عام ١٩٥٢" نقله إلى العربية حسن أحمد سلمان، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٦، ص ٢٧.

وفى عهد خلفه محمد بيك أبو الذهب، استطاع الرحالة البريطانى بروس BRUCE) أن يستصدر من الأول أمرا عام ١٧٧٣[١]، تضمن السماح لسفن الشركة الإبحار من جدة إلى السويس، نتيجة المعاملات التى مارسها شريف مكة وعماله فى ميناء جدة، إلا أن الدولة العثمانية ظلت تعارض ذلك إلى أن نجحت بإلغاء الأمر المذكور[٢].

شعر الشريف سرور بن مساعد بخطر تناقص موارده المالية، بسبب الإيعاز الذى أصدرته شركة الهند إلى سفنها المحملة ببضائع الشرق، بالتوجه إلى ميناء السويس مباشرة بدل رسوها فى ميناء جدة[٣]. وعندئذ ناشد شريف مكة السلطان العثمانى، أن يتدخل لمعالجة الموقف، فأصدر الأخير مرسوما سلطانيا[٤]، تضمن منع التجارة من جدة إلى السويس، بغية استبعاد القوى الأوربية من التقرب للأماكن المقدسة فى الحجاز من جهة، ومنعها من استخدام طريق البحر الأحمر المؤدى إلى الشرق من جهة أخرى[٥].

ومع ذلك قام البريطانيون بعدة فعاليات، هدفها الحيلولة دون نجاح القرار العثمانى، وتمكنوا فى أحايين كثيرة من الالتفاف عليه. وحسب ما ذكرته مصادر

---

(١) فى عام ١٧٧٣ تم انسحاب بريطانيا من أمريكا، أثر انتهاء حروب التحرير الأمريكية، بموجب معاهدة فرساى، الأمر الذى دفع الأولى إلى البحث عن طريق سهل وقريب للمواصلات بينها وبين الهند فى خضم تنافسها مع فرنسا للاستحواذ على القارة الهندية. انظر أباظة، المصدر السابق، ص ٧٤.

(٢) محمد أمين حسونة "الطريق البرى إلى الهند" مجلة الحديث، ع٩، س ١١، حلب، أيلول، ١٩٣٧، ص ٦٣١.

(٣) - CAPPER; OP. CIT, P. VII.

(٤) عن دوافع الإجراء العثمانى يمكن الرجوع إلى بولارد، المصدر السابق، ص ٢٦ – ٢٧.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر:

- THOMAS E. MARSTON; BRITAINS IMPERIAL ROLE IN THE RED SEA AREA 1800 – 1879 THE SHOE STRING PRESS U. S. A., 1961, P. 29.

بريطانية عام ١٧٧٣ – ١٧٧٥، فإن بعض السفن البريطانية كانت تتوجه مباشرة من الهند إلى ميناء السويس، فضلا عن تمكن أخرى فى كسر الطوق العثمانى المتضمن احتكار سفن جدة ومخا، نقل البن بين الميناءين الأخيرين(١).

على أن العلاقات البريطانية الحجازية تعرضت لأزمة خلال تلك الفترة، اضطر معها شريف مكة إلى مصادرة العديد من السفن البريطانية المتواجدة فى جدة، فأطلق ممثلو الشركة تهديدهم للشريف، بقصف جدة بالمدافع إن لم يطلق سفنهم وبضائعهم، فأجبر على التراجع وسلمها إليهم(٢). كما مارسوا ضغوطا عليه (إذ حذروه بأن لا ينتهج أى سياسة تلحق الأذى بالعلم البريطانى)(٣).

غير أن الأمور سرعان ما عادت إلى طبيعتها، إذ توثقت علاقة الشريف سرور ابن مساعد بالعاملين فى شركة الهند الشرقية، وأوردت مصادر بريطانية، أن أمير مكة وأثناء رسو السفن البريطانية فى ميناء جدة عام ١٧٧٧، صعد إلى سطح إحداها ووزع عطاياه على بحارتها، كما نجحت بعض السفن فى العام ذاته، بعبور جدة شمالا باتجاه السويس، بعد حصولها على إذن من السلطات العثمانية(٤).

تجدد الصراع العثمانى البريطانى أواخر سبعينيات القرن الثامن عشر فى خضم تنافسهما للهيمنة على سواحل البحر الأحمر ومدنه المؤدية إلى الهند. ففى عام ١٧٧٩ قبض فجأة على تاجر بريطانى فى القسطنطينية يدعى (وولى)، كان قد حضر بمهمة من الهند وعثر بين أوراقه على كتاب من الأميرال (هوكز) قائد

(١) - PARSONS; OP. CIT, P. 285.

(٢) - ABIR; OP. CIT, P. 189.

(٣) - EYLES IRWIN; SERIES OF ADVENTURES IN THE COURSE OF A VOYAGE UP THE RED - SEA IN THE YEAR 1777, VOL. 1, THIRD EDITION, PRINTED FOR J.DODSLEY, PALL MALL, LONDON, P. 24, 34.

(٤) - IRWIN; OP. CIT, P. 69, 78

القوات البريطانية هناك، موجه إلى كل من شريف مكة ووالى مصر، وفيه دعوة صريحة لإعطاء بريطانيا امتيازات خاصة فى البحر الأحمر ومصر[١]. وعندها أصدر السلطان عبد الحميد الأول (١٧٧٤ – ١٧٨٩) فرمانا (يمنع أية سفينة من سفن الإفرنج من الاقتراب من ميناء السويس باعتباره الطريق المؤدى للحج المقدس إلى مكة، لذلك لم يؤذن إلا للسفن العثمانية بنقل البريد من جدة إلى السويس) [٢]، كما تم ملاحقة بعض الناشطين البريطانيين لخشية العثمانيين من تدخل الأولين فى تجارة جدة[٣].

حصل تقارب أكبر فى عهد الشريف غالب بن مساعد (١٧٨٧ – ١٨١٣) مع شركة الهند الشرقية البريطانية، فقد عدته الأخيرة أفضل صديق لها[٤]، لأنه حرك نشاطاتها فى الهند، إذ أخذ ممثلو الشركة على عاتقهم جلب المواد اللازمة من الهند، لإدامة حوض بناء السفن فى جدة[٥].

فى عام ١٧٩٨ تعرضت المصالح البريطانية بالبحر الأحمر والهند لمخاطر جدية، جراء الاحتلال الفرنسى لمصر، الأمر الذى دفع سعيد حامد – والى جدة – لمناشدة اللفتنان كولونيل (جون موري[٦] MURRAY) قائد

(١) خورى وآخرون، المصدر السابق، ص ٣٩.

(٢) الشناوى، الدولة، ص ٧٣٣ - ٧٣٤.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر جاكلين بيرين "اكتشاف جزيرة العرب" نقله إلى العربية قدرى قلعجى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٦٣، ص ٧٧.

(٤) الخليلى، المصدر السابق، ص ٢٦٠.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر هاملتون جب، هارولد بوون "المجتمع الإسلامى والغرب" جـ٢، ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة د. أحمد عزت عبد الكريم، دار المعارف بمصر، ١٩٧١، ص ١٥٦.

(٦) يعد جون مورى أول من احتل جزيرة ميون اليمنية، وجاء فى مراسلاته التى بعث بها إلى قيادته فى الهند، على ضرورة التأثير على موقف شريف مكة بالأموال عن طريق تيبو سلطان [حاكم ميسور بالهند]. انظر مصطفى نبيل "باب المندب المضايق العربية التى تحكم العالم" [استطلاع]، مجلة العربى، ع ٢٦١، الكويت، آب، ١٩٨٠، ص ٧٠.

البحرية البريطانية بالبحر الأحمر عام ١٧٩٩، إرسال قوة بحرية لمنع احتمال تقدم القوات الفرنسية نحو الجنوب من الحجاز واليمن. وفضلا عن ذلك فإن شريف مكة كان قد عرض على السلطات البريطانية، استعداده للتعاون معها، مؤكدا للأخيرين بأن الفرنسيين يتولون جمع القوارب الحيوانات فى السويس للتهيؤ لعمل عسكرى لاحقا[١]. وتضمنت رسالة يوسف باشا أمير لمدينة وميناء جدة عام ١٨٠٠، الموجهة إلى المنصور بالله – أمام اليمن – على ضرورة لتعاون مع البريطانيين بقوله (فمن أتاكم من أصدقائنا الإنكليز أعطوهم ما يهوى من مطاعم الشهوات ومشارب الحلوى)[٢].

وهكذا أخذت علاقات شركة الهند الشرقية تميل نحو التعاون مع أشراف مكة، بعد حالة التعثر وعدم الاستقرار التى شهدتها تلك العلاقات طوال النصف الثانى من القرن الثامن عشر، ولا يخفى فإن وصول الفرنسيين إلى مصر ومنطقة البحر الأحمر، قد جعل حكام المنطقة مذهولين من هذا الخطر الجديد، فعملوا على التخلص منه.

ب - الحجاز والفرنسيين فى الشرق:

أبدى الفرنسيون اهتماما بمنطقة الحجاز والبحر الأحمر، لأهميتها بالوصول إلى الشرق منذ أواخر القرن السابع عشر[٣]، وتطور ذلك الاهتمام فى القرن الثامن عشر، إذ استخدم رسلهم طريق البحر الأحمر لنقل المراسلات الفرنسية[٤]،

---

(١) - GAURY; OP. CIT, PP. 182 - 183

(٢) الشوكانى، البدر، جـ٢، ص ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

(٣) وليد محمد جرادات، الأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضى والحاضر، نشر وتوزيع دار الثقافة، ط١، الدوحة، ١٩٨٦، ص ١١٢.

(٤) - ABIR; OP. CIT, P. 190

كما عقدوا معاهدة مع الإمام المهدى - إمام اليمن - عام ١٧٠٦، وذلك تحقيقا للمصالح الفرنسية فى المنطقة[١].

وخلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر، اشتد التنافس الفرنسى البريطانى السيطرة على البحر الأحمر وسواحله، بخاصة بعد أن حرمت الدولة العثمانية التجارة بين جدة والسويس عام ١٧٧٠، إلا أن البريطانيين حصلوا من العثمانيين على امتيازات مكنتهم من تجاوز ميناء جدة، وعندها شعر شريف مكة بأنه بحاجة إلى من يدعمه فى موقفه هذا بوجه البريطانيين، فعمل على كسب ود الفرنسيين[٢]. وفى الوقت نفسه واصل الفرنسيون جهودهم لمقاومة الامتيازات التى حصلت عليها بريطانيا[٣] فى مصر، بموجب معاهدة (وارن هاستنكس) عام ١٧٧٥[٤].

بعد وصول الحملة الفرنسية[٥] مصر عام ١٧٩٨، أولى قائدها نابليون بونابرت الحجاز اهتمامه الخاص، لاعتبارات سياسية ودينية واقتصادية معروفة[٦]، فيما أعلنت الدولة العثمانية من جانبها الحرب على فرنسا،

(١) لمزيد من التفاصيل انظر حسن صالح شهاب "أضواء على تاريخ اليمن البحرى" دار العودة، ط ٢، بيروت، ١٩٨١، ص ٢٦٦.

(٢) - CAPPER; OP. CIT, P. XIII.

(٣) استمر الصراع البريطانى الفرنسى حول مصر والبحر الأحمر حتى دخول القوات الفرنسية مصر عام ١٧٩٨. انظر محمد بديع شريف وآخرون "دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة" معهد الدراسات العربية العالية، (د. ت)، ص ٢٢٣.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن المعاهدة انظر خورى وآخرون، المصدر السابق، ص ٣٨.

(٥) يرجع المشروع الفرنسى الهادف إلى إنشاء إمبراطورية واسعة فى الشرق، إلى ما بعد حرب السبع سنوات [١٧٥٦ - ١٧٦٣] بين فرنسا وبريطانيا، ثم تعاظم بعد اندلاع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩؛ المسعودى، المصدر السابق، ص٨.

(٦) د. محمد زكريا عنانى "مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون ورجال حملته على الشرق" مجلة الدارة، ع٣، س٦، جماد ثانى، ١٤٠١هـ/ نيسان ١٩٨١م، ص ٧٤.

وأخذت تعد نفسها للدخول فى تحالفات مع القوى الأوربية المعادية للأخيرة[1].

أجرى نابليون اتصالات مع الأمراء العرب فى الجزيرة العربية والشام لتسهيل مهمته الرامية الوصول إلى الهند، وضرب الوجود البريطانى هناك[2]. إذ بعد شهر من دخوله القاهرة، وجه نابليون رسالتين إلى الشريف غالب بن مساعد، مؤرخة فى ربيع الأول ١٢١٣هـ / آب ١٧٩٨م، أعرب فيهما عن استعداده لتوفير الحماية اللازمة لقوافل الحج المتجهة إلى مكة، وبقاء الأوقاف المصرية المخصصة للحرمين الشريفين كما كانت فى السابق، فيما أعرب شريف مكة برسالة جوابية عن ترحيبه بالمبادرة الفرنسية[3].

تواصلت الاتصالات بين قائد الحملة الفرنسية وشريف الحجاز. ففى ١٨ ذى القعدة ١٢١٣هـ / أيار ١٧٩٩م، بعث أمير مكة رسالة إلى نابليون، شكره فيها لرفع الأخير العشور عن البن المرسل إلى مصر، ممهدا لذلك بإرساله طلب وهدية قبل وصول المراكب إلى السويس بنحو عشرين يوما[4]، مشيرا إلى أنه (أى الشريف) بعث إلى نابليون بسفن بقوله: (وشهلنا الآن إلى طرفكم خمسة مراكب مشحونة من نفس بندرنا جدة المعمرة فالمطلوب فى حال وصول كتابنا إليكم إرسال عسكر من لديكم إلى بندر السويس لأجل حفظ أموال الناس)[5].

طلب نابليون فى رسالته إلى الشريف غالب بن مساعد بتاريخ ٣٠ حزيران عام ١٧٩٩، إرسال المزيد من السفن المحملة ببضائع الشرق إلى مصر، فى وقت

(١) لمزيد من التفاصيل انظر جحاف، نصوص، ص ٥٨ - ٥٩.
(٢) جرادات، المصدر السابق، ص ١٢٥.
(٣) لمزيد من التفاصيل انظر عنانى، المصدر السابق، ص ٧٧ - ٨٠.
(٤) انظر غالب، المصدر السابق، ص ٨١.
(٥) انظر دحلان، الفتوحات، ص ٢٥٦. غالب، المصدر السابق، ص ٨١ - ٨٢.

أمر فيه الأول حاكم جزيرة موريشيوس الفرنسى، بتحويل (٩٤٠٠) فرنك إلى شريف مكة، دلالة على قوة الصلات بينهما(١). وجاء فى رسالته الثانية كما أوردتها المصادر الفرنسية قوله: (إنه قد اتخذ الإجراءات الضرورية لحماية السفن الحجازية بالموانئ المصرية) معربا عن استعداده تطوير علاقات الصداقة مع أمير مكة(٢).

استهدف نابليون من خطاباته تلك، إقناع الشريف غالب بن مساعد إغلاق موانئ الحجاز فى وجه الملاحة البريطانية، وواصل خلفاؤه انتهاج السياسة نفسها، حيث نجح الجنرال مينو - الذى خلف كليبير فى قيادة الحملة - بالحصول على إذن الشريف، بوصول البريد الفرنسى من الجزر الخاضعة لفرنسا فى المحيط الهندى، على الرغم من أن الأخير ظل على حذر من الفرنسيين ومخططاتهم، وواصل تدعيم تحصينات ميناء جدة تحسبا لأى خطر(٣).

ويظهر مما ذكرناه أن شريف مكة إدراكا منه لضعف الدولة العثمانية، وعجزها عن حماية ولاياتها، راح يتودَّد إلى نابليون حتى قيل إنه: (أهدى له سبع سواعى ونواخيذها "بحارتها" وشحنها من البن والملابس واستعطفه على بلاده واستأمنه على ماله ونفسه وأولاده) (٤)، إضافة إلى قناعته بحقيقة ضعفه الاقتصادى، فموارده الضئيلة لا تتحمل توقف نشاط الحجاز التجارى، خلال فترة النزاع البريطانى الفرنسى فى المنطقة(٥).

---

(١) غالب، المصدر السابق، ص ص ٨٧ - ٨٨.

(٢) - DESIRE LACROIX; BONAPARTE IN EGYPTE 1798 – 1799 PARIS, 1899, P. 250 – 251.

(٣) محمد فؤاد شكرى "الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر" دار الفكر العربى، القاهرة (د. ت)، ص ٢٥٦.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر المسعودى، المصدر السابق، ص ٧.

(٥) جحاف، نصوص، ص ٦٩.

أثار الاحتلال الفرنسى لمصر، ردود فعل عربية وإسلامية رسمية وشعبية، كان للعثمانيين فيها الدور الملحوظ فى تحذيرهم مشايخ العرب وأمرائهم من مخاطر ذلك الاحتلال وآثاره على الأمة الإسلامية(١)، الأمر الذى أدى إلى توقف إرسال المحمل الشريف والكسوة من مصر إلى الحجاز جراء ذلك(٢)، كما أعلن السلطان العثمانى سليم الثالث (١٧٨٩- - ١٨٠٧) الجهاد الدينى ضد الفرنسيين، واستجاب لدعوته العرب فى الحجاز واليمن وشمال إفريقيا(٣)، كما كان مراد بيك – حاكم مصر المملوكى – قد استنجد بأشراف مكة وعرب ينبع وجدة لمقاومة الفرنسيين(٤). فكان رد الفعل الشعبى لأهالى الحجاز عظيما، مقارنة بالموقف الرسمى، الذى هادن الفرنسيين خشية من خطرهم(٥).

لما وصلت إلى الحجاز أخبار دخول الفرنسيين مصر، قام أحد علماء المسلمين ممن يعدون من نزلاء مكة والمعروف بمحمد الجيلاني(٦)، يحث الناس على الجهاد، وأورد ذلك المؤرخ المصرى الجبرتى، عند ذكره لحوادث شهر شعبان ١٢١٣هـ ٨ كانون الثانى – ٥ شباط ١٧٩٩، بالقول:

---

(١) و. ع [و. أ. م. ت. أ] مج١، ع١، رقم البحث ٥١٧، دفتر ٢٠٧، الصفحة ٩٧، ١١ جمادى الآخرة ١٢١٣هـ.

(٢) - WILLIAM WITTMAN; TRAVELS IN TURKEY, ASIA – MINOR, SYRIA AND ACROSS THE DESERT INTO EGYPT DURING THE YEAR 1700, 1800 AND 1801, PRINTED FOR RICHARD PHILLIPS, NO. 61, ST. PAUL'S CHURCH YARD, BY T.GILLET, SALISBURY SQUARE, LONDON, 1803, PP. 382 – 383.

(٣) د. أحمد سعيد نوفل "العلاقات الفرنسية العربية من خلال موقف فرنسا من العناصر الأساسية للقضية الفلسطينية" شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ط١، الكويت، ١٩٨٤، ص ٢٨.

(٤) عبد الرحمن الرافعى "تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر" جـ١، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، ص ٣٧٦.

(٥) انظر شفيق شوكت العمروسى "المكيون فى مصر دور عرب الجزيرة فى مقاومة الحملة الفرنسية" مجلة الدارة، ع١، س ١٠، شوال ١٤٠٤هـ/ حزيران ١٩٨٤م، ص ٥٧.

(٦) اسمه محمد المغربى الجيلانى الهاشمي.

(ومنها تواتر الأخبار من ابتداء شهر رجب بأن رجلا مغربيا يقال له الشيخ الجيلانى كان مجاورا لمكة والمدينة والطائف فلما وردت أخبار الفرنسيين إلى الحجاز وأنهم ملكوا الديار المصرية انزعج أهل الحجاز لذلك وأن هذا الشيخ صار يعظ الناس ويدعوهم إلى الجهاد وقرأ بالحرم كتابا مؤلفا فى معنى ذلك واتعظ جملة من الناس وبذلوا أموالهم وأنفسهم واجتمع نحو الستمائة[١] من المجاهدين وركبوا البحر إلى القيصر مع ما انضم إليهم من أهل ينبع وخلافه فورد الخبر فى أواخره أن انضم إليهم جملة من أهل الصعيد وبعض أتراك ومغاربة وثبت الحجازيون[٢] ثم انكفأوا لقلتهم وذلك بناحية جرجا) [٣]. حتى قتل أكثرهم ورجع القليل منهم[٤].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تصاعدت المشاركة الحجازية بالقتال داخل الأراضى المصرية، وأثار ذلك المخاوف لدى السلطات الفرنسية، وأجبرتها على أن تعلن متعمدة (أن هؤلاء الأشراف المذكورين الذين صحبة الكيلانى (الجيلانى)، تمزّقوا كل ممزق وانهزموا وتفرقوا)، فى محاولة لإضعاف المقاومة المصرية[٥].

مهما يكن من أمر فإن مساهمة أهالى الحجاز فى مقاومة الحملة الفرنسية على

(١) تزايد عددهم حتى وصل إلى أربعة آلاف محارب بعد خروجهم من جدة، انظر العمروسى، المصدر السابق، ص ٦٠.

(٢) خاض الحجازيون عدة معارك فى صعيد مصر ضد القوات الفرنسية، أبرزها معركة تجمع البارود، دمروا بها بعض سفن الأسطول الفرنسي. انظر الشرقاوى، المصدر السابق، ص ٧٨ - ٧٩.

(٣) الجبرتى "عجائب" ص ٢٥٠. انظر أيضا دحلان "فتوحات" ص ٢٥٠ - ٢٥٦.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر الشيخ عبد الرزاق البيطار "حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر" جـ١، حققه ونسقه وعلق عليه محمد بهجت البيطار، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م، ص ١١٨.

(٥) الجبرتى، مظهر، ص ص ١٣٧ - ١٣٨.

مصر، قد اتسمت بالروح الدينية الصادقة، مقترنة بمشاعر الدفاع عن الأمة العربية والإسلامية[(١)]، وبرز تأثيرها واضحا فى إدامة زخم المقاومة المصرية، وألحق الخسائر بالفرنسيين، وعد ذلك أحد الأسباب التى برر بها نابليون انسحابه من أمام أسوار عكا المحاصرة، كما جاء فى خطابه المرسل إلى مركز القيادة بالقاهرة، والذى ذكر فيه خمسة عشر سببا لانسحابه، وأشار إلى قسم منها (السادس)، حيث جاء ما يخص الحجاز (بلغنا توجه أهل الحجاز صحبة الكيلانى إلى ناحية الصعيد)[(٢)].

جـ - الحجاز وفارس والشرق:

استأثر الحجاز بمكانة مرموقة لدى شعوب وحكام فارس. ففى عام (١١١٨ هـ) / ١٧٠٦م أرسل الشاه حسين الصفوى (١١٠٦هـ) / ١٦٩٤م – (١١٣٥ هـ) / ١٧٢٢م) هدية ثمينة مرصعة بالذهب والأحجار الكريمة إلى ضريح النبى محمد (ﷺ) فى المدينة[(٣)].

حاول المتصارعون على السلطة فى بلاد فارس فى الحقبة التاريخية تلك، استغلال العامل الدينى بغية تحقيق أهدافهم السياسية. إذ حصل الأمير الأفغانى (ميرويس) أثناء زيارته مكة حوالى عام (١١١٩هـ) / ١٧٠٧م، على تأييد علمائها لصالحه[(٤)]، بهدف الطعن بخصمه السياسى الشاه

(١) لمزيد من التفاصيل انظر د. عبد الله أبو داهش "موقف أدباء الجزيرة من الحملة الفرنسية على مصر" ١٢١٣ – ١٢١٦هـ / ١٧٩٨ – ١٨٠١م، مجلة العرب، جـ١١ و١٢، س٢٠، الجماديان سنة ١٤٠٦هـ / كانون الثانى – شباط ١٩٨٦، ص ٧٦٢.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر المسعودى، المصدر السابق، ص٤.

(٣) ينظر - GAURY; OP. CIT, PP. 161 – 162.

(٤) د. علاء موسى كاظم نورس "العراق فى العهد العثمانى" دراسة فى العلاقات السياسية ١٧٠٠ – ١٨٠٠، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ٧٧.

حسين، وإزاحته عن السلطة، غير أنه قتل أثناء خوضه معركة ضد قوات الأخير[١].

تعرضت بلاد فارس لغزو أفغاني[٢] عام (١١٣٥هـ) / ١٧٢٢م أنهى دور الأسرة الصفوية، وسرعان ما أظهر الأمير أشرف الأفغانى (١١٣٨هـ) / ١٧٢٥م – (١١٤٢هـ) – ١٧٢٩م) رغبة للاستيلاء على مكة والمدينة عام (١١٣٩هـ) / ١٧٢٦م، الأمر الذى دفع بالسلطان العثمانى أحمد الثالث (١١١٥هـ / ١٧٠٣م – ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م) للموافقة على طلب الصلح[٣]، الذى تقدم به الأول نتيجة تعرض الأخير لضغوط من قبل الشاه الصفوى طهماسب، وحليفه نادر قولى خان عام ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م، الذى تضمن تعهد العثمانيين بحماية الحجاج الفرس الذاهبين إلى الحرمين الشريفين[٤].

برزت شخصية نادر شاه كقائد عسكرى استعان به الشاه طهماسب الثانى، وابنه عباس الثالث، لتعزيز سيطرة الأخيرين على بلاد فارس[٥]، غير أن فشله فى

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر مظفر الدين "تاريخ إيران" مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٨١٨، ص ١٦٤ – ١٧٠.

(٢) تمكن الأفغان بقيادة أمير محمود عام ١١٣٥هـ / ١٧٢٢م من إلحاق الهزيمة بالجيش الصفوى، وتولى السلطة، إلا أنه قتل من ابن عمه [أشرف] عام ١١٣٨هـ / ١٧٢٥م. انظر جون تيمرت، "إيران حرب مع التاريخ" ترجمة حسين عبد الزهرة محمد، مركز الدراسات الإيرانية، جامعة البصرة، ١٩٩٢، ص ٩٧.

(٣) ينظر إداموف، المصدر السابق، ص ٩٨ – ٩٩.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر شاكر صابر الضابط "العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران" دار البصرى، بغداد، ١٩٦٦، ص ص ٤٠ – ٤١.

(٥) حقق نادر شاه نصرا عسكريا على الأمير الأفغانى أشرف عام ١٧٣٠، إلا أن اندحار الشاه طهماسب الثانى، أثناء خوضه معركة ضد العثمانيين بداية عام ١٧٣٢، واضطراره إلى توقيع معاهدة صلح مع الأخيرين، تنازل فيها عن أراض فارسية. فاعتبر نادر ذلك إذلالا لبلاده، لذا بادر إلى عزل طهماسب وتنصيب ابنه عباس الثالث محله، وكان طفلا رضيعا، وفرض نادر نفسه وصيا عليه. انظر. محمد وصفى أبو مغلى "إيران دراسة عامة" منشورات مركز دراسات الخليج العربى، جامعة البصرة، ١٩٨٤، ص ص ٢٦٣ – ٢٦٤.

احتلال العراق عام ١١٤٦هـ / ١٧٣٣م، رغم تعدد هجماته[١]، قد اضطره إلى طلب الصلح من استانبول، لاسيما وأنه تلقى أخبارا عن تفاقم الاضطرابات فى بلاده[٢]. وتتحدث المصادر العثمانية عن طلب تقدم به حاكم فارس إلى السلطان العثمانى محمود الأول (١١٤٣هـ / ١٧٣٠م – ١١٦٨هـ / ١٧٥٤م) مفاده السماح بتخصيص قافلة مستقلة لحجاج بلاده الذاهبين إلى بيت الله الحرام، يتولاها أمير منهم، إلا أن الجانب العثمانى رفض ذلك، وأكد وجوب أن يرد الزوار الفرس الحجاز ضمن قافلة الحج العراقى أو الشامي[٣].

انفرد نادر شاه بالسلطة (١١٤٩هـ / ١٧٣٦م – ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م) بعد وفاة الشاه عباس الثالث، وتمكن من خوض حرب أخرى ضد الدولة العثمانية، أسفرت عن عقد صلح القسطنطينية بينهما عام ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م، حصل بموجبه على حق المرور للحجاج الفرس إلى مكة بحرية عن طريق الحسا[٤]. وحاولت السلطات العثمانية أن تنفذ مثل هذا الشرط، بدليل أن بعض الوثائق العثمانية أكدت أن السلطان فى مراسلاته مع حاكم فارس أن يشير إلى حق الفرس بالقدوم إلى الحرمين الشريفين[٥].

شعر ناد شاه بتعاظم قوته التى امتدت على إمبراطورية مترامية الأطراف،

(١) لمزيد من التفاصيل انظر على شاكر "تاريخ العراق فى العهد العثمانى ١٦٣٨ – ١٧٥٠م" دراسة فى أحواله السياسية، منشورات مكتبة ٣٠ تموز، نينوى، ١٩٨٤، ص ١٩٠ – ٢٠٥.

(٢) نورس "الصراع العثمانى – الفارسى وأثره فى العراق حتى أواخر القرن الثانى عشر" فى كتاب "الحدود الشرقية للوطن العربى لمجموعة من الباحثين"، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١، ص ٥٨.

(٣) انظر عبد الرحمن شرف "تاريخ دولت عثمانية" جـ٢، استانبول، ١٣١٢، ص ١٦٦ – ١٦٧.

(٤) أداموف، المصدر السابق، ص ١٠٢.

(٥) و.ع (و. أ. م. ت. أ) مج١، ع٤، رقم البحث ٣٧٤٤، دفتر ٣، الصفحة ٣، تاريخ الوثيقة جمادى الآخرة ١١٤٩هـ.

الأمر الذى شجعه أن يطلب من الدولة العثمانية عام ١١٥٤هـ / ١٧٤١م الاعتراف بالمذهب الجعفرى، أو المذهب الخامس الذى أعلنه نادر إلى جانب المذاهب الإسلامية الأخرى، موافقة على تكسية الكعبة الشريفة من قبله، وتخصيص ركن فى مكة لصلاة أصحاب المذهب المذكور، إلا أن استانبول رفضت ذلك بشدة[١]. كما بعث نادر برسالة مع هدايا إلى شريف مكة (مسعود بن سعيد)، صحبة ممثله (السيد نصر الله) عام ١١٥٥هـ / ١٧٤٢م، أوْرد فيها ذات المطاليب[٢].

أدى فشل نادر شاه فى احتلال العراق عام ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م[٣]، إلى عقده صلحا مع أحمد باشا – والى بغداد – عام ١١٥٩هـ / ١٧٤٦م[٤]، تضمن بنودا، منها توفير الحماية للحجاج الفرس وتسهيل سفرهم إلى مكة، "ويعاملون كحجاج الروم"[٥]، وأعقب ذلك مبادرة حاكم فارس، بإخبار الشريف مسعود بن سعيد، بمضمون ذلك الاتفاق، فى محاولة منه لتوثيق صلاته بأشراف الحجاز[٦]، وجدد حاكم فارس مطلبه عام ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م، بأن تكون لبلاده قافلة حج خاصة بها، إلا أن السلطان العثمانى عدَّ ذلك انتقاصا لسلطته الدينية، ولإشرافه على الأماكن المقدسة[٧].

---

(١) انظر شاكر، المصدر السابق، ص ١٩٤ – ١٩٥.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر الحسينى العاملى "معادن الجواهر ونزهة الخواطر فى علوم الأوائل والأواخر" جـ٢، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٤٧، ص ١٨ – ١٩.
انظر أيضا البتانونى، المصدر السابق، ص ١٣٢ – ١٣٣.

(٣) كامل باشا، المصدر السابق، ص ١٦٠.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر رسول الكركولى "دوحة الوزراء فى تاريخ وقائع بغداد الزوراء" نقله عن التركية موسى كاظم نورس، دار الكاتب العربى، بيروت (د. ت)، ص ٧٠ – ٧٥.

(٥) العزاوى، تاريخ العراق، ص ٢٧٢ – ٢٧٣. انظر أيضا الضابطه المصدر السابق، ص ٤٧ – ٤٩.

(٦) الموسوى العاملى، المصدر السابق، جـ، الورقة ٥٦٦.

(٧) الشناوى، الدولة، ص ٨٢٣.

وعلى ذلك لم يتمكن حاكم فارس من تحقيق طموحاته السياسية تجاه الأماكن المقدسة فى الحجاز، وفشلت مخططاته الرامية إلى فرض سيطرته على طرق الحجيج المؤدية إلى مكة، رغم محاولاته السياسية والعسكرية، حتى كان مقتله عام (١١٦٠هـ) / ١٧٤٧م، فتخلص الحجاز من شروره وأطماعه[١].

شهد النصف الثانى من القرن الثامن عشر، استمرار توافد الحجاج الفرس إلى الحرمين الشريفين، فى وقت ظلت فيه بلاد فارس تعانى كالسابق، من تناحر سياسى بين الجماعات المتصارعة على السلطة[٢]، وأوردت المصادر أن الشريف غالب بن مساعد عمد إلى (زيادة الضرائب على الحجاج الأعاجم) حوالي عام (١١٨٨هـ) / ١٧٧٤م[٣]، على الرغم من أن الوثائق العثمانية لعام ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م، أشارت من جانبها إلى أن استانبول، كانت قد أوعزت إلى شريف مكة وولاة آخرين، بعدم أخذ ضريبة غير قانونية، كضريبة المكث من الحجاج الفرس[٤].

تعرض الحجاج الفرس الذاهبون إلى مكة، منذ بداية العقد الأخير من القرن الثامن عشر، إلى تهديد أتباع الحركة الوهابية. ففى عام ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م أقدم الوهابيون على منع قافلة الحج القادمة من فارس، التى تمر بنجد، من

(١) الجميل، حصار الموصل الصراع الإقليمي واندحار نادر شاه صفحة لامعة فى تكوين العراق الحديث، بيت الموصل، ١٩٩٠، ص ٢١٢.

(٢) استولى كريم خان المشهور بالزند، على السلطة منذ عام ١٧٥٠، حتى وفاته عام ١٧٧٩، واضطربت أوضاع البلاد فى عهد خلفائه، الأمر الذى استغله الزعيم القاجارى أغا محمد خان، فتمكن من القضاء على الزنديين، ليبدأ منذ عام ١٧٩٦، عهد جديد من تاريخ إيران يعرف بالعهد القاجاري. انظر د. كمال مظهر أحمد "دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر" مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٣٣.

(٣) - CRICHON; OP. CIT, P. 503.

(٤) و. ع (و. أ. م. ت. أ) مج١، ع١، رقم البحث ٦١٧، دفتر ١٨٥، الصفحة ١٣١، رقم الوثيقة ١٥٧، تاريخها فى أواسط جمادى الآخرة ١٢٠٢هـ.

الوصول إلى الحجاز، مما أثار استياء حكام فارس الذين لم يتمكنوا مع ذلك، من اتخاذ أي إجراء فعال حيال ما أقدم عليه الوهابيون[١].

وهكذا يلاحظ أن حكام فارس حاولوا دوما التقرب من أشراف مكة، لإبراز دورهم السياسى فى العالم الإسلامى، فى مواجهة خصومهم التقليديين سلاطين آل عثمان، نظرا لما تمتع به الحجاز من مكانة دينية، إلا أن العثمانيين أحبطوا المحاولات الفارسية كافة، للحصول على امتيازات دينية وسياسية بالأماكن المقدسة.

أما علاقات الحجاز بالشرق وبالذات الهند، فتمثلت فى توافد الحجاج الهنود إلى مكة، برا عن طريق فارس والعراق، أو بحرا عن طريق السفن الشراعية التى تقلهم من ميناء سورات، لأداء فريضة الحج فى الأماكن المقدسة، فضلا عن قيامهم بالتبادل التجارى مع بلاد الحجاز[٢]. وأثناء وجود الرحالة الإنكليزى بيتس PITTS)، فى مكة عام (١٠٩٧هـ / ١٦٨٥م - ١٠٩٨هـ / ١٦٨٦م)، تحدث عن مشاهدته إقامة سوق كبير بالمدينة، كانت تباع فيه منتجات وبضائع أكثرها مستوردة من مناطق الهند الشرقية، إضافة إلى بعض السلع الصينية[٣].

وفى مطلع القرن الثامن عشر، أكّد أحد الرحالة الأوروبيين الذى قدم إلى جدة عام (١١١٢هـ) / ١٧٠٠م، على كثرة توافد التجار والحجاج من بلاد الهند إلى مكة[٤]، بينما استأثر الحرمان الشريفان باهتمام المسلمين الهنود. وللدلالة على مثل هذا الاهتمام أن الأخيرين كما أورده دحلان - قد بعثوا صدقة قدرها (خمسة

---

(١) انظر أبو عليه، دراسة حول المخطوط، ص ٤٧.

(٢) السباعى، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٣) - PITTS, OP. CIT, P. 38.

(٤) - PONCET, OP. CIT, P. 158.

لكوك[١] روبية) إلى سكان مكة والمدينة عام ١١٢٣هـ / ١٧١٦م، وكان هذا المبلغ مبعث ارتياح الشريف عبد الكريم بن محمد وأهالى الحجاز[٢].

اتسعت الصلات الحجازية الهندية خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر، فقد ذكر "كروس GROSE" فى عام (١١٧٣هـ) / ١٧٥٩م الآتى:

"كانت الموانئ الحجازية تستقبل كل سنة سفينتين كانتا تبحران من سورات بالحجاج إلى مكة ولكنها فى الغالب محملة بالبضائع لحساب المغول وأثناء عودة الحجاج إلى أوطانهم يحصلون على مبالغ طائلة"[٣].

فى بداية عقد ستينات القرن الثامن عشر، تنبأ الرحالة الدانماركى: "نيبور NIEBOUHR" الذى زار جدة عام (١١٧٦هـ) / ١٧٦٢م، بأن ميناء الأخيرة سيكون مركزا مهما للتجارة الهندية[٤]. وفى هذا العام أيضا أكدت المصادر العثمانية، تلقى السلطان رسالة من أحمد شاه، أحد زعماء الأفغان فى قندهار، طالبا فيها تخصيص قطعة أرض له فى المدينة المنورة، لبناء مسجد فيها[٥]، وكان جواب السلطان العثمانى على ذلك، رفض إقامة أى مسجد بجوار المسجد النبوى الشريف، معربا عن ترحيبه (إرسال السلاطين عطاياهم وصررهم لتوزيعها على فقراء الحرمين)[٦].

---

(١) لكوك: جمع لك وهى كلمة هندية كانت تساوى مائة ألف من العدد. انظر العزاوى "تاريخ النقود" ص ٤٠.

(٢) انظر دحلان، خلاصة، ص ١٦٦.

(٣) - GROSE, OP. CIT, P. 321.

(٤) - NIEBOUHR, OP. CIT, VOL. 1, P. 398

(٥) و. ع (و. أ. م. ت. أ) مج١، ع٤، رقم البحث ٣٧٥١، دفتر ٣، الصفحة ٨٦ – ٨٩، تاريخ الوثيقة غير مؤرخة.

(٦) المصدر نفسه، رقم البحث ٣٧٥٢، دفتر ٣، الصفحة ٨٩ – ٩١، تاريخ الوثيقة أواس جمادى الآخرة ١١٧٦هـ.

تطورت العلاقات الحجازية الهندية، من ذلك قيام السفن البنغالية بنقل الرز (البنغالى) إلى ميناء جدة على البحر الأحمر[١]، كما استمر توارد الأموال التى كان يرسلها أهالى الهند إلى مكة والمدينة تقديرا لمكانتيهما الدينية المقدسة. إذ شهد عام ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م وصول صدقة لأهالى مكة من بلاد الهند، وقدرها أربعة وعشرون ألف مشخص[٢]، وصدقة أخرى من محمد على خان (أحد الشخصيات الهندية) وزعت على مستحقيها من الفقراء[٣].

شهد أواخر القرن الثامن عشر، ازدياد التبادل التجارى بين الحجاز وبلاد الشرق، حيث قدر عدد السفن الماليزية والعربية التى ترد إلى ميناء جدة سنويا، وهى محملة ببضائع الشرق، ما بين (١٥ – ٢٠) سفينة[٤]، وكانت سفن أخرى تتولى نقل المنتوجات المصرية إلى بلاد الشرق، عبر موانئ الحجاز على البحر الأحمر[٥].

وهكذا يظهر لنا وجود علاقات دينية وتجارية، كانت تربط الهند والشرق بالحجاز إذ كان للمسلمين الهنود دور مهم فى رفد الأماكن الإسلامية المقدسة وأهلها بأموال هندية، كانت توزع على هذه الأماكن، وعلى سكانها المحتاجين.

---

(١) - CHARLES MONTAGNE DOUGHTY; TRAVELS IN ARABIA DESERT, VOL. 11, LONDON, 1926, P. 168.

(٢) المشخص، من النقود الذهبية الهندية الذى يعادل وزنه حبة واحدة، قيراط واحد، درهم واحد. انظر البياضى، المصدر السابق، ص ١٦٣.

(٣) انظر دحلان، خلاصة، ص ٢٢٣.

(٤) ب. س. جيرار، وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، مج ٤، جـ١، مكتبة الخانجى، ط١، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٢٧٢ و٢٧٧.

(٥) - SHAW; OP. CIT, P. 138.

الخاتمـــة

الخاتمة

من تتبع تاريخ الحجاز، خلال القرن الثامن عشر، يتضح لنا احتفاظ الأماكن المقدسة فيه، بمكانتها الروحية لدى المسلمين، واستمرار توافد الحجاج إليها من أنحاء المعمورة كافة لأداء فريضة الحج، مع ما يتركه ذلك من مردودات إيجابية على وضع الحجاز الاقتصادى والسياسى، الأمر الذى أفاد منه الأشراف، لتعزيز نفوذ أسرهم، التى باتت تستمد قوتها من نسبها الشرعى مع الرسول (ﷺ)، ورعايتها للحرمين الشريفين، حتى أصبح لنظام الشرافة تقاليد خاصة يرتكز عليها حكم أمراء مكة.

ومن الظواهر البارزة التى تميز بها تاريخ الأشراف خلال هذه الحقبة، هى استمرار التصارع الأسرى بين آل زيد وآل بركات للاستحواذ على إمارة مكة. إذ اتخذ ذلك النزاع طابعا مسلحا فى أغلب الأوقات، مما أفقد البلاد استقرارها، ومهد الطريق للقوى الأخرى كالسلطان العثمانى وولاته فى مصر والشام وجدة، للتدخل بشؤون الحجاز الداخلية، حتى إن الأخيرين أقدموا وفى ظل ظروف معينة على عزل شريف مكة، وتنصيب آخر بدلا منه، من نفس الأسرة الحاكمة، أو من الأسرة المنافسة لها، فَتَعرَّض بذلك نظام حكمهم إلى هزات سياسية هددته بالصميم.

وبالمقابل أوضحت الدراسة، تحلى أشراف الحجاز بروح المطاولة والمثابرة فى

منازلة خصومهم المحليين، سواء من داخل أسرهم، أو من القبائل المعارضة لسلطتهم، حتى نجحوا فى نهاية المطاف من تثبيت أقدامهم ترسيخ سلطتهم السياسية فى السنوات اللاحقة، كما أبدوا محاولات جادة لإبعاد نفوذهم عن السلطة العثمانية المركزية والقوى التابعة لها بالمنطقة.

على أن مكانة الحجاز الدينية والسياسية، قد تعاظمت فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، لكونه أصبح موطئا لارتياد الرحالة الأوروبيين، الذين وفدوا الحجاز لأغراض تجارية وسياسية، للإفادة من طريق البحر الأحمر وموانئه للوصول إلى الهند، فى وقت بذلت فيه بريطانيا قصارى جهدها، لتصفية النفوذ الفرنسى المنافس لها فى المنطقة، فيما تمتع أشراف الحجاز بمكانة مرموقة إبان الاحتلال الفرنسى لمصر عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، إذ مارسوا نشاطا دبلوماسيا مع أطراف الصراع كافة، بغية الحفاظ على مصالحهم التجارية وتوفير الاستقرار لبلادهم.

خلصت الدراسة إلى أن الحجاز قد تميز، من بين الولايات العثمانية الأخرى كالشام ومصر، بخصوصية علاقته بالدولة العثمانية والقوى الأوربية، وذلك لتزايد دوره الدينى والتجارى والسياسى أواخر القرن الثامن عشر، فى حين استطاع على الصعيد الداخلى أن يشق طريقه وسط ظروف غير طبيعية، وأن يثبت بالشواهد أن الحجاز ذو الإمكانات المحدودة، تمكن أخيرا من تجاوز كل ما يحيط به من مخاطر وتحديات بعزيمة وقوة.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية والمعربة والأجنبية

- المخطوطات:

- الذكير، مقبل بن عبد العزيز، طوق الحمامة فى أخبار اليمامة، مخطوط فى دار صدام للمخطوطات، تحت رقم (٤٠٣٥٢).
- ــــــ، العقد الممتاز فى أخار تهامة والحجاز، مخطوط فى دار صدام للمخطوطات، تحت رقم (٤٠٣٥٤).
- ــــــ، العقود الدرية فى تاريخ البلاد النجدية، مخطوط فى دار صدام للمخطوطات، تحت رقم (٤٠٣٥٣).
- الزيدى، محمد بن أبى الفتوح الموسوى اليمانى، النفحة العنبرية فى أنساب خير البرية، مخطوط فى دار صدام للمخطوطات، تحت رقم (١٤٦٩٠).
- العاملى، رضى الدين بن محمد بن على بن حيدر نجم الدين الموسوى، تنضيد العقود السنية بتمهيد الدولة الحسنية، مخطوط فى دار صدام للمخطوطات، تحت رقم (٦٢٩٠).
- العباسى، عبد الواحد بن الشيخ عبد الله باش أعيان، زبدة التواريخ، جـ١٠، مخطوط فى المكتبة العباسية فى البصرة، تحت رقم (ى ٣٣).

- العزاوى، عباس، شمامة العنبر فى رجال القرن الثانى عشر، مخطوط فى دار صدام للمخطوطات، تحت رقم (٣٤٣٦٣).

- العمرى، ياسين بن خير الله، الدر المكنون فى المآثر الماضية من القرون، القسم الثانى، مخطوط مصور عن نسخة باريس فى مكتبة المجمع العلمى العراقى تحت رقم (٣٣٩).

- النابلسى، عبد الغنى بن إسماعيل، إيوان المراسلة، مخطوط فى مكتبة وزارة الأوقاف، تحت رقم (٤٣٣).

- الناصرى، محمد بن عبد السلام بن عبد الله، الرحلة الناصرية، مخطوط مصور عن نسخة المكتبة الملكية فى الرباط، موجود فى مكتبة المجمع العلمى العراقى، تحت رقم (١٣٠٥).

- الوثائق العثمانية غير المنشورة:

١ـ الوثائق العثمانية المعربة عن أرشيف رئاسة الوزراء، اسطنبول، رقم الملف (٨٢)، الموجودة فى مركز دراسات الخليج العربى، جامعة البصرة.

- الوثائق الأرشيفية المعربة عن العهد العثمانى بتركيا، الموجودة فى مركز التوثيق الإعلامى لدول الخليج العربى، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام.

.الوثائق المنشورة:

١.الإنكليزية:

- ADMIRALTY WAR STAFF INTELLIGENCE DIVISION, AHANDBOOK OF ARABIA, VOL. 1, MAY 1916.
- RICHARD SCHOFIELD AND GERALD BLAK EDS, ARABIAN BOUNDARIES, PRIMARY DOCUMENTS 1853 – 1857, VOL. 2, ARCHIVE EDITIONS, ENGLAND 1988.

.الرسائل الجامعية :

- مراد خليل على: تاريخ العراق الإدارى والاقتصادى فى العهد العثمانى الثانى ١٠٤٨ - ١١٦٤هـ/ ١٦٣٨ - ١٧٥٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، قسم التاريخ، كانون الأول ١٩٧٥.

.الكتب العربية والمعربة :

- أباظة، د. فاروق عثمان، عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر (١٨٣٩- ١٩١٨)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٦.
- بن خلدون، تاريخ المسى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، علق عليه الأمير شكيب أرسلان، ملحق الجزء الأول، المطبعة الرحمانية بمصر، (١٣٥٥ هـ/ ١٩٣٦م).
- ابن زيدان، عبد الرحمن، اتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس أو عبير الآس من روض تاريخ مكناس أو حسن الاقتباس من ذخائر الدولة العلوية وتأريخ مكناس، جـ٣، المطبعة الوطنية، ط١، فاس، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م.
- أبوعليه، د. عبد الفتاح حسن، دراسة حول المخطوط التركى حجاز سياحة - نامة سي، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٣.
- ــــــــ، دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
- ــــــــ، العثمانيين وبنو خالد فى الاحساء، دراسات فى تأريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٦.
- أبو مغلى، د. محمد وصفى، إيران دراسة عامة، منشورات مركز دراسات الخليج العربى، جامعة البصرة، ١٩٨٤.

- أحمد، د. كمال مظهر، دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٥.

- أداموف، الكسندر، ولاة البصرة فى ماضيها وحاضرها، جـ٢، ترجمها عن اللغة الروسية د.هاشم صالح التكريتى، مركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة، ١٩٨٩.

- أرسلان، شكيب، الارسامات اللطاف فى خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، مطبعة المنار بمصر، ١٣٠٥.

- الازرقى، محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الاثار، جـ٢، المطبعة الماجدية، مكة المكرمة، ١٣٥٧هـ.

- أمين، د. حسين، نظرة بعض الرحالة المسلمين وبعض الرحالة الغربيين عند زيارتهم لمنطقة الحجاز، فى كتاب "مصادر تأريخ الجزيرة العربية"، الكتاب الأول، جـ١، الرياض، مطبعة جامعة الرياض، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- الانصارى ، عبد القدوس، الطائف تاريخا وحضارة ومصادر ثراء وآثارا وإعلاما وشعراء، مطبوعات نادى الطائف الأدبى، جدة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

- ــــــــ، موسوعة تاريخ مدينة جدة، ج١، مطابع الروضة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- أنيس، محمد، السيد رجب حراز، الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٧.

- الباشا، د. حسن، الفنون الإسلامية والوظائف على الاثار العربية، جـ ١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦.

- باوزير، سعيد عوض، معالم تأريخ الجزيرة العربية، منشورات مؤسسة الصبيان، ط٢، عدن، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

- بطاطا، حنا، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الفكرية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، الكتاب الأول، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ط ١، بيروت، ١٩٩٠.
- البطريق، عبد الحميد، أشراف الحجاز فى الوثائق المصرية الفترة المصرية العثمانية (١٢٢٨ – ١٢٥٦هـ) (١٨١٣ – ١٨٤٠م) فى كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية.
- بك، خليل مردم، أعيان القرن الثالث عشر فى الفكر والسياسة والاجتماع، لجنة التراث العربى، ط١، بيروت، ١٩٧١.
- بك، عبد العزيز صبرى، تذكار الحجاز، المطبعة السلفية بمصر، ١٣٤٢.
- بك، محمد فريد، تاريخ الدولة العلية، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م.
- البلادى، عاتق بن غيث، معجم قبائل الحجاز، جـ١ و٢، دار مكة للنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ــــــ، نسب حرب، مكتبة دار البيان، دمشق، ط١، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- بالضعيف، محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد الرباط الملقب، تاريخ الضعيف الرباطى تاريخ الدولة العلوية السعيدة من نشأتها إلى أواخر عهد مولاى سليمان ١٠٤٣هـ / ١٦٣٣م – ١٢٣٨هـ / ١٨١٢م، جـ١، دراسة وتحقيق محمد البوزيدى الشيخى، دار الثقافة، ط١، الدار البيضاء، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨.
- بن بشر، عثمان بن عبد الله، عنوان المجد فى تاريخ نجد، جـ١، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ (٢٧ – مطبوعات دارة الملك عبد العزيز) ط٢، الرياض، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- بن زيدان، عبد الرحمن، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م.

- بن غنام، حسين، تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوى الإسلام، جـ٢، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، ط١، مصر، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.
- بن منصور، الشريف مساع، جدول أمراء مكة وحكامها منذ فتحها إلى الوقت الحاضر. مكة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
- البتانونى، محمد لبيب، الرحلة الحجازية، مطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩هـ.
- البهيكى، الشيخ عبد الرحمن بن أحمد – تكملة الشيخ الحسين بن أحمد عكاش، نفح العود فى سيرة دولة الشريف حمود، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ محمد ابن أحمد العقيلى، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (٢٢)، الرياض، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م.
- بوركهاردت، الرحالة جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة د. عبد الله الصالح العثيمين، شركة العبيكان للطباعة والنشر، ط١، الرياض، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.
- بولارد، ريد، بريطانيا والشرق الأوسط منذ أقدم العصور حتى عام ١٩٥٢، نقله إلى العربية حسن أحمد سلمان، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٦.
- بيرين، جاكلين، اكتشاف جزيرة العرب، نقله إلى العربية قدرى قلعجى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٦٣.
- البيطار، الشيخ عبد الرزاق، حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر، جـ١، حققه ونسقه وعلق عليه محمد بهجت البيطار، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.
- البياضى، الشيخ إبراهيم سليمان العاملى، الأوزان والمقادير، مطبعة صور الحديثة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.
- بيهم، محمد جميل، قوافل العروبة ومواكبها، جـ٢، بيروت، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م.

- تافرنيه، الرحالة الفرنسى، العراق فى القرن السابع عشر، نقله إلى العربية وعلق عليه بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٤.
- التكريتى، د. هاشم صالح، المسألة الشرقية، المرحلة الأولى ١٧٧٤ - ١٨٥٦، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى، جامعة بغداد، بيت الحكمة، ١٩٩٠.
- تيمرت، جون، إيران حرب مع التاريخ، ترجمة حسين عبد الزهرة محمد، مركز الدراسات الإيرانية، جامعة البصرة، ١٩٩٢.
- جارشلى، إسماعيل حقى أوزون، أمراء مكة فى العهد العثمانى، ترجمة إلى اللغة العربية، د. خليل على مراد، مركز دراسات الخليج العربى، جامعة البصرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- الجاسر، حمد، أشهر رحلات الحج (١) ملخص رحلتى بن عبد السلام الدرعى المتوفى سنة ١٢٣٩، منشورات دار الرفاعى للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- جب، هاملتون هارولد بوون، المجتمع الإسلامى والغرب، جـ٢، ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة د. أحمد عزت عبد الكريم، دار المعارف بمصر، ١٩٧١.
- الجبرتى، عبد الرحمن، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، جـ١، دار الجيل، طـ٢، بيروت، ١٩٧٨.
- ــــــــ، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس، تحقيق وشرح حسين محمد جوهر، عمر الدسوقى، مطبعة الرسالة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- جحاف، لطف الله بن أحمد، نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر، نشر وتحقيق د. سيد مصطفى سالم، مركز الدراسات اليمنية، ط٢، صنعاء، ١٩٨٩
- جرادات، وليد محمد، الأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضى والحاضر، نشر وتوزيع دار الثقافة، ط١، الدوحة، ١٩٨٦.

- جمعة، محمد كمال، انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، (٧)، ط٢، الرياض، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

- الجميل، د. سيار كوكب على، تكوين العرب الحديث (١٥١٦ - ١٩١٦)، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩١.

- ــــــــ، حصار الموصل الصراع الإقليمى واندحار نادر شاه صفحة لامعة فى تكوين العراق الحديث، بيت الموصل، ١٩٩٠.

- جيرار، ب. س، وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، مج٤، جـ١، مكتبة الخانجى، ط١، القاهرة، ١٩٧٨.

- حراز، د. سيد رجب، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب (١٨٤٠ - ١٩٠٩)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٦.

- ــــــــ، المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثمانى إلى الاحتلال البريطانى (١٥١٧ - ١٨٨٢)، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٠.

- الحسينى، عبد الرزاق كمونة، فضائل الأشراف، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

- ــــــــ، موارد الاتحاف فى نقباء الأشراف، جـ١، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٨.

- الحصرى، ساطع، البلاد العربية والدولة العثمانية، معهد الدراسات العربية العالى، القاهرة، ١٩٥٧.

- حقى، إحسان، باكستان ماضيها وحاضرها، دار النفائس، بيروت، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

- الحلاق، الشيخ أحمد البديرى، حوادث دمشق اليومية (١١٥٤ - ١١٧٥هـ)، (١٧٤١ - ١٧٦٢م) مطبعة لجنة البيان العربى، القاهرة، ١٩٥٩.

- حليم، إبراهيم بك، التحفة الحليمية فى تاريخ الدولة العلية، مطبعة ديوان عموم الأوقاف، ط١، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م.

- الخليلى، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة،الجزء الأول من قسم مكة المكرمة، دار التعارف، بغداد، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- خورى، إميل، عادل إسماعيل، السياسة الدولية فى الشرق العربى من سنة ١٧٨٩ إلى سنة ١٩٥٨، جـ١، دار النشر للسياسة والتاريخ، بيروت، ١٩٥٩.

- الدباغ، مصطفى مراد، جزيرة العرب وموطن العرب ومهد الإسلام، جـ١، منشورات دار الطليعة، بيروت، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

- دحلان، أحمد زينى، تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية، (د. ت).

- ــــــــ، خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام، المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٥هـ.

- ــــــــ، الدرر السنية فى الرد على الوهابية، المطبعة العثمانية (د. ت).

- ــــــــ، الفتوحات الإسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية، جـ٢، مؤسسة الخليج وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

- درويش، د. مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- الدسوقى، د. محمد كمال، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٦.

- الدمشقى، نجم الدين محمد بن محمد الغزى، لطف السحر وقطف الثمر ٩٧٧ -١٠٦١هـ/ ١٥٧٠-١٦٥١م.

- من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادى عشر، حققه محمود الشيخ، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومى، ١٩٨١.

- الدين، مظفر، تاريخ إيران، مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٨١٨.
- ذياب، أحمد إبراهيم، العلاقة بين جدة وسواكن التى كانت تابعة لولاية جدة فى فترة الحكم العثمانى، فى كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية.
- الرافعى، عبد الرحمن، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر، جـ١، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.
- رافق، د. عبد الكريم، العرب والعثمانيون (١٥١٦ - ١٩١٦)، دمشق، ١٩٧٤
- ــــــــ، بلاد الشام ومصر من الفتح العثمانى إلى حملة نابليون بونابرت (١٥١٦ - ١٧٩٨)، ط٢، دمشق، ١٩٦٨.
- رزق، د. يونان لبيب، محمد مزين، تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨١.
- رمضان، محمد رفعت، على بك الكبير، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥٠.
- رمضان، مصطفى محمد، وثائق مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر إبان العهد العثمانى فى كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية.
- رؤوف، د. عماد عبد السلام، الموصل فى العهد العثمانى فى فترة الحكم المحلى ١١٣٩ - ١٢٤٩هـ/ ١٧٢٦ - ١٨٣٤م، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- الريحانى، أمين، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، دار ريحانى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٤.
- الريس، د. محمد ضياء الدين، تاريخ المشرق العربى والخلافة العثمانية أثناء الدور الأخير للخلافة (١٧٧٤ - ١٩٢٤)، القاهرة، ١٩٥٠.
- زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، أخرجه د. زكى محمد حسن بك ود. حسن أحمد محمود، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥١.

- الزيانى، أبو القاسم، ١١٤٧ – ١٢٤٩هـ / ١٧٣٤ – ١٨٠٩م، الترجمانة الكبرى فى أخبار المعمور برا وبحرا، حققه وعلق عليه عبد الكريم الغيلالى، مطبعة فضالة المحمدية، ١٩٦٧.
- ــــــــ، الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين من أولاد مولانا الشريف بن على، وهو منقول من كتاب الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٨٤م / ١٣٠٣هـ.
- السباعى، أحمد، تاريخ مكة دراسات فى السياسة والعلم والاجتماع، جـ٢، مطابع دار قريش، ط٣، مكة، ١٣٨٥هـ.
- سعد الله، أبو القاسم، الرحلات الجزائرية الحجازية خلال العهد العثمانى، فى كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية.
- سعيد، أمين، تاريخ الدولة السعودية، مج١، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٦٤.
- السنوسى، محمد، الرحلة الحجازية، جـ٢، تحقيق على الشنوفى، الشركة التونسية للتوزيع والنشر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- السويدى، عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين (١٧٢٢ – ١٨٠٥)، حديقة الوزراء فى سيرة الوزراء، جـ١، نشر بتحقيق د. صفاء خلوصى، مطبعة الزعيم، بغداد، ١٩٦٢.
- شاكر، على، تاريخ العراق فى العهد العثمانى ١٦٣٨- - ١٧٥٠م، دراسة فى أحواله السياسة، منشورات مكتبة ٣٠ تمور، نينوى، ١٩٨٤.
- شاكر، محمود، شبه جزيرة العرب ـ ١ ـ عسير، المكتب الإعلامى، ط٣، ١٩٨١
- الشرقاوى، محمود، دراسات فى تاريخ الجبرتى مصر فى القرن الثامن عشر، جـ ١، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٥٧.
- شريف، محمد بديع وآخرون، دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة، معهد الدراسات العربية العالية، (د. ت).

- شكرى، محمد فؤاد، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، دار الفكر العربى، القاهرة، (د. ت).

- الشناوى، د. عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، جـ ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠.

- ـــــــ، قناة السويس والتيارات السياسية التى أحاطت بإنشائها، جـ١، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١.

- شهاب حسن صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحرى، دار العودة، ط٢، بيروت، ١٩٨١.

- الشهابى، حيدر أحمد (من تاريخ الأمير حيدر) المسمى كتاب نزهة الزمان فى تاريخ جبل لبنان، مطبعة السلام، مصر، ١٩٠٠.

- الشوكانى، محمد بن على، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جـ٢، دار المعرفة، ط١، بيروت، (د. ت).

- ـــــــ، ذكريات الشوكانى، تحقيق د. صالح رمضان محمود، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣.

- الشيخ خزعل، حسين خلف، تاريخ الجزيرة العربية فى عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مطابع دار الكتاب، ط١، بيروت، ١٩٦٨.

- الصباغ، د. ليلى، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، مطبعة بن حيان، دمشق، ١٤٠١ - ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١ - ١٩٨٢م.

- الصواف، د. فائق بكر، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز ما بين (١٢٩٣ - ١٣٣٤هـ) - (١٨٧٦ - ١٩١٦م)، مطابع سجل العرب، مكة المكرمة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

- الضابط، شاكر صابر، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران، دار البصرى، بغداد، ١٩٦٦.

- العابد، د. صالح محمد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي فى الخليج العربى (١٧٩٨ – ١٨١٠)، مطبعة العانى، بغداد، ١٩٧٩.
- العاملى، محسن الأمين الحسينى، كشف الارتياب فى أتباع محمد بن عبد الوهاب، مطبعة ابن زيدون، ط١، دمشق، ١٣٤٦هـ.
- العاملى، محسن الأمين الحسينى، معادن الجواهر ونزهة الخواطر فى علوم الأوائل والأواخر، جـ٢، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٤٧.
- عبد الرحيم، د. عبد الرحيم عبد الرحمن، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار المتنبى للنشر والتوزيع، طـ٣، الدوحة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- ــــــ، الدولة السعودية الأولى (١١٥٨ – ١٢٣٢هـ) (١٧٤٥ – ١٨١٨ م)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٦.
- ــــــ، من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على، مج١، دار المتنبى للنشر والتوزيع، الدوحة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- عبد الغنى، عارف، تاريخ أمراء مكة من ٨هـ ـ ١٣٤٤هـ، دار البشائر للطباعة والنشر، دمشق، (د. ت).
- عبد الكريم، د. أحمد عزت، دراسات فى تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٠.
- العثيمين، د. عبد الله الصالح، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، دار العلوم للطباعة والنشر، ط٢، الرياض، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- العزاوى، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، جـ٥، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.
- ــــــ، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، بغداد، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.
- العشارى، حسين بن على بن حسين بن فارس، ديوان العشارى، حققه وعلق عليه د. عماد عبد السلام رؤوف، ووليد عبد الكريم الأعظمى، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٧٧.

- العقاد، صلاح، رحلة كارستن نيبور، فى كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، جـ٢، الرياض، مطبعة جامعة الرياض، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ــــــ، المغرب فى بداية العصور الحديثة، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٦٢ - ١٩٦٣.
- على، محمد كرد، خطط الشام، جـ٥، مطبعة الترقى، دمشق، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م.
- عمر، د. عمر عبد العزيز، تاريخ المشرق العربى (١٥١٦ - ١٩١٦)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٤.
- العمرو، صالح، القناصل البريطانيون فى جدة كمصدر لتاريخ غرب الجزيرة العربية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فى كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية.
- العمرى، د. حسين عبد الله، مئة عام من تاريخ اليمن الحديث (١١٦١ - ١٢٦٤هـ / ١٧٤٨ - ١٨٤٨م) (د. م)، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- العمرى، ياسين بن خير الله، غاية المرام فى تاريخ محاسن بغداد مدينة السلام، مطبعة دار البصرى، بغداد، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- العياشى، عبد الله بن محمد، مقتطفات من رحلة العياشى، منشورات دار الرفاعى للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- غالب، محمد أديب، من أخبار الحجاز ونجد فى تاريخ الجبرتى، دار اليمامة، ط ١، ١٩٧٥.
- غرايبة، عبد الكريم محمد، مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ - ١٩١٨، جـ ١، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.
- الغسانى، محمد بن عبد الوهاب، رحلة الوزير فى افتكاك الأسير، استخلصها

من مخطوطات عدة وقدم لها وعلق عليها الأستاذ ألفريد البستانى، مطابع الفنون المصورة، المغرب، ١٩٤٠.

- الغلامى، عبد المنعم، جغرافية شبه جزيرة العرب، دار منشورات البصرى، بغداد، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

- الفابى، سلوى سعد سليمان، الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ودوره فى توحيد اليمن (١٠٥٤ - ١٠٨٧هـ) (١٦٤٤ - ١٦٧٦م)، صنعاء، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م.

- الفاخرى، محمد بن عمر، الأخبار النجدية، دراسة وتحقيق د. عبد الله بن يوسف الشبل، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر (١٠) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (د. ت).

- فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ترجمة خيرى الضامن، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦.

- فولنى، س. ف، ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام، نقلها إلى العربية أدوار البستانى، جـ١، منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، بيروت، ١٩٤٩.

- فيلبى، عبد الله، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، تعريب عمر الديراوى، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، (د. ت).

- القادرى، محمد بن الطيب ١١٢٤هـ/ ١٧١٢م - ١١٨٧هـ/ ١٧٧٢م، كتاب النقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق هاشم العلوى القاسمى، منشورات دار الآفاق الحديثة، ط١، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- القريشى، جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين ابن ظهيرة، الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وأبناء البيت الشريف، مكتبة الثقافة، مكة المكرمة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م.

- القنوجى، أبو الطيب صديق بن حسن بن على بن لطف الله الحسينى البخارى، (١٢٤٨ - ١٣٠٧هـ / ١٨٣٢ - ١٨٩٠م)، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، تصحيح وتعليق عبد الحكيم شرف الدين، المطبعة الهندية العربية، بمباى، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- كحالة، عمر رضا، جغرافية شبه جزيرة العرب، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٤.
- ـــــــ، معجم قبائل العرب القديمة، جـ٢، المكتبة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٩ م / ١٣٦٨هـ.
- الكركوكلى، رسول، دوحة الوزراء فى تاريخ وقائع بغداد الزوار، نقله عن التركية موسى كاظم نورس، دار الكاتب العربى، بيروت، (د. ت).
- كوك، ريجارد، بغداد مدينة السلام، جـ٢، نقله إلى العربية وقدم له وعلّق عليه د. مصطفى جواد وفؤاد جميل، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٧م / ١٣٨٧هـ.
- لوتسكى، فلاديمير بور يوفيتش، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة د. عفيفة البستانى، دار التقدم، موسكو، ١٩٧١.
- مالكى، د. سليمان عبد الغنى، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية فى بغداد من منتصف القرن الرابع الهجرى حتى منتصف القرن السابع الهجرى، (٣٢ - مطبوعات دارة الملك عبد العزيز)، الرياض، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- المحبى، محمد أمين بن فضل الله بن عبد الله الدمشقى، خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر (١٠٦١ - ١١١١)، جـ١، القاهرة، ١٢٨٤.
- المختار، صلاح الدين، تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها، جـ١، منشورات دار مكتبة الحياة، ط١، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.
- المداح، أميرة على، العثمانيون والإمام القاسم بن محمد بن على فى اليمن، ١٠٠٦ هـ / ١٥٩٨م / ١٠٢٩هـ / ١٦٢٠م)، جدة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

- المدرس، محمود فهمى، البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر، جـ٤، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٣١٢.
- المدنى، على صدر الدين بن أحمد نظام الدين بن محمد معصوم، سلافة العصر فى محاسن الشعراء بكل مصر، مطابع على بن على (الدوحة، ١٣٨٢).
- المرادى، محمد خليل، سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر، مج٣، مكتبة المثنى، بغداد، محرم الحرام سنة ١٣٠١.
- مرتضى، نظمى زادة، كلشن خلفا، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١.
- المسعودى، د. عبد العزيز بن قائد، العروبة والإسلام فى فكر شيخ الإسلام محمد بن على الشوكانى القدوة شيخ الإسلام المجتهد محمد بن على الشوكانى)، صنعاء ١٧ - ٢٠ فبراير شباط)، ١٩٩٠.
- المشيقح، إبراهيم بن حمود، تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال "الدر الكمين" لابن فهد، القصيم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
- المصرى، أحمد شلبى بن عبد الغنى الحنفى، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشوات الملقب بالتاريخ العينى، تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٧٨.
- مقبل، صالح محمد صغير، محمد بن على الشوكانى وجهوده التربوية، أشراف د. عبد اللطيف محمد بالطو، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- المكى، قطب الدين محمد بن أحمد النهروانى، البرق اليمانى فى الفتح العثمانى، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
- المكى، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامى (١٠٤٩ - ١١١١)، سمط النجوم العوالى فى أبناء الأوائل والتوالى، جـ٤، المطبعة السلفية، (د. ت).

- المكى، العباس بن على العاملى الموسوى، نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، جـ٢، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.
- منسى، د. محمد صالح، حركة اليقظة العربية فى الشرق الآسيوى (دراسات فى تاريخ الشرق العربى الحديث - ١ -)، دار الاتحاد العربى للطباعة، القاهرة، ١٩٧٢.
- المنقور، تاريخ الشيخ أحمد بن محمد (١١٢٥)، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
- المنوفى، محمد، الجزيرة العربية فى الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها، فى كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية.
- مورتيل، د. ريتشارد، الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة فى العصر المملوكى، الرياض، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- مؤلف مجهول، كتاب لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق د. أحمد مصطفى أبو حاكمة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧.
- مؤلف مجهول، كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، دراسة وتحقيق وتعليق د. عبد الله الصالح العثيمين (٣٠) مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- الناصرى، الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، جـ٧ و٨، تحقيق وتعليق ولديه جعفر ومحمد، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٦.
- نصيف، حسين بن محمد، ماضى الحجاز وحاضره، جـ١، مكتبة ومطبعة خضير، القاهرة، ١٣٤٩هـ.
- النجار، حسن، الأشراف، مطبعة الكواكبى، القاهرة، ١٣٥٩هـ/ ١٩٣٨م.

- نورس، د. علاء موسى كاظم، الصراع العثماني - الفارسي وأثره في العراق حتى أواخر القرن الثامن عشر، في كتاب "الحدود الشرقية للوطن العربي لمجموعة من الباحثين"، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١.

- نورس، د. علاء موسى كاظم، العراق في العهد العثماني، دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠ - ١٨٠٠، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- نوفل، د. أحمد سعيد، العلاقات الفرنسية العربية من خلال موقف فرنسا من العناصر الأساسية للقضية الفلسطينية، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ط١، الكويت، ١٩٨٤.

- نيبور، كارتسن، رحلة إلى بلاد العرب وما حولها ١٧٦١ - ١٧٦٧، جـ١، رحلة إلى مصر، ١٧٦١ - ١٧٦٢، ترجمها عن الأصل الألماني وعلق عليها وقدم لها د. مصطفى ماهر.

- هانس، نوركيل، من كوبنهاجن إلى صنعاء، ترجمة محمد أحمد الدرعي، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢.

- هانتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية د. كامل العسلي، عمان، ١٩٧٠.

- وليمز، كنث، ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز، تعريب كامل صاموئيل مسيحه، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م.

- وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، لندن، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

- اليمني، القاضي عبد الله بن عبد الكريم الخرافي، المقتطف من تاريخ اليمن، دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٤.

- الكتب العثمانية:

- أدهم، خليل، دولة إسلامية، ملي مطبعة، استانبول، ١٩٢٧ (هـ ١٣٤٥).

- محمد سلحدار فندقليلى، سلحدار تاريخى، أيكجنى جلد (١٠٩٥ - ١١٠٦) استانبول، ١٩٢٨.
- أفندى، محمد، صولاق زاده تاريخى، باب عالى خوارنده، محمود بك، استانبول، ١٢٩٧.
- باشا، كامل، تاريخ سياسى دولت عليه عثمانيه، جـ٢، مطبعة أحمد إحسان، ١٣٢٧هـ.
- توفيق، محمد، عثمانلى تاريخى، اكنجى كتاب، استانبول، ١٣٢٨.
- جلبى، أولياء، سيا حتنامه سى، كتاب، مطبوع بالحروف اللاتينية، المجلد التاسع، دولت مطبعه س، استانبول، ١٩٣٥.
- جواد، على، ممالك عثمانية، نك تاريخ وجغرافيا لغاتى، استانبول، ١٣١٣هـ.
- جودت، أحمد، تاريخ جودت، جـ٣، استانبول، ١٢٨٠.
- ــــــ، وقائع دولت عليه من سنة ١١٨٨ إلى سنة ١١٩٦، المجلد الثالث، استانبول، ١٢٧٨.
- الخربوطى، أحمد واصف بن أبى البقاء، محاسن الآثار فى حقايق الأخبار، دار الطباعة العامرة، استانبول، ١٢١٩.
- راسم، أحمد، رسملى وخريطه لى عثمانلى تاريخى، جـ١، استانبول، (١٣٢٨ - ١٣٣٠).
- زاد، متجار، وإبراهيم حلمى، الأحوال الجغرافية والإحصائية للدولة العلية العثمانية، ممالك عثمانية، جب أطلاس، استانبول، ١٣٢٣هـ (١٩٠٧ - ١٩٠٨).
- سامى، شمس الدين، قاموس الأعلام، المجلد الثالث، استانبول، ١٣٠٨.
- شرف، عبد الرحمن، تاريخ دولت عثمانية، جـ٢، استانبول، ١٣١٢.
- صبرى، أيوب، مرات الحرمين، أيكنجى جلد، وجـ٤ و٥، استانبول، ١٣٠٣.

- صبرى، فائق، عثمانلى جغرافياى اقتصايس، جـ٢، دار سعادت قناعت مطبعة سى، ١٣٣٠ (١٩١١).
- طاهر، بروسه لى محمد، عثمانلى مؤلفلرى، المطبعة العامة، استانبول، الفصل الرابع، (١٣٣٣).

.الكتب باللغة التركية :

- UZUNCARSILI. ISMAIL HAKKI; OSMANLI TARIHI. TURK TARIK KURUMU BASIMEVI – II CILT. ANKARA. 1949.
- UZTUNE. YILMAZ. BUYIIK TURKIYE TARIHI. ISTANBUL. 1978.

.الكتب الإنكليزية :

- AL-AMR, SALEH MAHAMMAD, THE MEJAZ UNDER OTTOMAN RULE 1869 – 1914, OTTOMAN YALL. THE SHARIF OF MECCA AND THE GROWTH OF BRITISH INFLUENCE, FOR THE DEGREE OF DOCTOR OF PHILOSOPHY AT THE UNIVERSITY OF LEEDS, RIYAD UNIVERSITY PUBLICATIONS, 1974.
- ANDERSON, M.S; THE GREAT POWER AND THE NEAR EAST, 1774 – 1923, LONDON 1979.
- BAKER, RANDALL, KING HUSAIN AND THE KINGDOM OF HEJAZ, THE OLEANDER PRESS, NEW YORK, U. S. A.
- BOXER. C. R., PORTUGUESE CONQUEST AND COMMERCE IN SOUTHERN ASIA, 1500 – 1750., LONDON, 1989.
- BROWN, W. G., TRAVELS IN AFRICA EGYPT AND SYRIA FROM THE YEAR 1792 TO 1798. LONDON, 1799.
- BRUCE, JAMES; TRAVELS TO DISCOVER THE SOURCE OF THE NILE. THE 2ND DEITION. EDINBURGH. AT THE UNIVERSITY PRESS.
- BURCKHARKT. JOHN LEWIS; NOTES ON THE BEDOWINS

AND WAHABYS. VOL. II. LONDON 1831, REPRINTED IN NEW YORK. 1991.

- BURCKARDI JOHN LEWIS: TRAVELS IN ARABIA, AN ACCOUNT OF THOSE TERRITORIES IN HEJAZ WHICH THE MAHAMMEDANS REGARD, AS, LONDON, 1829.
- DOUGHTY, CHARLES MONTAGNE, TRAVELS IN ARABIA DESERT, VOL. II, LONDON, 1926.
- GAURY. GERALD DE; RULERS OF MECCA, LONDON, 1951.
- GROSE, C., A VOYAGE TO THE EAST INDIES, VOL. 11, LONDON. 1772.
- HOGARTH, DAVID GEORGE, HEJAZ REFORE WORLD WAR I. NEW YORK. 1978.
- HUGRONJE, C. SNOCK, MEKKA IN THE LARER PART OF THE 19TH CENTURY, TRANSLATED BY J.H. MONAHAN, LEIDEN. 1970.
- IRWIN. EYLES, SERIES OF ADVENTURES IN THE COURSE OF A VOYAGE UP THE RED – SEA IN THE YEAR 1777. VOL. I, THIRD EDITION, PRINTED FOR J. DODSLE. PALL. LONDON.
- CAPPER, JAMES, OBSERVATION ON THE PASSAGE TO INDIA THROUGH EGYFT AND ACROSS THE GREAT DESERT. IN (1778-1779) LONDON.
- CRICHON. ANDREW; HISTORY OF ARARIA AND ITS PEPOLE, LONDON AND EDINRURGH, 1952.
- DANIEL, WILLIAM. A JOURNAL OR ACCOUNT OF HIS LATE EXPEDITION OR UNDERTAKING TO GO FROM LONDON TO SURRAT, IN' THE RED SEA AND ADJACENT COUNTRIES AT THE CLOSE OF THE SEVENTEENTH CENTURY AS DESCRINTRIES AT THE CLOSE OF THE SEVENTEENTH CENTURY AS DESCRIVED' EDITED BY SIR

WILLIAM FOSTER CI.E. PRINTED FOR THE HAKLUYT SOCIETY, LONDON 1949.

- LA ROQUE ; A VOYAGE TO ARABIA THE HAPPY IN THE YEARS BETWEEN (1708-1713) LONDON, 1726.
- MARSTON; THCMAS E., BRITAINS IMPERIAL ROLE IN THE RED SEA AREA 1800-1879, (THE SHOE STRING PRESS) U.S.A 1961.
- MORINUS, ZWEMER SAMUEL; ARABIS THE CRADLE OF ISLAM STUDI IN GEOGRAPHY, PEOPLE AND POLITICS OF THE PENINSULA WJTY AN ACCOUNT OF ISLAM AND MISSION WORK, INTRODUCED BY JAMES S. DENNIS, EDINVURCH AND LONDON, OLIPHANT, 1900.
- NAVEL INTELLIGENCE DIVISION, WESTERN ARABIA AND THE RED SEA, OXFORD, 1946.
- NIESOUHR, M.C., TRAVELS THROUGH ARABIA AND OTHER COUNTRIES IN THE EAST. VOL. I, 2, EDINBURGH, 1792.
- OVIAGTON'S. NOTES ON THE RED SEA PORTS, IN "THE RED SEA AND ADJACENT COUNTRIES AT THE CLOSE OF THE SEVENTEENTH CENTURY AS DESCRIBED.." EDITED BY SIR WILLIAM FOSTER CI E, PRINTED FOR THE HAKLUYT SOCIETY, LONDON, 1949.
- PARSONS, ABRAHAM; TRAVELS IN ASIA AND AFRICA, LONDON, 1808.
- PENTZ, GEORGE, WAHHARISM AND SAUDI ARABIA IN "THE ARABIAN PENISULA" SOCIETY AND POLITICS, ED, BY DEREK HOPWOOD, GEORGE ALLEN AND UNWIN LTD, LONDON 1972.
- PITTS, JOSEPH, AN ACCOUNT OF HIS JOURNEY FROM ALGERIA TO MECCA AND MEDINA AND BACK IN "THE RED SEA AND ADJACENT COUNTRIES AT THE COLOSE

OF THE SEVENTEENTH CENTURY AS DESCRIBED.." EDITED BY SIR WILLIAM FOSTER CI.E.. PRINTED FOR THE HAKLUYT SOCIETY, LONDON, 1949.

- PONCET, CHARLES JACQUES; A NARRATIVE OF HIS JOURNEY FROM CAIRO INTO ABYSSINIA AND BACK (1698-1701) IN "THE RED SEA AND ADJACENT COUNTRIES AT THE CLOSE OF THE SEVENTEENTH CENTURY AS DESCRIBED.." EDITED RY SIR WILLIAM FOSTER CI.E. PRINTED FOR THE HAKLUYT SOCIETY, LONDON, 1949.
- SHAW, STANFORD J., OTTOMAN EGYPT IN THE EIGHTEENTH CENTURY. OXFORID. UNIVERSITY PRESS, LONDON. 1962.
- WITTMAN, WILLIAM, TRAVELS IN TURKEY ASIA – MINOR. SYRIA AND ACROSS THE DESERT INTO EGYPT DURING THE YEAR 1700, 1800 AND 1801, PRINTED FOR RICHARD PHILLIPS, ON. 71, ST. PAUL'S CHURCH YARD. BY T.GILLET. SALISBURY SQUARE. LONDON. 1805.

الكتب الفرنسية:

- CARRE; VOYAGE DES INDES ORIENTALES. TOM PREMIER, PARIS, 1699.
- DIDIER, CHARLES, SEJOUR CHEZ LE GRAND CHERIF DE LA MEKKA, PARIS, 1857.
- LACROIX. DESIRE, BONARTE IN EGYPT 1798-1799), PARIS, 1899.

- البحوث المنشورة فى الدوريات:

١- العربية:

- أبو داهش، د. عبد الله، موقف أدباء الجزيرة من الحملة الفرنسية على مصر،

١٢١٣ - ١٢١٦هـ / ١٧٩٨ - ١٨٠١م، مجلة العرب، جـ١١ و١٢، س٢٠، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الجماديان سنة ١٤٠٦هـ / كانون الثاني - شباط، ١٩٨٦.

- أبير، م، التجديد والرجعية وإمبراطورية محمد على، ترجمة مكى حبيب المؤمن، مجلة المؤرخ العربى، ع٨، بغداد، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

- أرسلان، شكيب، إمارة مكة المكرمة، مجلة المقتبس، مج٨، جـ٧، دمشق، ١٩١٤.

- الإمام، د. رشاد، الوثائق والمخطوطات العربية بتاريخ الجزيرة العربية، مجلة المؤرخ العربى، ع١٣، ١٩٨٠.

- أوغلى، د. خليل ساحلى، مخطوطات عن الجزيرة العربية فى مكتبة جامعة استانبول، مجلة الدارة، ع٣، س٣، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، شوال، ١٣٩٧هـ / أيلول ١٩٧٧م.

- أنيس، محمد، الجبرتى بين مظهر التقديس وعجائب الآثار، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج١٨، جـ١، مايو (أيار)، ١٩٥٦.

- ـــــــــ، النشاط الأوربى بمصر وجيرانها أواخر القرن الثامن عشر الميلادى مصادره ووثائقه، المجلة التاريخية المصرية، مج٢، ع٢، تشرين الأول، ١٩٤٩.

- برج، د. محمد عبد الرحمن، الحجاز فى العصر العثمانى دراسة لبعض مصادر وضعه الاقتصادى فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، المجلة التاريخية المغربية، ع٣٩ - ٤٠، س١٢، ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٥.

- البطريق، عبد الحميد، الوهابية عقيدة ودولة، حولية كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، ع٤، يوليه (تموز)، ١٩٦٤.

- الجاسر، حمد، الأخبار الغريبة بذكر ما وقع بطيبة الحبيبة، مجلة العرب، جـ٣ و٤، س٢٨، رمضان - شوال سنة ١٤١٣هـ / آذار - نيسان ١٩٩٣.

- ــــــــ، كشف الحجب والستور عما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور، مجلة العرب، جـ٧ و٨، س٢٠، محرم – صفر ١٤٠٦هـ / أيلول – تشرين الأول ١٩٨٥م.
- ــــــــ، ــــــــــــــــ، جـ ١١ و ١٢، س٢٠، الجماديان سنة ١٤٠٦هـ / كانون الثانى – شباط ١٩٨٦م.
- ــــــــ، فوائد الارتحال ونتائج السفر فى أخبار القرن الحادى عشر، مجلة العرب، جـ١ و٢، س٩، رجب وشعبان ١٣٩٤هـ / آب وأيلول ١٩٧٤م.
- ــــــــ، فى رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج مع بن عبد السلام الدرعى فى رحلتيه، مجلة العرب، جـ٣ و٤، س١٠، رمضان وشوال ١٣٩٥هـ / تشرين الأول والثانى ١٩٧٥م.
- ــــــــ، فى رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج، مجلة العرب، جـ١ و٢، س١٢، رجب وشعبان ١٣٩٧هـ / حزيران – آب ١٩٧٧م.
- الجاسر، حمد، من تاريخ الدولة السعودية فى المؤلفات اليمنية، مجلة العرب، جـ ٧ و٨، س٢٦، محرم – صفر سنة ١٤١٢هـ / حزيران – آب سنة ١٩٩١م.
- ــــــــ، ــــــــــــــــ، جـ٩ و١٠، س٢٦، الربيعان ١٤١٢هـ / أيلول ـ تشرين الأول ١٩٩١م.
- جحاف، لطف الله، من تاريخ الدولة السعودية الأولى فى المؤلفات اليمينة، مجلة العرب، جـ١١ و١٢، س٢٦، الجماديان سنة ١٤١٢هـ / تشرين الثانى – كانون الأول ١٩٩١م.
- الجاسر، د. عبد الله، الحياة الاجتماعية فى جزيرة العرب، مجلة العرب، جـ٣ و٤ ، س١٤، شوال ١٣٩٧هـ / أيلول ١٩٧٩.
- الحربى، د. عبد الرزاق بن فراج، قبيلة حرب فى كتاب "التاريخ الشامل"، مجلة العرب، جـ٣ و٤، س ٣٠، رمضان ـ شوال سنة ١٤١٥هـ / آذار – نيسان ١٩٩٥م.

- حسونة، محمد أمين، الطريق البرى إلى الهند، مجلة الحديث، ع٩، س١١، حلب أيلول ١٩٣٧.
- الحقيل، عبد الله حمد، علاقة نجد بالشام من ١١٥٧هـ إلى ١٢٢٥هـ مجلة الدارة، ع٤، س٧، رجب ١٤٠٢هـ/ مايو (أيار) ١٩٨٢.
- الحمدانى د. طارق نافع، علاقة العثمانيين وآل أفراسياب بالإحساء خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع٣٢، مج٥، الكويت، خريف، ١٩٨٨.
- وافق د. عبد الكريم، قافلة الحج الشامى وأهميتها فى العهد العثمانى، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ع٦، ذو الحجة ١٤٠١هـ / تشرين أول، ١٩٨١م.
- الزيلعي. د. أحمد بن عمر، نظام المشاركة فى الحكم لدى أشراف مكة (٦٤٧ – ٩٢٣هـ / ١٢٤٩ – ١٢١٧م)، مجلة الدارة، ع٣ س١٤، ربيع الآخر، جمادى الأولى – جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ / تشرين الثانى ـ كانون الأول ١٩٨٨ ـ كانون الثانى ١٩٨١م.
- السليمان، على بن حسين، الموانئ التجارية فى الحجاز "بلاد ينبع"، مجلة العرب، جـ٣، س٧، رمضان ١٣٩٢هـ/ تشرين الأول ١٩٧٢م.
- ـــــــ، ميناء جدة فى القرن التاسع، مجلة العرب، جـ١٢، س٦، جمادى الآخرة، ١٣٩٢هـ/ آب ١٩٧٢م.
- الصفار، د. سامى، الحجاز تحت الحكم العثمانى (١٨٦٩ – ١٩١٤) الولاة العثمانيون وأشراف مكة ونمو النفوذ البريطانى، تأليف د. صالح محمد العمر، (نقد الكتب) مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، مج٥، (١٩٧٧ – ١٩٧٨).
- الصياد، د. محمد محمود، الرحالة الأجانب فى القرن التاسع عشر، مجلة الدارة، ع٣، س٣، شوال ١٣٩٧هـ/ أيلول ١٩٧٧م.

- الطاهر، د. على جواد، معجم المطبوعات العربية السعودية، مجلة العرب، جـ٣ ، س٥، ربيع الأول ١٣٩١هـ/ أيار ١٩٧١م.

- عبد الرحيم، د. عبد الرحيم عبد الرحمن، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الولايات العربية إبان العصر العثمانى ١٥١٧ - ١٧٩٨ من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية، المجلة التاريخية المغربية، ع٢٩ - ٣٠، س١٠، تونس، جُويِّية (تموز)، ١٩٨٣.

- ـــــــ، النشاط التجارى فى البحر الأحمر فى العصر الحديث، مجلة الدارة، ع ٢، س٦، ربيع الأول ١٤٠١هـ/ كانون الثانى ١٩٨١م.

- على، د. صلاح أحمد هريدى، الحجازيون وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية فى مدينة الإسكندرية فى العصر العثمانى "دراسة وثائقية من سجلات المحكمة الشرعية بالشهر العقارى (٩٢٣ - ١٢١٣هـ/ ١٥١٧ - ١٧٩٨م)، مجلة المؤرخ العربى، ع٣٣، س١٣، بغداد، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- العلى، د. صالح أحمد، تحديد الحجاز عند المتقدمين، مجلة العرب، جـ١، س٣، رجب ١٣٨٨هـ/ تشرين الأول ١٩٦٨م.

- العمروسى، شفيق شوكت، المكيون فى مصر دور عرب الجزيرة فى مقاومة الحملة الفرنسية، مجلة الدارة، ع١، س١٠، شوال ١٤٠٤هـ/ حزيران ١٩٨٤ م.

- عنانى، د. محمد زكريا، مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون ورجال حملته على الشرق، مجلة الدارة، ع٣، س٦، جماد ثانى ١٤٠١ هـ/ نيسان ١٩٨١م.

- عنقادى، عبد الله عقيل، المحمل نشأته وآراء المؤرخين فيه، مجلة كلية الآداب، مج٢، س٢، جامعة الرياض، ١٣٩١ - ١٣٩٢هـ/ ١٩٧١ - ١٩٧٢م.

- قاهر، د. جزاء، حول دفتر وقف مصرى جديد يتناول مصادر دخل متأتية من

المحاصيل الزراعية لسكان مكة والمدينة، المجلة التاريخية المغربية، ع٣٩ – ٤٠ ، س١٢، كانون الأول، ١٩٨٥.

- قاسم، د. جمال زكريا، موقف الكويت من التوسع السعودى فى نجد والإحساء، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مج١٧، القاهرة، ١٩٧٠.

- متولى، د. فؤاد محمد، العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز منذ الفتح العثمانى حتى الاحتلال الفرنسى (١٥١٧ – ١٧٩٨)، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (الإصدارات الخاصة)، الكويت، ١٩٨٠.

- متولى، د. أحمد فؤاد، ملامح من تاريخ الحجاز فى أوائل عهد الدولة السعودية الأولى، مجلة العرب، ع٤، س٦، شعبان ١٤٠١هـ / حزيران ١٩٨١م.

- المدنى، على صدر الدين بن أحمد نظام الدين بن محمد معصوم، رحلة ابن معصوم المدنى أو: سلوة الغريب وأسوة الأديب، تحقيق د. شاكر هادى، مجلة المورد، مج٨، ع٢، بغداد، ١٩٧٩.

- مرسى، أحمد، شريف مكة بين قوتين، مجلة الدارة، ع١، س٢، ربيع الأول ١٣٩٦هـ / آذار ١٩٧٦م.

- المتثامى، مناجى، معجم قبائل الحجاز، مجلة العرب، جـ١ و٢، س١٥، رجب وشعبان سنة ١٤٠٠هـ / أيار وحزيران ١٩٨٠.

- موزل، الويس، تاريخ الدولة السعودية، مجلة العرب، جـ٣ و٤، س١١، رمضان – شوال ١٣٩٦هـ / أيلول - تشرين الأول ١٩٧٦م.

- مؤلف مجهول، المدينة المنورة فى مطلع القرن الثانى عشر كما يصفها النابلسى فى رحلته، مجلة العرب، جـ١، س١، رجب ١٣٨٦هـ / تشرين الأول ١٩٦٦م.

- مؤلف مجهول، ________، جـ٣ س١، رمضان ١٣٨٦هـ / كانون الأول ١٩٦٦.

- ـــــــــــ، ـــــــــــــــــــــــــ جـ١١، س١، جمادى الأولى سنة ١٣٨٧هـ / آب ١٩٦٧م.

- مؤلف مجهول، رحلة دمشقى مر بنجد سنة ١١٢٠هـ بعد عوده من الحج ومر بالإحساء ثم بالعراق، مجلة العرب، جـ٣ و٤، س٢٦، رمضان ـ شوال ١٤١١هـ / آذار ـ نيسان سنة ١٩٩١م.

- مؤلف مجهول، من مصادر تاريخ الدولة السعودية، مجلة العرب، جـ١١ و١٢، س١٠ جماديان ١٣٩٦هـ / أيار ـ حزيران ١٩٧٦م.

- نبيل، مصطفى، باب المندب المضايق العربية التى تحكم العالم (استطلاع)، مجلة العربى، ع٢٦١، الكويت، آب، ١٩٨٠.

- ويندر، ويبلى، العوامل التى ساعدت على توطيد الملك السعودى، نقله إلى العربية أنيس فريحة، مجلة الأبحاث، جـ٣، س١، دار الكاتب العربى، بيروت، أيلول، ١٩٤٨.

الإنكليزية:

- ABIR, M., THE ARAB REBELLION OF AMIR CHLIB OF MECCA 1788 – 1813 MIDDLE EASTERN STUDIES.

- المعارف العامة:

- دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى اللغة العربية محمد ثابت أفندى وآخرون، طهران، ١٩٣٣.

- دهخدا، على أكبر، لغت نامة، شمى خورشيدى، تهران، ١٣٢٥.

- ISLAM ANSIKLOPEDISI, UCUNCU BASILIS, DEVLET KITAPLARI, MILLIEGITIM BASIMEVI, ISTANBUL. 1979. 1980.

المحتويات

